فهرست كتاب التهافت للامام الغزالي

صحيفة

٣ مقدمة ليعلم أن الخوض في حكاية اختلاف الفلاسفة تطويل

٤ مقدمة ثانية ليعلم أن الخلاف بينهم الخ

٥ مقدمة ثالثة ليعلم ان المقصود الخ

٥ مقدمة رابعة من عظائم حيل هؤلاء

٦ مسئلة في ابطال قولهم بقدم العالم

٧ ايراد أدلتهم

٧ الاعتراض من وجهين أحدهما الخ

٨ والجواب ان يقال استحالة ارادة قديمة

١١ الوجه الثاني في الاعتراض هو انا نقول الخ

١٢ اما الفلك فبيانه ان السماء كرة متحركة على قطبين

١٣ الاعتراض الثاني على أصل دليلهم ان يقال

١٤ دليل ثان لهم في المسئلة زعموا ان القائل بان العالم متأخر عن الله

١٤ الاعتراض هو ان يقال الزمان حادث

١٦ بقي انا نقول لله وجود ولا عالم معه

١٦ صيغة ثانية لهم في الزام قدم الزمان

١٧ الاعتراض ان كل هذا من عمل الوهم

١٧ وجوابنا في تحييل الوهم تقدير الامكانات الزمانية

١٨ دليل ثالث لهم على قدم العالم

١٨ دليل رابع لهم وهو انهم قالوا كل حادث

١٩ الاعتراض ان يقال الامكان الذي ذكروه

٢٠ مسئلة في ابطال قولهم في أبدية العالم والزمان والحركة

٢٢ أما المعتزلة فانهم قالوا فعله الصادر منه موجود

٢٢ الفرقة الثانية الكرامية حيث قالوا ان فعله الاعدام

٢٢ الفرقة الثالثة الاشعرية اذ قالوا اما الاعراض فانها تفنى

٢٢ الفرقة الرابعة طائفة أخرى من الاشعرية

٢٤ مسئلة في بيان تلبيسهم بقولهم ان الله فاعل العالم وصانعه

صحيفة

٢٥ والجواب ان كل ذلك بطريق المجاز

٢٧ وأما القول مع العلة فيجوز ان يكونا حادثين

٣٢ وأما البحث عن كيفية صدور الفعل من الله بالارادة ففضول

٣٣ مسئلة في بيان عجزهم عن الاستدلال على وجود الصانع للعالم

٣٥ والجواب ان هذا الاشكال في النفوس أوردناه على ابن سينا

٣٥ مسئلة في بيان عجزهم عن اقامة الدليل على ان الله تعالى واحد

٣٥ المسلك الاول قولهم انهما لو كانا اثنين لكان نوع وجوب الوجود مقولا على كل واحد منهما

٣٦ مسلكهم الثاني ان قالوا لو فرضنا واجبي الوجود لكانا متباينين من كل وجه

٣٦ ولنرسم هذه المسئلة على حيالها

٣٧ والعمدة في مذهبهم انهم يقولون ذات المبدأ الاول واحد

٤٠ مسئلة اتفقت الفلاسفة على استحالة اثبات العلم والقدرة والارادة للمبدأ الاول

٤٠ ولهم مسلكان * الاول قولهم البرهان عليه ان كل واحد من الصفة والموصوف الخ

٤١ المسلك الثاني قولهم ان العلم والقدرة فينا ليسا داخلين في ماهية ذاتنا

٤٢ وأما الجسم فالعالم يجب أن يكون هو الاول لانه حادث

٤٤ فان قيل هذا الاشكال انما يلزم على ابن سينا حيث زعم ان الاول يعلم غيره

٤٥ مسئلة في ابطال قولهم ان الاول لا يجوز أن يشارك غيره في جنس ويفارقه بفصل

٤٦ اما المطالبة فهي ان يقال هذا حكاية المذهب

٤٧ المسلك الثاني الالزام

٤٧ مسئلة في ابطال قولهم ان وجود الاول بسيط

صحيفة	
٤٨	المسلك الثانى هو ان نقول وجود بلا ماهية ولا حقيقة غير معقول
٤٨	مسئلة فى تعجيزهم عن اقامة الدليل على ان الاول ليس بجسم
٥٠	مسئلة فى تعجيز من يرى منهم ان الاول يعلم غيره ويعلم الانواع والاجناس بنوع كلى
٥٢	مسئلة فى تعجيزهم عن اقامة الدليل على ان الاول يعرف ذاته ايضا
٥٣	مسئلة فى ابطال قولهم ان الله تعالى عن قولهم لا يعلم الجزئيات
٥٧	مسئلة فى تعجيزهم عن اقامة الدليل على ان السماء حيوان مطيع لله تعالى بحركته الدورية
٥٩	مسئلة فى ابطال ما ذكروه من الغرض المحرك للسماء
٦٠	مسئلة فى ابطال قولهم ان نفوس السموات مطلعة على جميع الجزئيات الحادثة فى هذا العالم

صحيفة	
٦٢	المقدمة الثانية قولكم انه يفتقر الى تصور جزئى للحركات الجزئية غير مسلم
٦٢	المقدمة الثالثة وهى التحكم البعيد جدا قولهم انه اذا تصور الحركات الجزئية تصور ايضا توابعها ولوازمها
٦٥	مسئلة الاقتران بين ما يعتقد فى العادة سببا وما يعتقد مسببا ليس ضروريا
٦٧	المسلك الثانى وفيه الخلاص من هذه التشنيعات
٧	مسئلة فى تعجيزهم عن اقامة البرهان العقلى على ان نفس الانسان جوهر روحانى قائم بنفسه
٧٨	مسئلة فى ابطال قولهم ان النفوس الانسانية يستحيل عليها العدم بعد وجودها وانها سرمدية
٨١	مسئلة فى ابطال انكارهم لبعث الاجساد ورد الارواح الى الابدان
٩١	خاتمة الكتاب

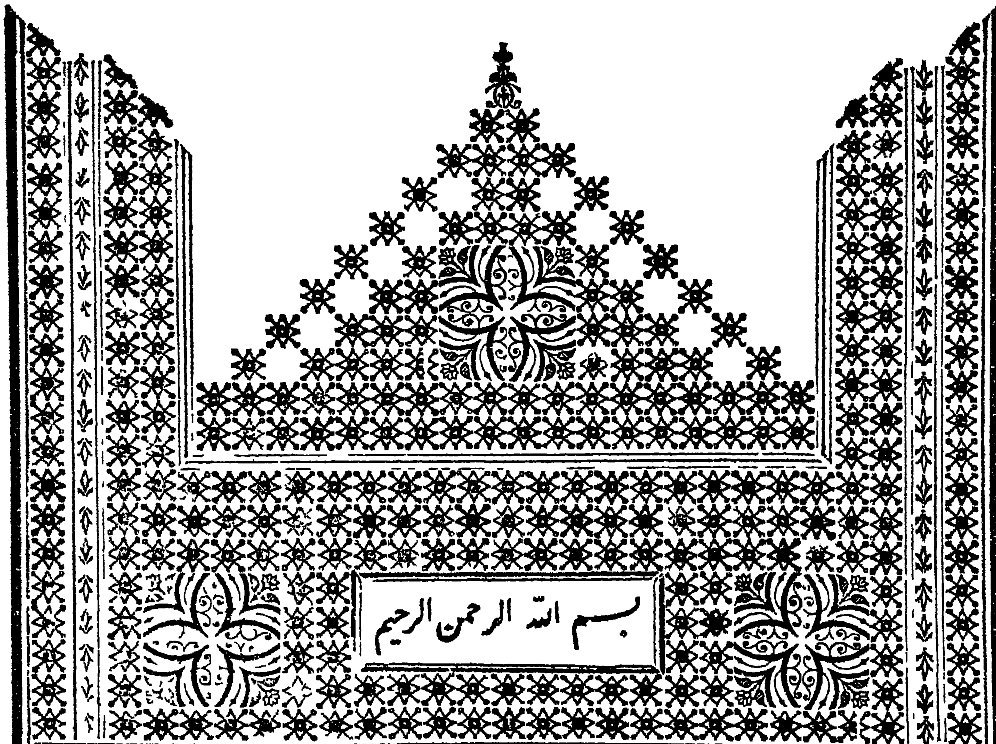
تمت

هذا سفر بديع جليل ومجموع غريب قليل
المثيل احتوى على ثلاثة كتب من غرائب
المؤلفات الصادرة عن فكرة علماء أجلة
بالغين أعلى الكمالات * أولها تهافت الفلاسفة
للامام الغزالي المتوفى سنة ٥٠٥ * وثانيها تهافت
الفلاسفة للامام ابن رشد الاندلسي المالكي
المتوفى سنة ٥٩٥ ألفه معارضا للامام الغزالي في
بعض المباحث من الكتاب المشار اليه * وثالثها
تهافت الفلاسفة للعلامة خوجه زاده أوحد
علماء الروم في عصره المتوفى سنة ٨٩٣ ألفه
في التحكيم بين الامامين المشار اليهما فيما اختلفا
فيه باشارة من المقدس السلطان محمد الفاتح
العثماني وشهد له بالتبريز العلامة الدواني وسائر
معاصريه حتى استحق بذلك التقديم من
السلطان المومى اليه كما هو مبسوط في كشف
الظنون وفي الشقائق النعمانية في علماء الدولة
العثمانية

﴿ وقد وضع الكتابان الاولان في صلب
هذا المطبوع والثالث بهامشهما ﴾

﴿ طبع على نفقة مصطفى البابي الحلبي
وأخويه بمصر ﴾

ماشاء الله كان



قال الشيخ الامام الاوحد الزاهد الموفق أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي قدس الله روحه نسأل الله بجلاله الموفي على كل نهاية وجوده المجاوز كل غاية أن يفيض علينا أنوار الهداية ويقبض عنا ظلمات الضلال والغواية وأن يجعلنا ممن رأى الحق حقا فآثر اتباعه واقتفاءه ورأى الباطل باطلا فاختار اجتنابه واجتواءه وأن يلقننا السعادة التي وعد بها أنبياءه وأولياءه وأن يبلغنا من الغبطة والسرور والنعمة والحبور اذا ارتحلنا عن دار الغرور ما ينخفض دون أعاليها مراقي الافهام ويتضاءل دون أقاصيها مرامي سهام الاوهام وان ينيلنا بعد الورود على نعيم الفردوس والصدور من هول المحشر ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وأن يصلي على نبينا المصطفى محمد خير البشر وعلى آله الطيبين وأصحابه الطاهرين مفاتيح الهدى ومصابيح الدجى وسلم تسليما ﴿أما بعد﴾ فاني رأيت طائفة يعتقدون في أنفسهم التميز عن الاتراب والنظراء بمزيد الفطنة والذكاء قد رفضوا وظائف الاسلام والعبادات واستحقروا شعائر الدين ووظائف الصلوات والتوقي عن المحظورات واستهانوا بتعبدات الشرع وحدوده ولم يقفوا عند توقيفاته وحدوده وقيوده بل خلعوا بالكلية ربقة الدين بفنون من الظنون يتبعون فيها رهطا يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة هم كافرون ولا مستند لكفرهم غير سماع الغي كتقليد النصارى واليهود اذ جرى على غير دين الاسلام نشؤهم وأولادهم وعليه درج آباؤهم وأجدادهم ولا عن بحث نظري صادر عن التعثر باذيال الشبه الصارفة عن صوب الصواب والانخداع بالخيالات المزخرفة كلامع السراب كما اتفق لطوائف من النظار في البحث عن العقائد والآراء من أهل البدع والاهواء وانما مصدر كفرهم سماعهم أسامي هائلة كسقراط وبقراط وأفلاطون وأرسطاطاليس وأمثالهم واطناب طوائف متبعيهم وضلالهم في وصف عقولهم وحسن أصولهم ودقة علومهم الهندسية والمنطقية والطبيعية والالهية واستبدادهم بفرط الذكاء والفطنة واستخراج تلك الامور الخفية وحكايتهم عنهم انهم مع رزانة عقولهم وغزارة فضلهم منكرون

للشرائع

(بسم الله الرحمن الرحيم)

توجهنا الى جنابك وقصدنا نحو بابك يا واجب الوجود ويا مفيض الخير والجود واعتصمنا بحولك وتمسكنا بحبلك يا مبدأ كل موجود ويا غاية كل مقصود أفض علينا من أنوار قدسك وهب لنا من نفحات أنسك يا من لا يخيب سائله ولا ينقطع بره ونائله يا موضح الطرائق ويا كاشف الحقائق وفقنا لسلوك سواء السبيل بفضلك العميم المتناهي وأرنا بنور هدايتك صور حقائق الاشياء كما هي وخصص سيد أنبيائك وأكرم أصفيائك محمدا المبعوث للهداية الى سواء الطرائق بأفضل صلواتك وآله وأصحابه المهتدين بأنوار الهداية ومشاعل التوفيق بأطيب تحياتك انك على ما تشاء قدير وباجابة رجاء المؤمنين جدير ﴿وبعد﴾ فان العقل والنقل متطابقان على أن أكرم ما ينال قوى البشر وأنفس ما يتنافس فيه أهل الوبر والمدر هو معرفة المبدأ والمعاد وما

للشرائع والنحل وجاحدون لتفاصيل الاديان والملل ويعتقدون انها نواميس مؤلفة وحيل مزخرفة فلما قرع ذلك سمعهم ووافق ما حكى لهم من عقائدهم طبعهم تجملوا باعتقاد الكفر تحيزا الى غمار الفضلاء بزعمهم وانخراطا فى سلكهم وترفعا عن مساعدة الجماهير والدهماء واستنكافا من القناعة باديان الآباء ظنا بان اظهار التكايس فى النزوع عن تقليد الحق بالشروع فى تقليد الباطل جمال وغفلة منهم عن الانتقال الى تقليد عن تقليد خرق وخيال فاية رتبة فى عالم الله أخس من رتبة من يتجمل بترك الحق المعتقد تقليدا بالتسارع الى قبول الباطل دون أن يقبله خبرا وتحقيقا والبله من العوام بمعزل عن فضيحة هذه المهواة فليس فى سجيتهم حب التكايس بالتشبه بذوى الضلالات والبلاهة أدنى الى الخلاص من فطانة بتراء والعمى أقرب الى السلامة من بصيرة حولاء فلما رأيت هذا العرق من الحماقة نابضا على هؤلاء الاغبياء ابتدأت بتحرير هذا الكتاب ردا على الفلاسفة القدماء مبينا تهافت عقيدتهم وتناقض كلمتهم فيما يتعلق بالالهيات وكاشفا عن غوائل مذهبهم وعوراته التى هى على التحقيق مضاحك العقلاء وعبرة عند الاذكياء أعنى ما اختصوا به عن الجماهير والدهماء من فنون العقائد والآراء (هذا) مع حكاية مذهبهم على وجهه ليتبين لهؤلاء الملحدة تقليدا اتفاق كل مرموق من الاوائل والاواخر على الايمان بالله واليوم الآخر وان الاختلافات راجعة الى تفاصيل خارجة عن هذين القطبين اللذين لاجلهما بعث الانبياء المؤيدون بالمعجزات وانه لم يذهب الى انكارهما الا شرذمة يسيرة من ذوى العقول المنكوسة والآراء المعكوسة الذين لا يؤبه لهم ولا يعبأ بهم فيما بين النظار ولا يعدون الا فى زمرة الشياطين الاشرار وغمار الاغبياء والاغمار ليكف عن غلوائه من يظن أن التجمل بالكفر تقليدا يدل على حسن رأيه أو يشعر بفطنته وذكائه اذ يتحقق ان هؤلاء الذين تشبه بهم من زعماء الفلاسفة ورؤسائهم براء عما قذفوا به من جحد الشرائع وانهم مؤمنون بالله ومصدقون لرسله ولكنهم اختبطوا فى تفاصيل بعد هذه الاصول قد زلوا فيها فضلوا وأضلوا عن سواء السبيل ونحن نكشف عن فنون ما انخدعوا به من التخاييل والاباطيل ونبين ان ذلك تهويل ما وراءه تحصيل والله تعالى ولى التوفيق لاظهار ما قصدناه من التحقيق ولنصدر الآن الكتاب بمقدمات تعرب عن مساق الكلام فى الكتاب (مقدمة) ليعلم أن الخوض فى حكاية اختلاف الفلاسفة تطويل فان خبطهم طويل ونزاعهم كثير وآراءهم منتشرة وطرقهم متباعدة متدابرة (فلنقتصر) على اظهار التناقض فى رأى مقدمهم الذى هو الفيلسوف المطلق والمعلم الاول فانه رتب علومهم وهذبها بزعمهم وحذف الحشو من آرائهم وانتقى ما هو الاقرب الى أصول أهوائهم وهو ارسطاطاليس وقد رد على كل من قبله حتى على استاذه الملقب عندهم بافلاطون الالهى ثم اعتذر عن مخالفته استاذه بأن قال أفلاطون صديق والحق صديق ولكن الحق أصدق منه وانما نقلنا هذه الحكاية عنهم ليعلم انه لا تثبت ولا اتقان لمذهبهم عندهم وانهم يحكمون بظن وتخمين من غير تحقيق ويقين ويستدلون على صدق علومهم الالهية بظهور العلوم الحسابية والمنطقية ويستدرجون به ضعفاء العقول ولو كانت علومهم الالهية متقنة البراهين نقية عن التخمين كعلومهم الحسابية والمنطقية لما اختلفوا فيها كما لم يختلفوا فى الحسابية ثم المترجمون لكلام ارسطاطاليس لم ينفك كلامهم عن تحريف وتبديل محوج الى تفسير وتأويل

بينهما فلى ما أشار اليه أمير المؤمنين على كرم الله وجهه بقوله رحم الله امرأ عرف نفسه واستعد لرمسه وعلم من أين وفى أين والى أين وقد اضطربت فيها الآراء وتصادمت الاهواء بحيث لا يرجى أن يتطابق عليها أهل زمان أو يتصالح فيها نوع الانسان اذ الوهم يعارض العقل فى مآخذها والباطل يشاكل الحق فى مباحثها فمن اقتدى بما جاءت به الشرائع فقد استقام وهدى ومن ترك هداه واتخذ الهه هواه ضل وغوى ومن جملة مخالفى شرائع الانبياء عليهم السلام الطائفة المنتمون الى الحكمة والفلسفة فانهم وان أصابوا فى علومهم الهندسية والحسابية والمنطقية لعدم التباس الحق بالباطل فى مباديها وعدم استيلاء غوائل الوهم فى بواديها لكونها سهل المأخذ قريب المتناول لا يعارض فيها الوهم العقل بل يحكم بها على طاعة منه لكنهم أخطؤا فى علومهم الطبيعية يسيرا والالهية كثيرا وان اجتهدوا فيها بعقولهم غاية الاجتهاد وارتادوا طرق الوصول اليها كمال الارتياد لكون مباديها بعيدة عن العقول والاوهام وأعلام طرقها خفية عن البصائر والافهام ثم ان عظماء الملة وعلماء الامة دونوا علم الكلام وصنفوا فيه كتبا معتبرة وأسفارا برا مطولة ومختصرة وحققوا فيها قواعد عقائد الاسلام وردوا على كل من يخالفهم من أهل البدع والضلال خصوصا على الفلاسفة الصائرين الى ما قادته أوهامهم من الخيال فانهم تتبعوا جملة أقاويلهم وأحاطوا بكل ما يرومونه من مقاصدهم ودلائلهم حتى لم يبق من مرامهم أشياء من علومهم عليهم خافية وانحوا بالقلع على ما خالفوا فيه الشرائع بايرادات كافية بل زادوا عليه وتعرضوا الكل ما زلت فيه أقدامهم أو طغت أقلامهم خالف الشرع أو لم يخالفه شكر الله تعالى مساعيهم وحقق آمالهم ومباغيهم بعمارة قواعد الشرع ومعالم الدين بحسن اهتمامهم فى بروج مشيدة وحصن حصين لا تنالها أيدى الشبه والارتياب ولا يطمع فى الوقوع فيها ذوو الضلالة والاحتلاب وان الامام المحقق حجة الاسلام أبا حامد

محمد بن محمد الغزالي برد الله مضجعه ونور بهجته ابتدع من بينهم طريقة غراء واخترع رسالة عذراء في ابطال أقاويل الحكماء وسماها تهافت الفلاسفة وبين فيها تناقض عقائدهم وضعف قواعدهم وبطلان معاقدهم وأودع غرائب نكت كانت كامنة تحت الاستار وأوضح لمن بعده طرقا فجاجا كانت مختفية عن الابصار جزاه الله عنا وعن كافة المسلمين خير الجزاء في دار القرار * ثم انى أمرت من جناب من تجب طاعته ولا يسع الا موافقته وما هو الا حضرة السلطان الاعظم والخاقان الاعلم الاكرم محرز ممالك طوائف الامم من العرب والعجم جامع مكارم الاخلاق مالك سرير الخلافة بالاستحقاق ظل الله على العالمين غياث الحق والدنيا والدين ملاذ الخلائق أجمعين السلطان أبو الفتح محمد خان ابن السلطان مراد خان ابن السلطان محمد خان لازالت سدته السنية ملجأ طوائف الانام وعتبته العلية ملاذا عن حوادث الايام الى قيام الساعة وساعة القيام بالنبي وآله الكرام وهو الذي بسط بساط الامن على بسيط الغبراء ورفع رايات العلم والكمال بعد انتكاسها الى محيط الخضراء وعمر رباع الفضل والافضال بعد اندراسها حتى أصبحت مخضرة الاطراف والارجاء وشيد قواعد العدل والانصاف وهدم أساس الجور والاعتساف ومحى آثار أهل الكفر والضلال وجعل بيوت أصنامهم مساجد يذكر فيها اسم الله بالغدو والآصال فان أردت أن أصفه حق وصفه كنت كمن يريد مساحة السماء بذرعه فالسكوت عن مدحه مدحه والاقرار بالعجز عن وصفه وصفه خلد الله أيام سلطنته الزهراء وأبد دوام دولته نظام الشريعة الغراء من قال آمين أبقى الله مهجته الى يوم الدين بان أملي كتابا على مثالها وأسعى جهدي على منوالها فبادرت الى مقتضى الاشارة وامتثلت بواجب الطاعة على حسب الطاقة مع قلة البضاعة وقصور الباع في الصناعة وتوزع البال وتشتت الحال وتراكم الاشغال وبذلت في تحريره جهد

حتى أثار ذلك أيضا نزاعا بينهم وأقومهم بالنقل والتحقيق من المتفلسفة الاسلامية الفارابي أبو نصر وابن سينا فلنقتصر على ابطال ما اختاراه ورأياه الصحيح من مذاهب رؤسائهم في الضلال فان ما هجراه واستنكفاه من المتابعة فيه لا يتمارى في اختلاله ولا يفتقر الى نظر طويل في ابطاله فليعلم انا مقتصرون على رد مذاهبهم بحسب نقل هذين الرجلين كيلا ينتشر الكلام بحسب انتشار المذاهب (مقدمة ثانية) ليعلم ان الخلاف بينهم وبين غيرهم من الفرق على ثلاثة أقسام (قسم) يرجع النزاع فيه الى لفظ مجرد كتسميتهم صانع العالم تعالى عن قولهم جوهرا مع تفسيرهم الجوهر بأنه الموجود لا في موضوع أي القائم بنفسه الذي لا يحتاج الى مقوم يقوم ذاته ولم يريدوا بالجوهر المتحيز على ما أراده خصومهم ولسنا نخوض في ابطال هذا لان معنى القائم بالنفس اذا صار متفقا عليه رجع الكلام في التعبير باسم الجوهر عن هذا المعنى الى البحث عن اللغة وأكثرهم لا يسمونه جوهرا وان سوغت اللغة اطلاقه رجع جواز اطلاقه في الشرع الى المباحث الفقهية فان تحريم اطلاق الاسامي واباحتها يؤخذ مما يدل عليه ظواهر الشرع ولعلك تقول هذا انما ذكره المتكلمون في الصفات ولم يورده الفقهاء في فن الفقه فلا ينبغي أن يلتبس عليك حقائق الامور بالعادات والمراسم فقد عرفت انه بحث عن جواز التلفظ بلفظ صدق معناه على المسمى به فهو كالبحث عن جواز فعل من الافعال ﴿القسم الثاني﴾ ما لا يصدم مذهبهم فيه أصلا من أصول الدين وليس من ضرورة تصديق الانبياء والرسل صلوات الله عليهم منازعتهم فيه كقولهم ان كسوف القمر عبارة عن انمحاء ضوء القمر بتوسط الارض بينه وبين الشمس من حيث انه يقتبس نوره من الشمس والارض كرة والسماء محيط بها من الجوانب فاذا وقع القمر في ظل الارض انقطع عنه نور الشمس وكقولهم ان كسوف الشمس معناه وقوف جرم القمر بين الناظر وبين الشمس وذلك عند اجتماعهما في العقدتين على دقيقة واحدة وهذا الفن أيضا لسنا نخوض في ابطاله اذ لا يتعلق به غرض ومن ظن أن المناظرة في ابطال هذا من الدين فقد جنى على الدين وضعف أمره فان هذه الامور يقوم عليها براهين هندسية وحسابية لا تبقى معها ريبة فمن يطلع عليها ويتحقق أدلتها حتى يخبر بسببها عن وقت الكسوفين وقدرهما ومدة بقائهما الى الانجلاء اذا قيل له ان هذا على خلاف الشرع لم يسترب فيه وانما يستريب في الشرع وضرر الشرع ممن ينصره لا بطريقه أكثر من ضرره ممن يطعن فيه بطريقه وهو كما قيل عدو عاقل خير من صديق جاهل (فان قيل) فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشمس والقمر لآيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته فاذا رأيتم ذلك فافزعوا الى ذكر الله تعالى والصلاة فكيف يلائم هذا ما قالوه (قلنا) وليس في هذا ما يناقض ما قالوه اذ ليس فيه الا نفي وقوع الكسوف لموت أحد أو لحياته والامر بالصلاة عنده والشرع الذي يأمر بالصلاة عند الزوال والغروب والطلوع من أين يبعد منه أن يأمر عند الكسوف بها استحبابا (فان قيل) فقد روى انه قال في آخر الحديث ولكن الله اذا تجلى لشئ خضع له فيدل على ان الكسوف خضوع بسبب التجلي (قلنا) هذه الزيادة لم يصح نقلها فيجب تكذيب ناقلها وانما المروي ما ذكرناه كيف ولو كان صحيحا لكان تأويله أهون من مكابرة أمور قطعية فكم من ظواهر أولت بالادلة القطعية التي لا تنتهي في الوضوح الى هذا الحد وأعظم ما يفرح به الملحدة

ان

المستطيع وان لم يدرك الضالع شأو الضليع فان وقع في حيز القبول فهو غاية المأمول ونهاية المسئول والاماني است أول من طمع في غيره طمع مني ان يكن حقا يكن أحسن المنى والا فقد عشنا بها زمنا رغدا والمرجو ممن جبل على الانصاف طبعه وعصم من الاعتساف نفسه ان يعذرني فيما زلت فيه القدم أو طغى به القلم فان استكشاف اسرار الدقائق واستيضاح أنوار الحقائق مما يتعذر مع العوائق والعلائق لاسيما اذا كانت الفكرة كليلة والبضاعة قليلة • على ان من يحكم بالخطيئة لا لاجل الحسد والعناد ولا عن هوى يعدل به عن سنن الرشاد لم يجد مخرجا صالحا لو دقق النظر ومنهجا واضحا لو لاحظ المقصد المعتبر ومن تجنب طريق العدل والانصاف وركب متن البغي والاعتساف يرفع عن القبول شامخ أنفه وان أوتي الحق الصريح الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ومع ذلك ما أبرئ نفسي عن النقص والتقصير ولا أزكيها عن ان تكون محلا للملام والتعيير فان الانسان جبل على النقصان ولكن رفع عن الامة الخطأ والنسيان ثم ان وقع في اثناء المقال ما يشير الى سهو القلم من الامام حجة الاسلام فذلك والعياذ بالله ليس ازراء به بابراز هفواته أو وضعا من رفيع قدره باظهار سقطاته وكيف واني معترف باني مغترف من فضالته ومسترشد بدلالته من فوائده ومنتفع بفرائده ومهتد بانواره ومقتف بآثاره بل نبهنا على المرام حسبما عن لي من الرد والقبول والنقض والابرام وما أحمل ذلك الا على الغلط من الناسخ لا الراسخ أو على انه لفرط اهتمامه بالمباحثة والافادة لم يتفرغ للمراجعة والاعادة مع ان تصانيف المتقدمين والمتأخرين لا تخلو عن امثال ذلك ومصداقه ما قال عز من قائل ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا والى الله أتضرع في ان يهديني سبيل الصواب ويعصمني مما يصم من الخطل والاضطراب وهو حسبي ونعم الوكيل ﴿اعلم﴾ ان الفلاسفة وضعوا الموجودات أنواعا

ان يصرح ناصر الشرع بأن هذا وأمثاله على خلاف الشرع فيسهل عليه طريق ابطال الشرع ان كان شرطه أمثال ذلك وهذا لان البحث في العالم عن كونه حادثا أو قديما ثم اذا ثبت حدوثه فسواء كان كرة أو بسيطا أو مثمنا أو مسدسا وسواء كانت السموات وما تحتها ثلاثة عشر طبقة كما قالوه أو أقل أو أكثر فنسبة النظر فيه الى البحث الالهي كنسبة النظر الى طبقات البصل وعددها وعدد حب الرمان فالمقصود كونها من فعل الله فقط كيفما كانت ﴿القسم الثالث﴾ ما يتعلق النزاع فيه بأصل من أصول الدين كالقول في حدوث العالم وصفات الصانع وبيان حشر الاجساد والابدان وقد أنكروا جميع ذلك فهذا الفن ونظائره هو الذي ينبغي أن يظهر فساد مذهبهم فيه دون ما عداه (مقدمة ثالثة) ليعلم ان المقصود تنبيه من حسن اعتقاده في الفلاسفة وظن أن مسالكهم نقية عن التناقض ببيان وجوه تهافتهم فلذلك انا لا أدخل في الاعتراض عليهم الا دخول مطالب منكر لا دخول مدع مثبت فابطل عليهم ما اعتقدوه مقطوعا به بالزامات مختلفة فالزمهم تارة مذهب المعتزلة وأخرى مذهب الكرامية وطورا مذهب الواقفية ولا انتهض ذابا عن مذهب مخصوص بل أجعل جميع الفرق ألبا واحدا عليهم فان سائر الفرق ربما خالفونا في التفصيل وهؤلاء يتعرضون لاصول الدين فلنتظاهر عليهم فعند الشدائد تذهب الاحقاد (مقدمة رابعة) من عظائم حيل هؤلاء في الاستدراج اذا أورد عليهم اشكال في معرض الحجاج قولهم ان هذه العلوم الالهية غامضة خفية وهي أعصى العلوم على الافهام الذكية ولا يتوصل الى معرفة الجواب عن هذه الاشكالات الا بتقديم الرياضيات والمنطقيات فمن يقلدهم في كفرهم ان خطر له اشكال على مذهبهم يحسن الظن بهم ويقول لا شك في أن علومهم مشتملة على حله وانما يعسر علي دركه لاني لم أحكم المنطقيات ولم أحصل الرياضيات (فنقول) أما الرياضيات التي هي نظر في الكم المنفصل وهو الحساب فلا تعلق لها بالالهيات وقول القائل ان الالهيات يحتاج اليها أخرق كقول القائل ان الطب والنحو واللغة يحتاج اليها أو الحساب يحتاج الى الطب وأما الهندسيات التي هي نظر في الكم المتصل يرجع حاصله الى بيان ان السموات وما تحتها الى المركز كروي الشكل وبيان عدد طبقاتها وبيان عدد الاكر المتحركة في الافلاك وبيان مقدار حركاتها فلنسلم لهم جميع ذلك جدلا أو اعتقادا فلا يحتاجون الى اقامة البراهين عليه ولا يقدح ذلك في شيء من النظر الالهي وهو كقول القائل العلم بان هذا البيت حصل بصنع صانع بناء عالم مريد قادر حي يفتقر الى ان يعرف ان البيت مسدس أو مثمن وان يعرف عدد جذوعه وعدد لبناته وهو هذيان لا يخفى فساده وكقول القائل لا يعرف كون هذه البصلة حادثة ما لم يعرف عدد طبقاتها ولا يعرف كون هذه الرمانة حادثة ما لم يعرف عدد حباتها وهو هجر من الكلام مستغث عند كل عاقل نعم قولهم ان المنطقيات لابد من احكامها فهو صحيح ولكن المنطق ليس مخصوصا بهم وانما هو الاصل الذي نسميه في فن الكلام كتاب النظر فغيروا عبارته الى المنطق تهويلا وقد نسميه كتاب الجدل وقد نسميه مدارك العقول فاذا سمع المتكايس والمستضعف اسم المنطق ظن أنه فن غريب لا يعرفه المتكلمون ولا يطلع عليه الا الفلاسفة ونحن لدفع هذا الخيال واستئصال هذه الحيلة في الاضلال نرى ان نفرد القول في مدارك العقول في غير هذا الكتاب ونهجر فيه ألفاظ المتكلمين والاصوليين بل نوردها بعبارات المنطقيين ونصبها في قوالبهم

ويقتفي آثارهم لفظا ولفظا وسطرا سطرا في هذا الكتاب بلغتهم أعني بعباراتهم في المنطق ونوضح ان ماشرطوه في صحة مادة القياس في قسم البرهان من المنطق وماشرطوه في صورته في كتاب القياس وما وضعوه من الاوضاع في ايساغوجي وقاطيغورياس التي هي من أجزاء المنطق ومقدماته لم يتمكنوا من الوفاء بشيء منه في علومهم الالهية ولكنا نرى ان نفرد مدارك العقول في غير هذا الكتاب فانه كالآلة لدرك مقصود هذا الكتاب ونفرد له كتابا مفردا يرجع اليه ولكن رب ناظر يستغني عنه في الفهم فيؤخره حتى يعرض عنه من لا يحتاج اليه ومن لا يفهم ألفاظنا في آحاد المسائل في الرد عليهم فينبغي ان يبتدئ أولا بحفظ الكتاب الذي نسميه معيار العلم الذي هو الملقب بالمنطق عندهم (ولنذكر الآن) بعد المقدمات فهرست المسائل التي أظهرنا تناقض مذهبهم فيها في هذا الكتاب وهي عشرون مسئلة (المسئلة الاولى) في ابطال مذهبهم في أزلية العالم (المسئلة الثانية) في ابطال مذهبهم في أبدية العالم (الثالثة) في بيان تلبيسهم في قولهم ان الله صانع العالم وان العالم صنعه (الرابعة) في تعجيزهم عن اثبات الصانع (الخامسة) في تعجيزهم عن اقامة الدليل على استحالة الهين (السادسة) في ابطال مذهبهم في نفي الصفات (السابعة) في ابطال قولهم ان ذات الاول لا ينقسم بالجنس والفصل (الثامنة) في ابطال قولهم ان الاول موجود بسيط بلا ماهية (التاسعة) في تعجيزهم عن بيان ان الاول ليس بجسم (العاشرة) في بيان ان القول بالدهر ونفي الصانع لازم لهم (الحادية عشرة) في تعجيزهم عن القول بأن الاول يعلم غيره (الثانية عشرة) في تعجيزهم عن القول بان الاول يعلم ذاته (الثالثة عشرة) في ابطال قولهم ان الاول لا يعلم الجزئيات (الرابعة عشرة) في ابطال قولهم ان السماء حيوان متحرك بالارادة (الخامسة عشرة) في ابطال ماذكروه من الغرض المحرك للسماء (السادسة عشرة) في ابطال قولهم ان نفوس السموات تعلم جميع الجزئيات الحادثة في هذا العالم (السابعة عشرة) في ابطال قولهم باستحالة خرق العادات (الثامنة عشرة) في تعجيزهم عن اقامة البرهان العقلي على ان نفس الانسان جوهر قائم بنفسه ليس بجسم ولا عرض (التاسعة عشرة) في ابطال قولهم باستحالة الفناء على النفوس البشرية (العشرون) في ابطال انكارهم البعث وحشر الاجساد مع التلذذ والتألم في الجنة والنار باللذات والآلام الجسمانية (فهذا) ما أردنا ان نذكر تناقضهم فيه من جملة علومهم الالهية والطبيعية (وأما الرياضيات) فلا معنى لانكارها ولا للمخالفة فيها فانها ترجع الى الحساب والهندسة (وأما المنطقيات) فهي نظر في آلة الفكر في المعقولات ولا يتفق فيه خلاف به مبالاة وسنورد في كتاب معيار العلم جملة ما يحتاج اليه لفهم مضمون هذا الكتاب ان شاء الله تعالى (مسئلة) في ابطال قولهم بقدم العالم وتفصيل المذاهب اختلفت الفلاسفة في قدم العالم والذي استقر عليه رأي جماهيرهم المتقدمين والمتأخرين القول بقدمه وانه لم يزل موجودا مع الله تعالى ومعلولا له ومساوقا له غير متأخر عنه بالزمان مساوقة المعلول للعلة ومساوقة النور للشمس وان تقدم البارى تعالى عليه كتقدم العلة على المعلول وهو تقدم بالذات والرتبة لا بالزمان (وحكى عن أفلاطون) انه قال العالم مكون محدث ثم منهم من أول كلامه وأبى أن يكون حدوث العالم معتقدا له (وذهب) جالينوس في آخر عمره في كتابه الذي سماه ما يعتقده جالينوس رأيا الى التوقف في هذه المسئلة وانه لا يدري العالم قديم أو محدث وربما دل

وأجناسا وبحثوا عن أحوالها حيث ما وصل اليه عقولهم تفصل لهم علوم متشعبة وفنون متكثرة وبيانها على الاجمال هو ان الحكمة تنقسم بالقسمة الاولى الى نظرية وعملية لانها ان تعلقت بما لقدرتنا تأثير فيه فهي الحكمة العملية والا فالنظرية والعملية اما ان تختص بالشخص وحده أولا تختص فالمختصة هي علم الاخلاق وغير المختصة ان كان باعتبار مشاركة أهل المنزل فقط فهو علم تدبير المنزل والا فهو تدبير المدينة والنظرية اما أن تكون علما بما يتجرد عن المادة الجسمانية في الوجودين أولا تكون والاول هو العلم الاعلى ويسمى أيضا بالعلم الكلي وبالفلسفة الاولى وبعلم ما بعد الطبيعة والعلم الالهي والذي لا يكون ان صح تجرده معلومه عنها في الذهن فقط فهو الحكمة الوسطى ويسمى بالعلم الرياضي أيضا والا فهو العلم الطبيعي ويسمى أيضا بالعلم الاسفل وهذه هي أصول الحكمة وأما فروعها فالعلم بكيفية الوحي وعلم أحوال المعاد الروحاني وهما فرعان للعلم الاعلى وعلم الجمع والتفريق وعلم الجبر والمقابلة وعلم المساحة وعلم جر الاثقال وعلم الاوزان والموازين وعلم الآلات الجزئية وعلم المناظر وعلم المرايا وعلم نقل المياه وعلم الزيجات والتقاويم وعلم اتخاذ آلات الالحان وعلم الحيل الهندسية وهي فروع العلم الرياضي وعلم الطب وعلم أحكام النجوم وعلم الفراسة وعلم التعبير وعلم الطلسمات وعلم النيرنجات وعلم الكيمياء وهي فروع العلم الطبيعي وليس يتعلق غرضنا بالابطال في هذه الرسالة الا بالقسمين منها أعني الطبيعي والالهي لان المخالفة لما ثبت من القواعد الشرعية والعقائد الدينية مقصورة عليهما وأما الحكمة الوسطى فالهندسيات والحسابيات منها لا تعلق لها بالشرع أصلا مع كون مباديها متسقة منتظمة يحكم الوهم فيها على طاعة من العقل فلا يقع فيهما الغلط وأما الهيئة فاكثر ماذكروا فيها من عظم أمر السموات وعجيب خلقها وبديع صنعها أمر شهد به الامارات ودل عليه العلامات من غير اخلال بما ثبت

على

عن القواعد الشرعية والعقائد الدينية بل قد ينتفع بعض مسائلها في الشرعيات كتعدد المشارق والمغارب واختلاف المطالع وأمر القبلة وأوقات الصلوات وغير ذلك وبعضها مما يعين على التفكر في خلق السموات والارض المؤدى الى مزيد اطلاع ببدائع حكمة الصانع وباهر قدرته وان وقع فيها شئ مما يخالف ظاهر الشرع فانهم بنوا اثبات ذلك على مقدمات طبيعية والهية لا يتيسر لهم اثباتها فلا يثبت ما يبتنى عليها من مسائل الهية فلا حاجة لنا الى التعرض لها بالاستقلال فنريد ٧ ، ان نحكى في هذه الرسالة من قواعدهم الطبيعية والالهية ما أورده الامام حجة الاسلام مع بعض آخر مما لم يورده بادلتها المعوّل عليها عندهم على وجهها ثم نبطلها ارغاما للمتفلسفة المبطلين واعظاما لاهل الحق واليقين وانتقاما من الذين أجرموا وكان حقا علينا نصر المؤمنين وهى مشتملة على اثنين وعشرين فصلا (الاوّل) في ابطال قولهم المبدأ الاول موجب بالذات لا فاعل بالاختيار (الثانى) في ابطال قولهم بقدم العالم (الثالث) في ابطال قولهم في أبدية العالم (الرابع) في ابطال قولهم الواحد لا يصدر عنه الا الواحد (الخامس) في ابطال قولهم في كيفية صدور العالم المركب من المختلفات عن المبدا الواحد (السادس) في تعجيزهم عن الاستدلال على وجود الصانع للعالم (السابع) في بيان عجزهم عن اقامة الدليل على وحدانية الواجب (الثامن) في ابطال ان الواحد لا يكون قابلا وفاعلا لشئ واحد (التاسع) في ابطال مذهبهم في نفى الصفات (العاشر) في تعجيزهم عن اثبات قولهم ان ذات الاول لا ينقسم بالجنس والفصل (الحادى عشر) في تعجيزهم عن اثبات قولهم ان وجود الاول عين ماهيته (الثانى عشر) في تعجيزهم عن اثبات ان الاول ليس بجسم (الثالث عشر) في تعجيزهم عن القول بان الاول يعلم غيره بنوع كلى (الرابع عشر) في تعجيزهم عن القول ان الاول يعلم ذاته (الخامس عشر) في ابطال قولهم ان الاول لا يعلم الجزئيات (السادس عشر) في ابطال قولهم ان السماء متحرك بالارادة (السابع عشر) في ابطال

على انه لا يمكن ان يعرف وان ذلك ليس لقصور فيه بل لاستعصاء هذه المسئلة في نفسها على العقل ولكن هذا كالشاذ في مذهبهم وانما مذهب جميعهم انه قديم وانه بالجملة لا يتصور ان يصدر حادث عن قديم بغير واسطة أصلا (ايراد أدلتهم) لو ذهبت أصف ما نقل عنهم في معرض الادلة وما ذكر في الاعتراض عليه لسودت في هذه المسئلة اوراقا ولكن لا خير في التطويل فلنحذف من أدلتهم ما يجرى مجرى التحكم أو التخيل الضعيف الذى يهون على كل ناظر حله ولنقتصر على ايراد ما له موقع في النفس مما يجوز أن ينهض مشككا لفحول النظار فان تشكيك الضعفاء بادنى خيال ممكن ولهذا الفن من الادلة ثلاثة (الاوّل) قولهم يستحيل صدور حادث من قديم مطلقا لانا اذا فرضنا القديم ولم يصدر منه العالم مثلا فانما لم يصدر لانه لم يكن للوجود مرجح بل كان وجود العالم ممكنا امكانا صرفا فاذا حدث بعد ذلك لم يخل اما ان تجدد مرجح أو لم يتجدد فان لم يتجدد مرجح بقى العالم على الامكان الصرف كما كان قبل ذلك وان تجدد مرجح فمن محدث ذلك المرجح ولم حدث الآن ولم يحدث من قبل فالسؤال في حدوث المرجح قائم وبالجملة فأحوال القديم اذا كانت متشابهة فاما أن لا يوجد عنه شئ قط واما ان يوجد على الدوام فاما أن يتميز حال الترك عن حال الشروع فهو محال (وتحقيقه) ان يقال لم يحدث العالم قبل حدوثه لا يمكن ان يحال على عجزه عن الاحداث ولا على استحالة الحدوث فان ذلك يؤدى الى ان ينقلب القديم من العجز الى القدرة والعالم من الاستحالة الى الامكان وكلاهما محالان ولا يمكن ان يقال لم يكن قبله غرض ثم تجدد غرض ولا يمكن أن يحال على فقد آلة ثم على وجودها بل أقرب ما يتخيل ان يقال لم يرد وجوده قبل ذلك فيلزم أن يقال حصل وجوده لانه صار مريدا لوجوده بعد ان لم يكن مريدا فيكون قد حدثت الارادة وحدوثها في ذاته محال لانه ليس محل الحوادث وحدوثه لا في ذاته لا يجعله مريدا ولنترك النظر في محل حدوثه أليس فاعل الاشكال في أصل حدوثه وانه من أين حدث ولم حدث الآن ولم يحدث قبله أحدث الآن لا من جهة الله فان جاز حدوث حادث من غير محدث فليكن العالم حادثا لا صانع له والا فاى فرق بين حادث وحادث وان حدث باحداث الله فلم حدث الآن ولم يحدث قبل العدم آلة أو قدرة أو غرض أو طبيعة فلما ان تبدل ذلك بالوجود حدث وعاد الاشكال بعينه أو لعدم الارادة الاولى فتفتقر الارادة الى ارادة كالارادة الاولى ويتسلسل الى غير نهاية فاذن قد تحقق بالقول المطلق ان صدور الحادث من القديم من غير تغير أمر من القديم من قدرة أو آلة أو وقت أو غرض أو طبع محال وتقدير تغير القديم محال لان الكلام في ذلك التغير الحادث كالكلام في غيره والكل محال ومهما كان العالم موجودا واستحال حدوثه ثبت قدمه لا محالة فهذا أخيل أدلتهم وبالجملة كلامهم في سائر مسائل الالهيات أرك من كلامهم في هذه المسئلة اذ يقدرون ههنا على فنون من التخييل لا يتمكنون منه في غيرها ولذلك قدمنا هذه المسئلة وقدمنا أقوى أدلتهم والاعتراض من وجهين (أحدهما) ان يقال لم تنكرون على من يقول ان العالم حدث بارادة قديمة اقتضت وجوده في الوقت الذى وجد فيه وان يستمر العدم الى الغاية التى استمر اليها وان يبتدأ الوجود من حيث ابتدئ وان الوجود قبله لم يكن مرادا فلم يحدث لذلك وأنه في وقته الذى حدث فيه مراد بالارادة القديمة فحدث لذلك فما المانع لهذا الاعتقاد وما المحيل له (فان قيل) هذا محال بين الاحالة لان الحادث موجب ومسبب وكما يستحيل حادث بغير سبب

ماذكروه من الغرض المحرك للسماء (الثامن عشر) في ابطال قولهم ان نفوس السموات مطلعة على الجزئيات الحادثة في هذا العالم (التاسع عشر) في ابطال قولهم بوجوب الاقتران وامتناع الانفكاك بين الاشياء العادية والمسببات (العشرون) في تعجيزهم عن اثبات ان نفس الانسان جوهر مجرد قائم بذاته (الحادي والعشرون) في ابطال قولهم باستحالة الفناء على النفوس البشرية (الثاني والعشرون) في ابطال قولهم بنفي البعث وحشر الاجساد والله الهادي الى سبيل الرشاد

٨

﴿الفصل الاول في ابطال قولهم المبدأ الاول موجب بالذات﴾ ذهب أرباب الملل والشرائع من أهل الاسلام وغيرهم الى انه تعالى قادر مختار على معنى انه يصح منه ايجاد العالم وتركه وليس شيء منهما لازما لذاته بحيث يستحيل انفكاكه عنه وترجيح الفعل انما هو بارادته وخالفت الفلاسفة في ذلك وقالوا انه موجب بالذات لا بمعنى ان فاعليته كفاعلية المجبورين من ذوي الطبائع الجسمانية كاحراق النار واشراق الشمس بل على معنى انه تعالى تام في فاعليته يجب منه ما تم استعداده للوجود من غير انبعاث قصد وطلب مع علمه بمعلوله ورضوه عنه فهو الجواد الحق والفياض المطلق وما يتوهم من انه لا خلاف بين المتكلمين والفلاسفة في كونه تعالى قادرا مختارا فان الكل متفقون عليه بل الخلاف في ان الفعل هل يجامع القدرة والارادة أولا فذهبت الفلاسفة الى ان الفعل يجب مقارنته للقدرة والارادة لامتناع تخلف المعلول عن العلة التامة وذهب المتكلمون الى انه يجب تأخر الفعل عنهما لوجوب عدم الفعل حال ما يقصد اليه والا يلزم طلب حصول الحاصل وليس شيء بل الخلاف ثابت بيننا وبينهم في القدرة بمعنى صحة الفعل والترك فانهم يقولون ان تمثل نظام جميع الموجودات من الازل الى الابد في علمه تعالى مع الاوقات المترتبة الغير المتناهية التي يجب وتليق ان يقع كل موجود منها في واحد من تلك الاوقات لازم

وموجب يستحيل أيضا وجود موجب قد تم شرائط ايجابه وأركانه وأسبابه حاصلة حتى لم يبق شيء منتظر ألبتة ثم تأخر عنه الموجب بل وجود الموجب عند تحقق الموجب بتمام شروطه ضروري وتأخره محال حسب استحالة وجود الحادث الموجب بلا موجب فقبل وجود العالم كان المريد موجودا والارادة موجودة ونسبتها الى المراد موجودة ولم يتجدد مريد ولم تتجدد ارادة ولا تجدد للارادة نسبة لم تكن قبل فان كل ذلك تغير فكيف تجدد المراد وما المانع من التجدد قبل ذلك وحال التجدد لم يتميز عن الحال السابق في شيء من الاشياء وأمر من الامور وحال من الاحوال ونسبة من النسب بل الامور كما كانت بعينها ثم لم يكن وجد المراد وبقيت هي بعينها كما كانت فوجد المراد ما هذا الا غاية الاحالة وليس استحالة هذا الجنس في الموجب والموجب الضروري الذاتي بل وفي العرفي والوضعي فان الرجل لو تلفظ بطلاق زوجته ولم تحصل البينونة في الحال لم يتصور ان تحصل بعده لانه جعل اللفظ علة للحكم بالوضع والاصطلاح لم يعقل تأخير المعلول الا ان يعلق الطلاق بمجيء الغد او بدخول الدار فلا يقع في الحال ولكن يقع عند مجيء الغد او عند دخول الدار فانه جعله علة بالاضافة الى شيء منتظر فلما لم يكن حاضرا في الوقت وهو الغد والدخول توقف حصول الموجب على حضور ما ليس بحاضر فما حصل الموجب الا وقد تجدد أمر وهو الدخول وحضور الغد حتى لو أراد ان يؤخر الموجب عن اللفظ غير منوط بحصول ما ليس بحاصل لم يعقل مع انه الواضع وانه المختار في تفصيل الوضع فاذن لم يمكننا وضع هذا بشهوتنا ولم نعقله فكيف نعقله في الايجابات الذاتية العقلية الضرورية وأما في العادات فما يحصل بقصد بالا يتأخر عن القصد مع وجود القصد اليه الا لمانع فان حقت القصد والقدرة وارتفعت الموانع لم يعقل تأخر المقصود وانما يتصور ذلك في العزم لان العزم غير كاف في وجود الفعل بل العزم على الكتابة لا يوقع الكتابة ما لم يتجدد قصد هو انبعاث في الانسان متجدد حال الفعل فان كانت الارادة القديمة في حكم قصدنا الى الفعل فلا يتصور تأخر المقصود الا لمانع ولا يتصور تقدم القصد فلا يعقل قصد في اليوم الى قيام في الغد الا بطريق العزم وان كانت الارادة القديمة في حكم عزمنا فليس ذلك كافيا في وقوع المعزوم بل لابد من تجدد انبعاث قصدي عند الايجاد وفيه قول بتغير القديم ثم يبقى عين الاشكال في ان ذلك الانبعاث أو القصد أو الارادة أو ما شئت سمه لم حدث الآن ولم يحدث قبل ذلك فاما ان يبقى حادث بلا سبب أو يتسلسل الى غير نهاية فرجع حاصل الكلام الى انه وجد الموجب بتمام شروطه ولم يبق أمر منتظر ومع ذلك تأخر الموجب ولم يوجد في مدة لا يرتقي الوهم الى أولها بل آلاف سنين ولا ينقص شيء منها ثم انقلب الموجب موجودا بغتة من غير أمر تجدد وشرط تحقق وهو محال في نفسه (والجواب) ان يقال استحالة ارادة قديمة متعلقة باحداث شيء أي شيء كان تعرفونه لضرورة العقل أو نظره وعلى لغتكم في المنطق أتعرفون الالتقاء بين هذين الحدين بحد أوسط او بغير حد أوسط فان ادعيتم حدا أوسط وهو الطريق النظري فلابد من اظهاره وان ادعيتم معرفة ذلك ضرورة فكيف لم يشارككم في معرفته مخالفوكم والفرقة المعتقدة لحدوث العالم بارادة قديمة لا يحصرها بلد ولا يحصيها عدد ولا شك في انهم لا يكابرون العقول عنادا مع المعرفة فلابد من اقامة برهان على شرط المنطق يدل على استحالة ذلك اذ ليس في جميع ما ذكرتموه الا الاستبعاد المجرد والتمسك بعزمنا وارادتنا وهو فاسد ولا تضاهي الارادة القديمة القصود الحادثة وأما الاستبعاد

المجرد

المجرد فلا يكفي من غير برهان (فان قيل) نحن بضرورة العقل نعلم انه لا يتصور موجب بتمام شروطه من غير موجب ونحو بذلك مكابرة الضرورة العقل (قلنا) وما الفصل بينكم وبين خصومكم اذا قالوا لكم انا بالضرورة نعلم احالة قول من يقول ان ذاتا واحدة عالمة بجميع الكليات من غير أن يوجب ذلك كثرة في ذاته ومن غير أن يكون العلم زيادة على الذات ومن غير أن يتعدد العلم مع تعدد المعلوم وهذا مذهبكم في حق الله تعالى وهو بالنسبة الينا والى علومنا في غاية الاحالة ولكن يقولون لا يقاس العلم القديم بالحادث وطائفة منكم استشعروا احالة هذا فقالوا ان الله لا يعلم الا نفسه فهو العاقل وهو العقل وهو المعقول والكل واحد فلو قال قائل اتحاد العقل والعاقل والمعقول معلوم الاستحالة بالضرورة اذ تقدير صانع للعالم لا يعلم صنعه محال بالضرورة والقديم اذا لم يعلم الا نفسه تعالى عن قولكم وعن قول جميع الزائغين علوا كبيرا لم يكن يعلم صنعه ألبتة بل لا يتجاوز الزامات هذه المسئلة فنقول بم تنكرون على خصومكم اذ قالوا قدم العالم محال لانه يؤدي الى اثبات دورات للفلك لا نهاية لاعدادها ولا حصر لآحادها مع ان لها سدسا وربعا ونصفا فان فلك الشمس يدور في سنة وفلك زحل في ثلاثين سنة فتكون أدوار زحل ثلث عشر أدوار الشمس وأدوار المشتري نصف سدس أدوار الشمس فانه يدور في اثنتي عشرة سنة ثم انه كما لا نهاية لاعداد دورات زحل لا نهاية لاعداد دورات الشمس مع انه ثلث عشر بل لا نهاية لادوار فلك الكواكب الذي يدور في ستة وثلاثين ألف سنة مرة واحدة كما لا نهاية للحركة المشرقية التي للشمس في اليوم والليلة مرة فلو قال قائل هذا مما يعلم استحالته ضرورة فبماذا تنفصلون عن قوله بل لو قال قائل اعداد هذه الدورات شفع أو وتر أو شفع ووتر جميعا أو لا شفع ولا وتر فان قلتم شفع ووتر جميعا أو لا شفع ولا وتر فيعلم بطلانه ضرورة وان قلتم شفع فالشفع يصير وترا بواحد فكيف أعوز ما لا نهاية له واحدا وان قلتم وترا فالوتر يصير بواحد شفعا فكيف أعوزه ذلك الواحد الذي به يصير شفعا فيلزمكم القول بأنه ليس بشفع ولا وتر (فان قيل) انما يوصف بالشفع والوتر المتناهي وما لا يتناهى لا يوصف به (قلنا) فجملة مركبة من آحاد لها سدس وعشر كما سبق ثم لا يوصف بشفع ولا وتر يعلم بطلانه ضرورة من غير نظر فيه اذا بم تنفصلون عن هذا (فان قيل) محل الغلط في قولكم انه جملة مركبة من آحاد فان هذه الدورات معدومة أما الماضي فقد انقرض وأما المستقبل فلم يوجد والجملة اشارة الى موجودات حاضرة ولا موجود ههنا (قلنا) العدد ينقسم الى الشفع والوتر ويستحيل أن يخرج عنه سواء كان المعدود موجودا باقيا أو فانيا فاذا فرضنا عددا من الافراس لزمنا أن نعتقد أنه لا يخلو من كونه شفعا أو وترا سواء قدرناها موجودة أو معدومة فان انعدمت بعد الوجود لم تتغير هذه القضية * على انا نقول لهم لا يستحيل على أصلكم موجودات حاضرة هي آحاد متغايرة بالوصف ولا نهاية لها وهي نفوس الآدميين المفارقة للابدان بالموت فهي موجودات لا توصف بالشفع ولا بالوتر فبم تنكرون على من يقول بطلان هذا يعرف ضرورة كما ادعيتم بطلان تعلق الارادة القديمة بالاحداث ضرورة وهذا الرأي في النفوس هو الذي اختاره ابن سينا ولعله مذهب ارسطاطاليس (فان قيل) فالصحيح رأي أفلاطن وهو ان النفس قديمة وهي واحدة وانما تنقسم في الابدان فاذا فارقتها عادت الى أصلها واتحدت (قلنا) هذا أقبح وأشنع وأولى أن يعتقد مخالفا لضرورة العقل فانا نقول

لذاته لا يتصور تخلفه ويقتضي افاضة ذلك النظام على ذلك الترتيب والتفصيل بحيث لا يجوز عدم افاضته أصلا وهذا التمثيل يقوّونه عناية أزلية وبعضهم يسميه ارادة ونحن نقول بصحة الترك وعدم لزوم الافاضة والصدور بل نقول لزوم الصدور بحيث لا يصح منه تركه نقص لا يليق بجناب كبريائه نعم قد يقع في كلامهم انه تعالى قادر مختار لكن لا بمعنى صحة الفعل والترك على ما يقول به المليون بل بمعنى ان شاء فعل وان لم يشأ لم يفعل وهذا المعنى متفق عليه بين الفريقين الا ان الحكماء ٩ ذهبوا الى ان مشيئة الفعل لازمة لذاته فيستحيل الانفكاك بينهما فمقدم الشرطية الاولى واجب صدقه ومقدم الشرطية الثانية ممتنع صدقه وكلتا الشرطيتين صادقتان في حق الباري تعالى لان صدق الشرطية لا يقتضي صدق الطرفين ولا صدق أحدهما وهذا هو المراد من قول بعض الفضلاء ان الحكماء لم يذهبوا الى انه تعالى ليس بقادر مختار بل ذهبوا الى ان قدرته واختياره لا يوجبان كثرة في ذاته وان فاعليته ليست كفاعلية المختارين من الحيوانات وأقوى ما احتجوا به عليه هو أن المبدأ الاول ان كان فاعلا بالقدرة دون الايجاب وتعلق قدرته باحد مقدوريه دون الآخر ان افتقر الى مرجح ينقل الكلام الى تأثيره في ذلك المرجح لان نسبتها اليه والى ضده على السواء فيفتقر الى مرجح آخر وهلم جرا فيلزم التسلسل في المرجحات وان لم يفتقر لزم استغناء الممكن عن المؤثر لان نسبة القدرة الى الضدين على السوية وقد تعلقت باحدهما من غير مرجح وانه يسد باب اثبات الصانع اذ يجوز حينئذ ان يترجح وجود الممكن من غير مرجح وجوابه انا لا نسلم ان تعلق القدرة باحد المقدورين دون الآخر ان افتقر الى مرجح لزم التسلسل لجواز ان يكون المرجح هو الارادة التي تتعلق باحد المتساويين لذاتها من غير احتياج الى مرجح آخر ﴿فان قلت﴾ نسبة الارادة الى الضدين ان كانت كنسبة القدرة اليهما على السوية فتعلقها باحدهما ان لم يحتج الى مرجح فقد

ترجح أحد المتساويين على الآخر وانه يسد باب اثبات الصانع وان احتاج لزم التسلسل وان لم تكن نسبتها اليهما على السوية بل كان
تعلقها باحدهما لذاتها لم يتصور تعلقها بالآخر لاستحالة زوال ما بالذات وترجيح الضدين معا فيلزم الايجاب ﴿قلت﴾ نختار ان نسبة
الارادة الى الضدين على السوية قوله فتعلقها بأحدهما ان لم يحتج الى مرجح فقد ترجح أحد المتساويين على الآخر ممنوع بل اللازم
ترجيح القادر أحد المتساويين على الآخر من غير داع يدعو الى ترجيحه واختياره وهو غير الترجيح بلا مرجح أى بلا مؤثر
أصلا مغايرة ظاهرة وغير
ملتزم له ولا يلزم انسداد
باب اثبات الصانع فان
العلم بوجود الواجب مبنى
على بطلان الترجيح
بلا مرجح أى بلا مؤثر
لا على بطلان ترجيح القادر
المريد أحد مقدوريه
المتساويين على الآخر
بارادة من غير أمر داع الى
تلك الارادة اذ العمدة فيه
انه لا شك فى وجود
موجود فان كان واجبا فهو
المطلوب وان كان ممكنا
فلابد له من موجد
ضرورة امتناع ترجح أحد
طرفى الممكن بلا مرجح
فننقل الكلام الى
موجده فاما ان يتسلسل
وهو محال أو ينتهى الى
الواجب وهو المطلوب
﴿فان قلت﴾ ما ذكرته
من ترجيح الفاعل أحد
المتساويين على الآخر
انما هو بالنسبة الى الفعل
المقدور وأما بالنسبة الى
تعلق الارادة فالترجيح لا
مرجح لازم قطعا لانه أمر
ممكن وقع من غير مرجح
﴿قلت﴾ ان أريد بوقوع
تعلق الارادة من غير
مرجح وقوعه من غير فاعل
فممنوع بل ذاته تعالى فاعل لتعلق ارادته وان أريد وقوعه وكونه
من غير داعية فمسلم ولكن ليس يلزم منه الترجيح بلا مرجح بمعنى حصول الممكن بلا فاعل بل اللازم هو الترجيح من غير مرجح أى
بلا داعية ولا نسلم استحالته ﴿فان قلت﴾ اذا كان تعلق الارادة لاحد الضدين فملا لذات المريد فتأثيره فيه اما بالارادة أو بالايجاب
اذ الفعل الصادر عن الفاعل لا يخلو عنهما فان كان الاول لزم التسلسل وان كان الثانى يلزم كونه موجبا لان الفعل اذا كان واجب التعلق

نفس زيد عين نفس عمرو أو غيره فان كان عينه فهو باطل بالضرورة فان كل واحد يشعر بنفسه
و يعلم انه ليس هو نفس غيره ولو كان هو عينه لتساويا فى العلوم التى هى صفات ذاتية للنفوس داخلة
مع النفوسية فى كل اضافة (وان قلتم) انه غيره وانما انقسم بالتعلق بالابدان (قلنا) وانقسام الواحد
الذى ليس له عظم فى الحجم وكمية مقدارية محال بضرورة العقل فكيف يصير الواحد اثنين بل ألفا
بل آلافا ثم يعود ويصير واحدا بل هذا يعقل فيما له عظم وكمية وتكثر وكماء البحر ينقسم فى الجداول
والانهار ثم يعود الى البحر فأما ما لا كمية له فكيف ينقسم والمقصود من هذا كله أن نبين انهم لم
يعجزوا خصومهم عن معتقدهم فى تعلق الارادة القديمة بالاحداث الا بدعوى الضرورة فانهم
لا ينفصلون عمن يدعى الضرورة عليهم فى هذه الامور على خلاف معتقدهم وهذا لا محرج عنه (فان
قيل) هذا ينقلب عليكم فى أن الله تعالى قبل خلق العالم كان قادرا على الخلق بقدر سنة وسنتين
ولا نهاية لقدرته فكأنه صبر ولم يخلق ثم خلق ومدة الترك متناهية أو غير متناهية فان قلتم متناهية
صار وجود البارى متناهى الاول وان قلتم غير متناهية فقد انقضت مدة فيها امكانات لا نهاية
لاعدادها (قلنا) المدة والزمان مخلوقان عندنا وسنبين حقيقة الجواب عن هذا فى الانفصال عن
دليلهم الثانى (فان قيل) فبم تنكرون على من يترك دعوى الضرورة ويدل عليه من وجه آخر
وهو ان الاوقات متساوية فى جواز تعلق الارادة بها فما الذى ميز وقتا معينا عما قبله وعما بعده وليس
محالا أن يكون التقدم والتأخر مرادا بل فى البياض والسواد والحركة والسكون فانكم تقولون يحدث
البياض بالارادة القديمة والمحل قابل للسواد قبوله للبياض فلم تعلقت الارادة القديمة بالبياض دون
السواد وما الذى ميز أحد الممكنين عن الآخر فى تعلق الارادة به ونحن بالضرورة نعلم ان الشئ لا يتميز
عن مثله الا بمخصص ولو جاز ذلك لجاز أن يحدث العالم وهو ممكن الوجود كما انه ممكن العدم ويتخصص
جانب الوجود المماثل لجانب العدم فى الامكان بغير مخصص (وان قلتم) ان الارادة خصصت فالسؤال
عن اختصاص الارادة وانها لم اختصت (فان قلتم) القديم لا يقال له لم فليكن العالم قديما ولا يطلب
صانعه وسببه لان القديم لا يقال فيه لم فان جاز تخصص القديم بالاتفاق بأحد الممكنين فغاية المستبعد أن
يقال العالم مخصوص بهيئة مخصوصة كان يجوز أن يكون على هيئة أخرى بدلا عنها فيقال وقع كذلك
اتفاقا كما قلتم اختصت الارادة بوقت دون وقت وهيئة دون هيئة اتفاقا (فان قلتم) ان هذا السؤال غير
لازم لانه وارد على كل ما يريده وعائد على كل ما يقدره فنقول لا بل هذا السؤال لازم لانه عائد فى كل
وقت وملازم لمن خالفنا على كل تقدير (قلنا) انما وجد العالم حيث وجد على الوصف الذى وجد وفى
المكان الذى وجد بالارادة القديمة والارادة صفة من شأنها تمييز الشئ عن مثله ولولا ان هذا شأنها لوقع
الاكتفاء بالقدرة ولكن لما تساوى نسبة القدرة الى الضدين ولم يكن بد من مخصص يخصص الشئ
عن مثله فقيل للقديم وراء القدرة صفة من شأنها تخصيص الشئ عن مثله فقول القائل لم اختصت
الارادة بأحد المثلين كقول القائل لم اقتضى العلم الاحاطة بالمعلوم على ما هو به فيقال ان العلم عبارة
عن صفة هذا شأنها وكذلك الارادة عبارة عن صفة هذا شأنها بل ذاتها تمييز الشئ عن مثله (فان قيل)
اثبات صفة شأنها تمييز الشئ عن مثله غير معقول بل هو متناقض فان كونه مثلا معناه انه لا تمييز له

الارادة الحاصلة من الفاعل بالايجاب لا يتصور التمكن من الترك فلا يكون قادرا بمعنى صحة الفعل والترك وهو المعنى بالايجاب (قلت) نختار أن تأثيره فيه بالارادة ولا نسلم لزوم التسلسل وانما يلزم لو احتاج تعلق الارادة الى تعلق آخر وهو ممنوع فان الفاعل بالاختيار اذا أوجد شيأ بارادته فالمفعول قصدا هو ذلك الشيء وهو محتاج الى ارادة ترجحه وأما الاتصاف بتعلق الارادة فهو وان كان أثر الذلك الفاعل لكن لا لذاته بل لذلك الشيء فلا يحتاج فيه الى ارادة أخرى بل تلك الارادة ارادة للمراد قصدا وارادة لنفسها تبعية المراد فكما أن الموجب اذا أوجد شيأ بالايجاب لا يحتاج في الاتصاف بالايجاب الى ايجاب آخر كذلك المختار اذا أوجد شيأ بالارادة لا يحتاج في الاتصاف بها الى ارادة أخرى (فان قلت) نحن نعلم بالضرورة أن تعلق الارادة لا يدخل في علة نفسه والا لزم توقف الشيء على نفسه فاذا لم يكن للفاعل أمر داع الى تحصيل ذلك التعلق كان نسبته اليه والى عدمه سواء وكان تحصيله وعدم تحصيله وصدوره عنه وعدم صدوره سواء فلا يجوز أن يكون ذلك التعلق فعلا لذلك المريد اذ الضرورة العقلية حاكمة بأنه اذا كان صدور الشيء ولا صدوره عن الفاعل متساويين يمتنع صدوره عنه الا بمرجح من خارج (قلت) لا نسلم صدق ما ذكرتم من القضية على كليتها بل ذلك فيما اذا كان الفاعل موجبا وأما اذا كان مختارا فلا يبعد أن يدعى العلم الضروري بصدق نقيضها فان الشخص الجائع الذي يشتد به الجوع اذا وضع بين يديه رغيف فانه يبتدئ بأكل جانب معين منه دون سائر الجوانب لا لأمر اقتضى ارادة ذلك الجانب وترجحه على سائر الجوانب (فان قلت) لا نسلم انه يبتدئ بأكل جانب معين منه لا لأمر اقتضى ارادة ذلك الجانب ولم لا يجوز أن تكون ارادة ذلك الجانب لكونه أقرب اليه أو أحسن لونا أو أكثر نضجا (قلت) نفرض الكلام فيما اشتركت جوانبه بأسرها في كل ما ذكر وحينئذ اما ان لا يبتدئ بأكل شيء من جوانبه الى أن يموت جوعا وذلك بين الاستحالة واما أن يبتدئ فيتم المقصود (واعترض)

وكونه مميزا معناه أنه ليس مثلاله ولا ينبغي أن يظن أن السوادين في محلين متماثلان من كل وجه لان هذا في محل وذاك في آخر وهذا يوجب التمييز ولا السوادين في وقتين في محل واحد متماثلان مطلقا لان هذا فارق ذاك في الوقت فكيف يساويه من كل وجه واذا قلنا السوادان مثلان عنينا به في السوادية مضافا اليه على الخصوص لا على الاطلاق والا فلو اتحد المحل والزمان ولم يبق تغاير لم يعقل سوادان ولا عقلت أصلا اثنينية تحقق أن لفظ الارادة مستعار من ارادتنا ولا يتصور منا أن نميز بالارادة الشيء عن مثله بل لو كان بين يدي العطشان قدحان من الماء متساويان من كل وجه بالاضافة الى غرضه لم يمكن أن يأخذ أحدهما بل انما يأخذ ما يراه أحسن وأخف وأقرب الى جانب يمينه ان كانت عادته تحريك اليمين أو سبب من هذه الاسباب اما خفي واما جلي والا فلا يتصور تمييز الشيء عن مثله بحال والاعتراض من وجهين (الاول) ان قولكم ان هذا لا يتصور عرفتموه ضرورة أو نظرا ولا يمكن دعوى واحد منهما وتمسككم بارادتنا مقايسة فاسدة تضاهي المقايسة في العلم وعلم الله يفارق علمنا في أمور كثيرة فلم تبعد المفارقة في الارادة بل هو كقول القائل ذات موجودة لا خارج العالم ولا داخله ولا متصلا ولا منفصلا لا يعقل لانا لا نعقله في حقنا (قيل) هذا عمل وهمك وأما أدلة العقل فقد ساقت العقلاء الى التصديق بذلك فبم تنكرون على من يقول دليل العقل ساق الى اثبات صفة لله تعالى من شأنها تمييز الشيء عن مثله فان لم يطابقها اسم الارادة فليسم باسم آخر فلا مشاحة في الاسماء وانما أطلقناها نحن باذن الشرع والا فالارادة موضوع في اللغة لتعيين ما فيه غرض ولا غرض في حق الله تعالى وانما المقصود المعنى دون اللفظ على انا في حقنا لا نسلم ان ذلك غير مقصود فانا نفرض تمرتين متساويتين بين يدي المتشوق اليهما العاجز عن تناولهما جميعا فانه يأخذ احداهما لا محالة بصفة شأنها تخصيص الشيء عن مثله وكل ما ذكرتموه من المخصصات من الحسن أو القرب أو تيسير الاخذ فانا نقدر على فرض انتفائه ويبقى امكان الاخذ فأنتم بين أمرين اما ان قلتم انه لا يتصور التساوي بالاضافة الى اغراضه قط فهو حماقة وفرضه ممكن وأما ان قلتم التساوي اذا فرض بقي الرجل المتشوق أبدا متحيرا ينظر اليهما فلا يأخذ احداهما بمجرد الارادة والاختيار المنفك عن الغرض وهو أيضا محال يعلم بطلانه ضرورة فاذن لا بد لكل ناظر شاهدا أو غائبا في تحقيق الفعل الاختياري من اثبات صفة شأنها تخصيص الشيء عن مثله (الوجه الثاني) في الاعتراض هو انا نقول أنتم في مذهبكم ما استغنيتم عن تخصيص الشيء عن مثله فان العالم وجد من سببه الموجب له على هيئة مخصوصة تماثل نقائضها فلم اختص ببعض الوجوه واستحالة تمييز الشيء عن مثله في الفعل أو في اللزوم بالطبع أو بالضرورة لا يختلف (فان قلتم) ان النظام الكلي للعالم لا يمكن الا على الوجه الذي وجد وأن العالم لو كان أصغر أو أكبر مما هو الآن عليه لكان لا يتم هذا النظام وكذا القول في عدد الافلاك وعدد الكواكب وزعمتم أن الكبير يخالف الصغير والكثير يفارق القليل فيما يراد منه وليست متماثلة بل هي مختلفة الا أن القوة البشرية تضعف عن درك وجوه الحكمة في مقاديرها وتفاصيلها وانما تدرك الحكمة في بعضها كالحكمة في ميل فلك البروج عن معدل النهار والحكمة في الاوج والفلك الخارج المركز والاكثر لا يدرك السر فيه ولكن يعرف اختلافها ولا يبعد أن يتميز الشيء عن خلافه لتعلق نظام الامر به وأما

عليه بعض الافاضل بأنا لا نسلم امكان وجود رغيف يتساوى جميع جوانبه فى الامور التى ذكرت من القرب والبعد وحسن اللون وكثرة النضج وغير ذلك كيف كان فان فرضه بحيث يكون البعد بين الجائع وبين كل جزء من أجزائه بعدا واحدا محال أما اذا كان المقابل للجائع أحد جوانبه فظاهر وأما اذا كان المقابل أحد وجهيه فلأن البعد بينه وبين كل جزء من جوانبه هو وتر لزاوية قائمة وبينه وبين مركز الرغيف وتر لزاوية حادة ووتر القائمة أعظم من وتر الحادة وان فرض رغيف متساوى الجوانب والاجزاء فى الامور المذكورة وان كان محالا قلنا لا يبتدئ الجائع حينئذ بأكل شئ من جوانبه وأجزائه الى أن يموت جوعا اذ المحال جاز أن يستلزم محالا آخر هذا ماذكروه وهذا كما ترى لا يضرنا الان جوابنا عنهم قد تم بمنع كلية تلك المقدمة ومنع ضروريتها ولا حاجة لنا الى اثبات عدم المرجح فيما ذكر من الصورة (نعم) ان ثبت ذلك يكون نقضا لتلك الكلية التى ادعوا ضروريتها وتجويزهم المرجح فى المثال الجزئى بل اثباته لا يقدح فيما هو المقصود بل عليهم أن يثبتوا تلك المقدمة وضروريتها وأنى لهم ذلك ثم ان ماذكروه من المقدمة الكلية منقوض بصور منها أنه لا شك أن جميع النقط المفروضة فى الفلك متساوية فى الماهية وكذلك جميع الدوائر المفروضة فيه متساوية فى الماهية وكذلك القول فى جميع الخطوط المفروضة فيه فتعين نقطتين معينتين لان تكونا قطبين وتعيين دائرة معينة لان تكون منطقة وتعيين خط معين لان يكون محورا دون سائر النقط والدوائر والخطوط ترجيح من الفاعل المحرك لاحد الامور المتساوية على الآخر من غير أمر مرجح (ومنها) أنه لا شك ان نسبة الفلك الى الحركة الى جميع الجهات على السوية وكذا الى الحركات المختلفة المقادير فى السرعة مع أن كل واحد من الأفلاك اختص بحركة بسرعة معينة الى جهة معينة دون سائر الجهات ودون سائر الحركات وما ذلك الا ترجيح من الفاعل المحرك لاحد الامور المتساوية فى الاجزاء

الاوقات فتشابهة قطعا بالنسبة الى الامكان والى النظام ولا يمكن أن يدعى انه لو خلق بعد ما خلق أو قبله لحظة لما تصور النظام فان تماثل الاحوال يعلم بالضرورة فنقول نحن وان كنا نقدر على معارضتكم بمثله فى الاحوال اذ قال قائلون خلقه فى الوقت الذى كان الاصلح الخلق فيه لكنا لا نقتصر على هذه المقابلة بل نفرض على أصلكم تخصصا فى موضعين لا يمكن أن يقدر فيهما اختلاف أحدهما اختلاف جهة الحركة والآخر تعيين موضع القطب فى الحركة عن المنطقة (أما القطب) فبيانه ان السماء كرة متحركة على قطبين كأنهما ثابتان وكرة السماء متشابهة الاجزاء فانها بسيطة لا سيما الفلك الاعلى الذى هو التاسع فانه غير مكوكب أصلا وهو متحرك على قطبين شمالى وجنوبى فنقول ما من نقطتين متقابلتين من النقط التى لا نهاية لها عندهم الا ويتصور أن تكون هى القطب فلم تعينت نقطتا الشمال والجنوب للقطبية والثبات ولم يكن خط المنطقة مارا بالنقطتين حتى يعود القطب الى نقطتين متقابلتين على المنطقة فان كان فى مقدار كبر السماء وشكله حكمة فما الذى ميز محل القطب عن غيره حتى تعين لكونه قطبا دون سائر الاجزاء والنقطة وجميع النقط متماثلة وجميع أجزاء الكرة متساوية وهذا لا مخرج عنه (فان قيل) لعل الموضع الذى عليه نقطة القطب يفارق غيره بخاصية تناسب كونه محلا للقطب حتى يثبت وكأنه لا يفارق مكانه وحيزه ووضعه أو ما يفرض اطلاقه عليه من الاسامى وسائر مواضع الفلك يتبدل بالدور وضعها من الارض ومن الافلاك والقطب ثابت بالوضع فلعل ذلك الموضع كان أولى بأن يكون ثابت الوضع من غيره (قلنا) ففى هذا تصريح بتفاوت أجزاء الكرة الاولى فى الطبيعة وانها ليست متشابهة الاجزاء وهو على خلاف أصلكم اذ أصل ما استدللتم به على لزوم كون السماء كرى الشكل وانه بسيط الطبيعة متشابه لا تفاوت فيه وأبسط الاشكال الكرة فان التربيع والتسديس وغيرهما يقتضى خروج زوايا وتفاوتها وذلك لا يكون الا بأمر زائد على الطبع البسيط ولكنه وان خالف مذهبكم فليس يندفع الالزام به فان السؤال فى تلك الخاصية قائم اذ سائر الاجزاء هل كان قابلا تلك الخاصية أم لا * فان قالوا نعم فلم اختصت الخاصية من بين المتشابهات ببعضها وان قالوا لم يكن ذلك الا فى ذلك الموضع وسائر الاجزاء لا تقبلها * فنقول سائر الاجزاء من حيث انها جسم قابل للصور متشابهة بالضرورة وتلك الخاصية لا يستحقها ذلك الموضع لمجرد كونه جسما ولا لمجرد كونه سماء فان هذا المعنى يشاركه فيه سائر أجزاء السماء فلا بد أن يكون تخصيصه به بتحكم أو بصفة من شأنها تخصيص الشئ عن مثله والا فكما يستقيم لهم قولهم ان الاحوال فى قبول وقوع العالم فيها متساوية يستقيم لخصومهم قولهم ان اجزاء السماء فى قبول المعنى الذى لاجله صار ثبوت الوضع أولى به من تبدل الوضع متساوية وهذا لا مخرج عنه (الالزام الثانى) فى تعيين جهة حركة الافلاك بعضها من المشرق الى المغرب وبعضها بالعكس مع تساوى الجهات وتساوى الجهات كتساوى الاوقات من غير فرق (فان قيل) لو كان الكل يدور من جهة واحدة لما تباينت أوضاعها ولم يحدث مناسبات الكواكب بالتثليث والتسديس والمقارنة وغيرها ولكان الكل على وضع لا يختلف قط وهذه المناسبات مبدأ الحوادث فى العالم (قلنا) لسنا نلزم اختلاف جهة الحركة بل نقول الفلك الاعلى يتحرك من المشرق الى المغرب والذى تحته بالعكس وكل ما يمكن تحصيله بهذا يمكن تحصيله بعكسه وهو أن يتحرك الاعلى من المغرب الى المشرق وما تحته فى

مقابلته

على الآخر من غير مخصص (ومنها) أنه لا شك ان كل واحد من الافلاك الشاملة للارض وكل واحد من التداوير وهى الافلاك الغير الشاملة للارض المركوزة فى الافلاك الشاملة بسيطة متشابهة الاجزاء وكذلك كل واحد من الكواكب مع ان كل واحد من الكواكب اختص بموضع معين من التدوير ان كان مركوزا فيه كالمتحيرة والقمر وبموضع معين من الفلك ان كان مركوزا فى الفلك كالشمس وسائر الثوابت وكذلك كل واحد من التداوير اختص بموضع معين من الفلك دون ١٣ سائر المواضع وكذلك اختص جانب معين من الفلك بكونه أوجا والجانب الآخر بكونه حضيضا دون سائر الجوانب مع تساوى الجوانب بأسرها فى الماهية لكون الفلك بسيطا وكل ذلك ترجيح من الفاعل لاحد الامور المتساوية على الآخر من غير مرجح (وأجابوا عن النقوض المذكورة) بانا لا نسلم ان فى شئ من الصور المذكورة ترجيحا لاحد الامور المتساوية على الآخر من غير مرجح فان تعين النقطتين لان تكونا قطبين وتعين دائرة لان تكون منطقة وتعين خط لان يكون محورا دون سائر النقط والدوائر والخطوط من توابع تعين الحركة فان الحركة المعينة للفلك يمتنع وقوعها الا أن يكون القطبان هاتين النقطتين والمنطقة تلك الدائرة المعينة والمحور ذلك الخط المعين وتعين الحركة لاحد أمور ثلاثة اما لأن مادة كل فلك من الافلاك لا تقبل الا تلك الحركة المخصوصة بالسرعة والبطء المعينين الى الجهة المعينة أولانها وان كانت قابلة لسائر انواع الحركات والى سائر الجهات لكن العناية بالسافلات لا تحصل الا من تلك الحركة المخصوصة أولان تشبه كل فلك بالجوهر المفارق الذى هو معشوقه لا يحصل الا بتلك الحركة وأما اختصاص الكواكب والاوجات والحضيضات والتداوير بالمواضع المعينة من الفلك دون غيرها فانما يرد نقضا لو قلنا ان الفلك الذى مركزه مركز العالم يحصل أولا ثم حصل فيه الفلك الخارج المركز بحيث يماس سطحه الاعلى السطح الاعلى من ذلك الفلك على نقطة مشتركة بينهما القو

مقابلته فيحصل التفاوت وجهات الحركة بعد كونها دورية وبعد كونها متقابلة متساوية فلم تميزت جهة عن جهة تماثلها (فان قالوا) الجهتان متقابلتان متضادتان فكيف يتساويان (قلنا) هذا كقول القائل التقدم والتأخر فى وجود العالم يتضادان فكيف يدعى تساويهما وكما زعم وانه يعلم تشابه الاوقات بالنسبة الى امكان الوجود والى كل مصلحة يتصور فرضها فى الوجود فكذلك يعلم تساوى الاحياز والاوضاع والاماكن والجهات بالنسبة الى قبول الحركة وكل مصلحة تتعلق بها فان ساغ لهم دعوى الاختلاف مع هذا التشابه كان لخصومهم دعوى الاختلاف فى الاحوال والهيئات أيضا (الاعتراض الثانى) على أصل دليلهم أن يقال استبعدتم حدوث حادث من قديم ولا بد لكم من الاعتراف به فان العالم حوادث ولها أسباب (فان قلتم) الحوادث استندت الى الحوادث الى غير نهاية فهو محال وليس ذلك معتقد عاقل ولو كان ذلك ممكنا لاستغنيتم عن الاعتراف بالصانع واثبات واجب الوجود هو مستند الممكنات واذا كانت الحوادث لها طرف ينتهى اليه تسلسلها فيكون ذلك الطرف هو القديم فلا بد اذن على أصلهم من تجويز صدور حادث من قديم (فان قيل) نحن لا نبعد صدور حادث من قديم أى حادث كان بل نبعد صدور حادث هو أول الحوادث من القديم اذ لا يفارق حالة الحدوث ما قبله فى ترجيح جهة الوجود لا من حيث حضور وقت ولا آلة ولا شرط ولا طبيعة ولا غرض ولا سبب من الاسباب فاما اذا لم يكن هو الحادث الاول جاز أن يصدر منه عند حدوث شئ آخر من استعداد المحل القابل أو حضور الوقت الموافق أو ما يجرى هذا المجرى (قلنا) فالسؤال فى حصول الاستعداد وحضور الوقت وكل ما يتجدد قائم فاما ان يتسلسل الى غير نهاية أو ينتهى الى قديم يكون أول حادث منه (فان قيل) المواد القابلة للصور والاعراض والكيفيات ليس شئ منها حادثا والكيفيات الحادثة هى حركة الافلاك أعنى الحركة الدورية وما يتجدد من الاوصاف الاضافية لها من التثليث والتسديس والتربيع وهى نسبة بعض أجزاء الفلك والكواكب الى بعض وبعضها نسبة الى الارض كما يحصل من الطلوع والشروق والزوال عن منتهى الارتفاع والبعد عن الارض بكون الكوكب فى الاوج والقرب بكونها فى الحضيض والميل عن بعض الاقطار بكونها فى الشمال والجنوب وهذه الاضافة لازمة للحركة الدورية بالضرورة فموجبها الحركة الدورية وأما الحوادث فيما يحويه مقعر فلك القمر وهو العناصر بما يعرض فيها من كون وفساد وامتزاج وافتراق واستحالة من صفة الى صفة فكل ذلك حوادث مستند بعضها الى بعض فى تفصيل طويل وبالآخرة تنتهى مبادى أسبابها الى الحركة السماوية الدورية ونسبة الكواكب بعضها الى بعض أو نسبتها الى الارض فيخرج من مجموع ذلك ان الحركة الدورية الدائمة الابدية مستند الحوادث كلها ومحرك السماء حركتها الدورية نفوس السموات فانها حية نازلة منازل نفوسنا بالنسبة الى أبداننا ونفوسها قديمة فلا جرم أن الحركة الدورية التى هى موجبها أيضا قديمة ولما تشابهت أحوال النفوس لكونها قديمة تشابهت أحوال الحركات أى كانت دائرة أبدا فاذن لا يتصور أن يصدر الحادث من قديم الا بواسطة حركة دورية أبدية تشبه القديم من وجه فانه دائم أبدا وتشبه الحادث من وجه فان كل جزء فرض منها كان حادثا بعد ان لم يكن فهو من حيث انه حادث باجزائه واضافاته مبدأ للحوادث ومن حيث انه أبدى متشابه الاحوال صادر عن نفس أزلية فان

هي الاوج والسطح الادنى على نقطة مشتركة بينهما التي هي الحضيض ثم حصل التدوير في الخارج المركز وأحدث فيه نقرة ثم الكواكب والتداوير أوفى الخارج المركز وأحدث فيها نقرة لكنا لا نقول بذلك بل نقول الفلك الموافق المركز والفلك الخارج المركز والتدوير والكواكب حصلت معا ولزم من ذلك حدوث هذه الامور في تلك المواضع ولما حدثت الامور المذكورة على الوجه

المخصوص امتنع الانتقال عليها الامتناع الخرق على الافلاك هذا ما قالوا وستعرف أنت فيما بعد بطلان ما ذكروه

كان في العالم حوادث ولا بد من حركة دورية وفي العالم حوادث فالحركة الدورية الابدية ثابتة (قلنا) هذا التطويل لا يغنيكم فان الحركة الدورية التي هي المستند حادث أم قديم فان كانت قديمة وكيف صارت مستند الاول الحوادث وان كانت حادثة افتقرت الى حادث آخر ويتسلسل *وقولكم انه من وجه يشبه القديم ومن وجه يشبه الحادث فانه ثابت متجدد أي هو ثابت التجدد متجدد الثبوت *فنقول أهو مبدأ الحوادث من حيث انه ثابت أو من حيث انه متجدد الثبوت فان كان من حيث انه ثابت فكيف صدر من ثابت متشابه الاحوال شئ في بعض الاحوال دون البعض وان كان من حيث انه متجدد فما سبب تجدده في نفسه فيحتاج الى سبب آخر ويتسلسل وهذا غاية تقرير الالزام ولهم في الخروج من هذا الالزام نوع احتيال سنوردة في بعض المسائل بعد هذه كي يطول كلام هذه المسئلة بانشعاب شجون الكلام وفنونه على انا سنبين ان الحركة الدورية لا يصلح أن تكون مبدأ الحوادث فان جميع الحوادث مخترعة لله تعالى ابتداء من غير واسطة ونبطل ما قالوه من كون السماء حيوانا متحركا بالاختيار حركة نفسية كحركتنا (دليل ثان) لهم في المسئلة زعموا أن القائل بان العالم متأخر عن الله تعالى والله تعالى متقدم عليه ليس يخلو اما ان يريد به انه متقدم بالذات لا بالزمان كتقدم الواحد على الاثنين فانه بالطبع مع انه يجوز أن يكون معه في الوجود الزماني وكتقدم العلة على المعلول مثل تقدم حركة الشخص على حركة الظل التابع له وحركة اليد مع حركة الخاتم وحركة اليد في الماء مع حركة الماء فانها متساوية في الزمان وبعضها علة وبعضها معلول اذ يقال تحرك الظل بحركة الشخص وتحرك الماء بحركة اليد في الماء ولا يقال تحرك الشخص بحركة الظل وتحرك اليد بحركة الماء وان كانت متساوية فان أريد تقدم البارى على العالم هذا لزم أن يكونا حادثين أو قديمين واستحال أن يكون أحدهما قديما والآخر حادثا وان أريد أن البارى متقدم على الزمان والعالم لا بالذات بل بالزمان فاذن قبل وجود العالم والزمان زمان كان العالم فيه معدوما اذ كان العدم سابقا على الوجود وكان الله تعالى سابقا مدة مديدة لها طرف من جهة الآخر ولا طرف لها من جهة الاول فاذن قبل الزمان زمان لا نهاية له وهو متناقض ولاجله يستحيل القول بحدوث الزمان واذا وجب قدم الزمان وهي عبارة عن قدر الحركة وجب قدم الحركة ووجب قدم المحرك الذي يدوم الزمان بدوام حركته (الاعتراض) هو ان يقال الزمان حادث ومخلوق وليس قبله زمان أصلا ونعني بقولنا ان الله تعالى متقدم على العالم والزمان انه كان ولا عالم ثم كان ومعه عالم ومفهوم قولنا كان ولا عالم وجود ذات البارى وعدم ذات العالم فقط ومفهوم قولنا كان ومعه عالم وجود الذاتين فقط ونعني بالتقدم انفراده بالوجود فقط والعالم كشخص واحد ولو قلنا كان الله تعالى ولا عيسى مثلا ثم كان وعيسى معه لم يتضمن اللفظ الا وجود ذات وعدم ذات ثم وجود ذاتين وليس من ضرورة ذلك تقدير شئ ثالث وان كان الوهم لا يسكت عن تقدير ثالث ولا التفات الى أغاليط الاوهام (فان قيل) لقولنا كان الله ولا عالم مفهوم ثالث سوى وجود الذات وعدم العالم بدليل انا لو قدرنا عدم العالم في المستقبل كان وجود ذات وعدم ذات حاصلا ولم يصح ان نقول كان الله ولا عالم بل الصحيح أن نقول يكون الله ولا عالم ونقول للماضى كان الله ولا عالم ففرق بين قولنا كان ويكون فرق اذ ليس ينوب أحدهما مناب الآخر فلنبحث عما يعود

في سبب تعين الحركة من الامور الثلاثة وبذلك يبطل جوابهم عن النقضين الاولين* وأما جوابهم عن النقض الثالث فركيك جدا لان حصول الامور المذكورة معا لا يدفع الترجيح بلا مرجح لان حصول الفلك الموافق المركز على وجه يكون ميل الفلك الخارج المركز الى جانب منه كحصوله على وجه يكون ميله الى جانب آخر منه وكذلك حصول الخارج المركز على وجه يكون التدوير في ذلك الجانب كحصوله على وجه يكون التدوير في جانب آخر منه وكذلك حصول التدوير على وجه تكون الكواكب في ذلك الجانب منه كحصوله على وجه يكون في جانب آخر منه فكان حصول كل من الامور المذكورة على ذلك الوجه ترجيحا من الفاعل لاحد الامور المتساوية على الآخر ثم ان أشكل عليك ما ذكرناه واختلج في قلبك شئ من وساوس الوهم وأبيت الآن تدعى ضرورية تلك القضية فلك التخلص عن احتجاجهم بالتزام التسلسل التعلقات والقول بأن تعلق الارادة الى أحد الضدين محتاج الى مرجح آخر هو تعلق آخر للارادة متعلق بذلك التعلق وهلم جرا الى غير النهاية ونمنع بطلان مثل هذا التسلسل لانه تسلسل في الامور الاعتبارية التي لا وجود لها في الخارج (فان قلت) نحن نعلم بالضرورة انا متى أردنا شيئا الا نريد ارادتنا اليه فظهر ان تعلق الارادة لا يكون بتعلق آخر (قلت) عدم احتياجنا في ارادتنا الى ارادة أخرى لان ارادتنا ليست من فعلنا بل من فعل الله

سبحانه وأما ارادة الله تعالى فلا بد وأن يكون من فعله فلا يلزم من عدم ارادتنا لارادتنا العدم كونها من فعلنا عدم ارادته تعالى لارادته وقد يحتج على ايجابه تعالى بأن الفاعل بالقصد والارادة لابد له من أمر باعث على الفعل ليترجح الفعل على الترك عنده وذلك الباعث لابد أن يكون حصوله أولى بالنسبة الى الفاعل من لا حصوله والا لم يكن باعثا على الفعل ضرورة أن ما كان حصوله ولا حصوله بالنسبة الى الفاعل سواء لم يكن باعثا له على الفعل حينئذ يلزم استكماله بالغير وانه محال ١٥ (والجواب) انا لانسلم ان الفاعل بالقصد والارادة لابد له من أمر باعث على الفعل سوى القصد والارادة ولو سلم فلانسلم أنه يلزم أن يكون حصوله بالنسبة الى الفاعل أولى من لا حصوله ولم لا تكفي الاولوية بالنسبة الى الغير في كونه باعثا على الفعل والاشاعرة يوافقون الحكماء في ان الباعث على الفعل لابد أن يكون حصوله أولى بالنسبة الى الفاعل من لا حصوله ويدعون فيه الضرورة ويقتصرون في الجواب على منع المقدمة الاولى والمعتزلة يوافقونهم في أن الفاعل بالاختيار لابد له من أمر باعث على الفعل لكنهم يمنعون لزوم كونه أولى بالنسبة الى الفاعل ويكتفون في الجواب بهذا المنع

﴿الفصل الثاني في ابطال قولهم بقدم العالم﴾

اتفقت ارباب الملل والشرائع من أهل الاسلام وغيرهم على ان العالم محدث وخالفهم في ذلك جمهور الفلاسفة وتوقف جالينوس فيه على ما حكي عنه انه قال في مرضه الذي توفي فيه لبعض تلامذته اكتب عني ما علمت ان العالم قديم أو حادث قال الامام الرازي وهذا دليل على أن جالينوس كان منصفا طالبا للحق فان الكلام في هذه المسئلة قد بلغ من العسر والصعوبة الى حيث يضمحل أكثر العقول فيه * واعلم أن للفلاسفة في أمر العالم وتعيين ما هو القديم منه آراء متشتتة وأقوالا منتشرة لا فائدة في الاطناب بذكرها فلنقتصر على بيان مذهب مقدمهم الذي هو الفيلسوف المطلق عندهم والمعلم الاول وهو ارسطاطاليس وقد رد على كل من قبله وخفف عنا مؤنة ابطال آراء

اليه الفرق ولا شك في انهما لا يشتركان في وجود الذات ولا في عدم العالم بل في معنى ثالث فانا اذا قلنا بعدم العالم في المستقبل كان الله ولا عالم قيل لنا هذا خطأ (فان كان انما يقال) على ما مضى فدل على ان تحت لفظ كان مفهوم ثالث وهو الماضي والماضي بذاته هو الزمان والماضي بغيره هو الحركة فانها تمضي بمضي الزمان فبالضرورة يلزم أن يكون قبل العالم زمان قد انقضى حتى انتهى الى وجود العالم (قلنا) المفهوم الاصلي من اللفظين وجود ذات وعدم ذات والامر الثالث الذي فيه افتراق اللفظين نسبة لازمة بالاضافة الينا بدليل انا لو قدرنا عدم العالم في المستقبل ثم قدر لنا بعد ذلك وجود ثان لكنا عند ذلك نقول كان الله ولا عالم ويصح قولنا سواء أردنا به العدم الاول أو العدم الثاني الذي هو بعد الوجود وآية أن هذه نسبة أن المستقبل بعينه يجوز أن يصير ماضيا فيعبر عنه بلفظ الماضي وهذا كله لعجز الوهم عن فهم وجود مبتدا الامع تقدير قبل له وذلك القبل الذي لا ينفك الوهم عنه يظن أنه شيء محقق موجود هو الزمان وهو كعجز الوهم عن أن يقدر تناهي الجسم في جانب الرأس مثلا الا على سطح له فوق فيتوهم ان وراء العالم مكانا اما ملاء واما خلاء واذا قيل ليس فوق سطح العالم فوق ولا بعد أبعد منه كل الوهم عن الاذعان لقبوله كما اذا قيل ليس قبل وجود العالم قبل هو وجود محقق نفر عن قبوله وكما جاز أن يكون الوهم في تقديره فوق العالم خلاء هو بعد لا نهاية له مخطئا او بين خطؤه بان يقال له الخلاء ليس مفهوما في نفسه أما البعد فهو تابع للجسم الذي تتباعد اقطاره فاذا كان الجسم متناهيا كان البعد الذي هو تابع له متناهيا فانقطع الملاء والخلاء غير مفهوم في نفسه فثبت انه ليس وراء العالم لا خلاء ولا ملاء وان كان الوهم لا يذعن لقبوله فكذلك يقال كما أن البعد المكاني تابع للجسم فالبعد الزماني تابع للحركة فانه امتداد الحركة كما ان ذاك امتداد اقطار الجسم وكما ان قيام الدليل على تناهي اقطار الجسم منع من اثبات بعد وراءه فقيام الدليل على تناهي الحركة من طرفيه يمنع من تقدير بعد زماني وراءه فان كان الوهم متشبثا بخياله وتقديره ولا يرعوي عنه فلا فرق بين البعد الزماني الذي تنقسم العبارة عنه عند الاضافة الى قبل وبعد وبين البعد المكاني الذي تنقسم العبارة عنه عند الاضافة الى فوق وتحت فان جاز اثبات فوق لا فوق فوقه جاز اثبات قبل ليس قبله قبل محقق الا خيال وهم كما في الفوق وهذا لازم فليتأمل فانهم اتفقوا على انه ليس وراء العالم لا خلاء ولا ملاء (فان قيل) هذه الموازنة معوجة لان العالم ليس له فوق ولا تحت بل هو كري وليس للكرة فوق ولا تحت بل ان سميت جهة فوق من حيث انه يلي رأسك والآخر تحت من حيث انه يلي رجليك فهو اسم تجدد له بالاضافة اليك والجهة التي هي تحت بالاضافة فوق بالاضافة الى غيرك اذا قدرت على الجانب الآخر من كرة الارض واقفا يحاذي أخمص قدمه أخمص قدمك بل الجهة التي تقدرها فوقك من أجزاء السماء نهارا هي بعينها تحت الارض وما هو تحت الارض يعود الى فوق الارض بالدورة وأما الاول لوجود العالم لا يتصور ان ينقلب آخرا وكما لو قدرنا خشبة أحد طرفيها غليظ والآخر رقيق واصطلحنا على ان نسمي الجهة التي تلي الدقيق فوقا الى حيث ينتهي والجانب الآخر تحتا لم يظهر لهذا اختلاف ذاتي في أجزاء العالم بل هي أسامي مختلفة قيامها بهيئة هذه الخشبة حتى لو عكس وضعها انعكس الاسم والعالم لم يتبدل فالفوق والتحت نسبة محضة اليك لا تختلف أجزاء العالم وسطوحه فيه وأما العدم المتقدم على العالم والنهاية الاولى لوجوده فذاتي له لا يتصور أن يتبدل فيصير

أوائلهم (فنقول) ذهب هو ومن تابعه من المنتمين الى الاسلام وغيرهم الى ان العالم اما مجردات أو ماديات والمجردات منها ماهي قديمة كالعقول والنفوس الفلكية ومنها ماهي حادثة كالنفوس البشرية وأما الماديات فالفلكيات قديمة بموادها وصورها الجسمية والنوعية وبعض اعراضها من الشكل والضوء دون الحركة والوضع وأما العنصريات فانها قديمة بموادها وصورها الجسمية بالنوع وصورها النوعية بالجنس على معنى ان مادة العناصر لا تخلو عن صورة النوعية لعنصر ما لكن خصوصية النارية أو الهوائية أو المائية أو الارضية لا يلزم ان تكون قديمة فهذه الصور متشاركة في جنسها دون ماهيتها النوعية فيكون جنسها مستمر الوجود بتعاقب أنواعه ولهم لاثبات قدم العالم وجوه (الأول) وهو عمدتهم العظمى وعروتهم الوثقى ان جميع ما لا بد منه في ايجاد البارى للعالم ان كان حاصلا في الازل كان الايجاد حاصلا فيه فكان وجود العالم الذى لا يتخلف عن الايجاد كذلك اذ لو لم يحصل الكان حصوله بعد اما أن يتوقف على شرط حادث فلا يكون جميع ما لا بد حاصلا في الازل وهو خلاف المفروض أولا يتوقف فيلزم الرجحان بلا مرجح لان المؤثر المستجمع لجميع الامور المعتبرة في الايجاد مشترك بين الوقت الذى حصل فيه الايجاد وبين ما قبله فوقوعه في ذلك الوقت دون ما قبله رجحان لاحد المتساويين على الآخر وان لم يكن جميع ما لا بد منه في الايجاد حاصلا في الازل كان بعضه حادثا قطعا فان لم يحتج هذا الحادث الى تأثير مؤثر لزم استغناء الحادث عن المؤثر وهو ضرورى الاستحالة وان احتاج فاما أن يكون جميع ما لا بد منه في تحصيله حاصلا في الازل فيلزم قدم الحادث أولا يكون فبعضه حادث بالضرورة وينقل الكلام اليه ويلزم التسلسل * وأجيب عنه بوجوه أحدها وهو المشهور فيما بين القوم وعليه اعتماد الاكثر هو انا لا نسلم ان جميع ما لا بد منه في ايجاد البارى للعالم ان كان حاصلا في الازل كان الايجاد حاصلا فيه (قولهم) اذ كان جميع

آخر ولا العدم المقدر عند افناء العالم الذى هو عدم لاحق يتصور أن يصير سابقا فطرفا نهاية وجود العالم الذى أحدهما أول والثانى آخر طرفان ذاتيان لا يتصور التبديل فيهما بتبدل الاضافات ألبتة بخلاف الفوق والتحت فاذا أمكننا أن نقول ليس للعالم فوق ولا تحت فلا يمكنكم أن تقولوا ليس لوجود العالم قبل ولا بعد واذا ثبت القبل والبعد فلا معنى للزمان سوى ما يعبر عنه بالقبل والبعد (قلنا) لا فرق فانه لا غرض فى تعيين لفظ الفوق والتحت بل نعدل الى لفظ الوراء والخارج ونقول للعالم داخل وخارج فهل خارج العالم شئ من ملاء أو خلاء فيقولون ليس وراء العالم لا خلاء ولا ملاء وان عنيتم بالخارج سطحه الاعلى فله خارج وان عنيتم غيره فلا خارج له * وكذلك اذا قيل لنا هل لوجود العالم قبل * قلنا ان عنى به انه هل لوجود العالم بداية أى طرف منه ابتداء فله قبل على هذا كما للعالم خارج على تأويل انه الطرف المكشوف والمقطع السطحى وان عنيتم بقبل شيأ آخر فلا قبل للعالم كما انه اذا عنى بخارج العالم شئ سوى السطح قيل لا خارج للعالم (وان قلتم) لا يعقل مبتدأ وجود لا قبل له (فيقال) ولا يعقل متناهى وجود من الجسم لا خارج له (فان قلت) خارجه سطحه الذى هو منقطعه لا غير (قلنا) قبله بداية وجوده الذى هو طرفه لا غير (بقى) انا نقول لله وجود ولا عالم معه وهذا القدر أيضا لا يوجب اثبات شئ آخر والذى يدل على ان هذا عمل الوهم انه مخصوص بالزمان والمكان فان الخصم وان اعتقد قدم الجسم يذعن وهمه لتقدير حدوثه ونحن وان اعتقدنا حدوثه ربما أذعن وهمنا لتقدير قدمه هذا فى الجسم فاذا رجعنا الى الزمان لم يقدر الخصم على تقدير حدوث زمان لا قبل له وخلاف المعتقد يمكن وضعه فى الوهم تقديرا وفرضا وهذا مما لا يمكن وضعه فى الوهم كما فى المكان فان من يعتقد تناهى الجسم ومن لا يعتقده كل واحد يعجز عن تقدير جسم ليس وراءه لا خلاء ولا ملاء بل يذعن وهمه لقبول ذلك ولكن قيل صريح العقل اذا لم يمنع وجود جسم متناه بحكم الدليل لا يلتفت الى الوهم وكذلك صريح العقل لا يمنع وجودا مفتتحا ليس قبله شئ وان قصر الوهم عنه فلا يلتفت اليه لان الوهم لم يألف جسما متناهيا الا وبجنبه جسم آخر وهواء يخيله خلاء لم يتمكن من ذلك فى الغائب وكذلك لم يألف الوهم حادثا الا بعد شئ آخر وكل عن تقدير حادث ليس له قبل هو شئ موجود وقد انقضى فهذا هو سبب الغلط والمقاومة حاصلة بهذه المعارضة والله الموفق (صيغة ثانية لهم فى الزام قدم الزمان) قالوا لا شك فى ان الله تعالى عندكم قادر على أن يخلق العالم قبل أن خلقه بقدر سنة ومائة سنة وألف سنة وما لا نهاية له وان هذه التقديرات متفاوتة فى المقدار والكمية ولا بد من اثبات شئ قبل وجود العالم ممتد مقدر بعضه أمد وأطول من البعض (فان قلتم) لا يمكن اطلاق لفظ السنين الا بعد حدوث الفلك ودوره فلنترك لفظ السنين (ولنورد صيغة) أخرى فنقول اذا قدرنا ان العالم من أول وجوده قد دار فلكه الى الآن بألف دورة مثلا فهل كان الله سبحانه قادرا على أن يخلق قبله عالما ثانيا مثله بحيث ينتهى الى زماننا هذا بألف ومائة دورة (فان قلتم لا) فكأنه انقلب القديم من العجز الى القدرة أو العالم من الاستحالة الى الامكان (وان قلتم نعم) ولا بد منه فهل يقدر على أن يخلق عالما ثالثا بحيث ينتهى الى زماننا بألف ومائتى دورة ولا بد من نعم (فنقول) هذا العالم الذى سميناه بحسب ترتيبنا فى التقدير ثالثا وان كان هو الاسبق هل أمكن خلقه مع العالم الذى سميناه ثانيا وكان ينتهى الينا بألف ومائتى دورة والآخر بألف ومائة دورة وهما متساويان فى مسافة الحركة وسرعتها

(فان قلتم نعم) فهو محال اذ يستحيل أن يتساوى حركتان في السرعة والبطء ثم ينتهيان الى وقت واحد والاعداد متفاوتة (وان قلتم) ان العالم الثالث الذي ينتهي بألف ومائتي دورة لا يمكن ان يخلق مع العالم الثاني الذي ينتهي الينا بألف ومائة دورة بل لابد وان يخلقه قبله بمقدار يساوي المقدار الذي تقدم العالم الثاني على العالم الاول وسميناه الاول لانه أقرب الى وهمنا اذا ارتقينا من وقتنا اليه بالتقدير فيكون قدر امكان هو ضعف امكان آخر ولابد من امكان آخر هو ضعف الكل فهذا الامكان المقدر المكمم الذي بعضه أطول من البعض بمقدار معلوم لا حقيقة له الا الزمان فليست هذه الكميات المقدرة صفة ذات الباري تعالى عن التقدير ولا صفة عدم العالم اذ العالم ليس شيأ حتى يتقدر بمقادير مختلفة والكمية صفة وتستدعي ذا كمية وليس ذلك الا الحركة والكمية الا الزمان الذي هو قدر الحركة فاذن قبل العالم عندكم شيء ذو كمية متفاوتة وهو الزمان فقبل العالم عندكم زمان (الاعتراض) ان كل هذا من عمل الوهم وأقرب طريق في دفعه المقابلة للزمان بالمكان فانا نقول هل كان في قدرة الله أن يخلق الفلك الاعلى في سمكه أكبر مما خلقه بذراع (فان قالوا لا) فهو تعجيز (وان قالوا نعم) فبذراعين وثلاثة أذرع وكذلك يرتقي الامر الى غير نهاية (ونقول) في هذا اثبات بعد وراء العالم له مقدار وكمية اذ الاكبر بذراعين ما كان يشغل ما يشغله الاكبر بذراع فوراء العالم بحكم هذا كمية تستدعي ذا كمية وهو الجسم أو الخلاء فوراء العالم خلاء أو ملاء فما الجواب عنه وكذلك هل كان الله قادرا على أن يخلق كرة العالم أصغر مما خلقه بذراع ثم بذراعين وهل بين التقديرين تفاوت فيما ينتفي من الملاء والشغل للاحياز اذ الملاء المنتفي عند نقصان ذراعين أكثر مما ينتفي عند نقصان ذراع فيكون الخلاء مقدرا والخلاء ليس بشيء فكيف يكون مقدرا (وجوابنا) في تخييل الوهم تقدير الامكانات الزمانية قبل وجود العالم كجوابهم في تخييل الوهم تقدير الامكانات المكانية وراء وجود العالم ولا فرق (فان قيل) نحن نقول ان ما ليس بممكن فهو غير مقدور وكون العالم أكبر مما هو عليه أو أصغر منه ليس بممكن فلا يكون مقدورا وهذا العذر باطل من ثلاثة أوجه (أحدها) ان هذا مكابرة العقل فان العقل في تقدير العالم أكبر أو أصغر مما هو عليه بذراع ليس هو كتقديره الجمع بين السواد والبياض والوجود والعدم والممتنع هو الجمع بين النفي والاثبات واليه ترجع المحالات كلها فهو تحكم بارد فاسد (الثاني) انه اذا كان العالم على ما هو عليه لا يمكن أن يكون أكبر منه ولا أصغر فوجوده على ما هو عليه واجب لا ممكن والواجب مستغن عن علة فقولوا بما قاله الدهريون من نفي الصانع ونفي سبب هو مسبب الاسباب وليس هذا مذهبكم (الثالث) هو ان الفاسد لا يعجز الخصم عن مقابلته بمثله ونقول انه لم يكن وجود العالم قبل وجوده ممكنا بل وافق الوجود الامكان من غير زيادة ولا نقصان (فان قلتم) فقد انتقل القديم من القدرة الى العجز (قلنا) لان الوجود لم يكن ممكنا فلم يكن مقدورا وامتناع حصول ما ليس بممكن لا يدل على العجز (وان قلتم) انه كيف كان ممتنعا فصار ممكنا (قلنا) ولم يستحيل ان يكون ممتنعا في حال ممكنا في حال كما أن الشيء اذا أخذ مع أحد الضدين امتنع اتصافه بالآخر واذا أخذ لا معه أمكن اتصافه بالآخر (فان قلتم) الاحوال متساوية (قيل) لكم والمقادير متساوية فكيف يكون مقدار ممكنا وأكبر منه أو أصغر بمقدار ظفر ممتنعا فان لم يستحل ذلك لم يستحل هذا فهذا طريق المقاومة والتحقيق في الجواب ان ما ذكروه من

ما لابد منه في الايجاد حاصلا في الازل ولم يتوقف التأثير على شرط حادث لزم من قدم حصول الاثر فيه الرجحان من غير مرجح ممنوع وانما يلزم ذلك اذا لم يكن من جملة ما لابد منه الارادة التي من شأنها التخصيص والترجيح متى شاء الفاعل من غير احتياج الى مخصص ومرجح من خارج وأما اذا كان من جملة ما لابد منه الارادة فاللازم ترجيح المختار أحد المتساويين من غير مرجح من خارج واستحالته ممنوعة (واعترض عليه) بأنه لا شك ان نفس الارادة غير كافية في حصول المراد بل لابد من تعلقها فان كان ذلك التعلق قديما لزم أن يكون الاثر الذي يكفي في وجوده هذا التعلق قديما أيضا اذ لو اختص بوقت دون وقت لزم الرجحان بلا مرجح لان الرجحان الحاصل من ذلك التعلق يعم الاوقات كلها وان كان حادثا نقلنا الكلام اليه فان أسند حدوثه الى حادث آخر وهكذا الى نهاية سواء كان ذلك الحادث تعلق ارادة أو غيره لزم التسلسل في الحوادث والا استغنى الحادث عن مؤثر يخصصه بوقت حدوثه فيلزم الرجحان بلا مرجح وأجيب بأنه يجوز أن يتعلق الارادة القديمة في الازل بوجود العالم في وقت معين فلا يعم الرجحان الحاصل من ذلك التعلق جميع الاوقات فلا يلزم الرجحان من غير مرجح ورد بأنه حينئذ يتوقف وجوده على حضور ذلك الوقت الحادث فينتقل الكلام فيه ويتسلسل ولقائل أن يقول حضور ذلك الوقت الذي هو حادث يتوقف على وقت آخر حادث سابق عليه وهكذا فاللازم منه تسلسل الاوقات الماضية المتوهمة التي لا وجود لها في الخارج أصلا لان الكلام في أوقات قبل وجود العالم فلا نسلم استحالة مثل هذا التسلسل وليس حدوثه عبارة عن وجوده بعد عدم بل المراد كونه غير أزلي فليتأمل وبأنه يجوز أن يكون ذلك التعلق حادثا مستندا الى تعلق آخر وهكذا الى غير النهاية لانها أمور اعتبارية والدليل ما قام على استحالته فيها ورد هذا الجواب بأن تعلقات الارادة وان كانت أمورا اعتبارية لا وجود لها في الخارج الا انها ليست من الاعتبارات التي ينقطع

التسلسل فيها بانقطاع الاعتبار بل يتوقف وجود العالم حينئذ عليها فيجري فيها برهان التطبيق باعتبار حصولها في الموصوف بها على سبيل الترتيب * ولقائل أن يقول حرر بان برهان التطبيق انما يكون اذا كان لها وجودات مترتبة اما في الخارج أو في العقل لامتناع الانطباق فيما لم يوجد أصلا واتصاف المحل بها لا يستلزم كونها موجودة بأحد الوجودين ولو سلم فلم لا يجوز أن يكون ثلاثا لتعلقات أمورا متعاقبة ويكون كل سابق منها شرطا للاحق الى ان ينتهي الى تعلق هو شرط لحدوث الاجسام وبطلان التسلسل في الامور المتعاقبة لم يثبت عندهم وللمتكلم أن يلتزم في مقام المنع صحته فلا يتم الدليل على ما هو المطلوب وبأنه يجوز أن يكون ذلك التعلق حادثا لا يستند حدوثه الى حادث آخر قوله فيستغني الحادث عن مؤثر يخصصه بوقت حدوثه فيلزم الرجحان بلا مرجح مسلم لكن استحالته ههنا ممنوعة لان ذلك الحادث أعني تعلق الارادة أمر عدمي لا يحتاج الى مؤثر يخصصه بوقت حدوثه وضعفه ظاهر لان بديهة العقل حاكمة بأن كل حادث سواء كان وجوديا أو عدميا محتاج الى أمر يخصصه بوقت حدوثه وانكاره مكابرة فلا يلتفت اليها وقد تقدم ما يتعلق بهذا المقام فليتذكر وبأنه يجوز أن يكون المخصص لتعلق ارادة الله تعالى بوقته المعين هو علمه الازلي بايقاع العالم في ذلك الوقت الذي أوقعه فيه علم الله تعالى يجب وقوعه ويمتنع خلافه فلا جرم تعلق ارادته في الوقت الذي أوقعه فيه ورد بأن العلم تابع للمعلوم على معنى انهما سبقه يتطابقان والاصل في هذا التطابق المعلوم لان العلم ظل له وحكاية عنه فالعلم بايقاع العالم في الوقت المعين الذي أوقعه فيه انما يتحقق اذا كان هو في نفسه بحيث يوقعه فيه ولا يتصور أن ينعكس الحال بينهما ألا ترى ان صورة الفرس مثلا على الجدار انما كانت على هذه الهيئة المخصوصة لكون الفرس في حد نفسه هكذا لا أن الفرس انما كانت على هذه الهيئة لان صورته المنقوشة على الجدار هكذا

تقدر الامكانات لا معنى له وانما المسلم ان الله قديم قادر لا يمتنع عليه الفعل أبدا لو أراد وليس في هذا القدر ما يوجب اثبات زمان ممتد الا أن يضيف الوهم بتلبيسه شيأ آخر (دليل ثالث لهم على قدم العالم) تمسكوا بأن قالوا وجود العالم ممكن قبل وجوده اذ يستحيل أن يكون ممتنعا ثم يصير ممكنا وهذا الامكان لا أول له أي لم يزل ثابتا ولم يزل العالم ممكنا وجوده اذ لا حال من الاحوال يمكن أن يوصف العالم فيه بانه ممتنع الوجود فاذا كان الامكان لم يزل فالممكن على وفق الامكان أيضا لم يزل فان معنى قولنا انه ممكن وجوده أنه ليس محالا وجوده فان كان ممكنا وجوده أبدا لم يكن محالا وجوده أبدا والا فان كان محالا وجوده أبدا بطل قولنا انه ممكن وجوده أبدا وان بطل قولنا انه ممكن وجوده أبدا بطل قولنا ان الامكان لم يزل وان بطل قولنا ان الامكان لم يزل صح قولنا ان الامكان له أول واذا صح ان له أولا كان قبل ذلك غير ممكن فيؤدي الى اثبات حال لم يكن العالم فيه ممكنا ولا كان الله تعالى قادرا (الاعتراض بأن يقال) العالم لم يزل ممكن الحدوث فلا جرم ما من وقت الا ويتصور احداثه فيه واذا قدر موجودا أبدا لم يكن حادثا فلم يكن الواقع على وفق الامكان بل خلافه وهذا كقولهم في المكان وهو ان تقدير العالم أكبر مما هو أو خلق جسم فوق العالم ممكن وكذا آخر فوق ذلك الآخر وهكذا الى غير نهاية فلا نهاية لامكان الزيادة ومع ذلك فوجود ملاء مطلق لا نهاية له غير ممكن فكذلك وجود لا يتناهى طرفه غير ممكن بل كما يقال الممكن جسم متناهي السطح ولكن لا تتعين مقاديره في الكبر والصغر وكذلك الممكن الحدوث ومبادي الوجود لا يتعين في التقدم والتأخر وأصل كونه حادثا متعين فانه الممكن لا غير (دليل رابع لهم) وهو انهم قالوا كل حادث فالمادة التي فيها الحادث تسبقه اذ لا يستغني الحادث عن مادة فلا تكون المادة حادثة وانما الحادث الصور والاعراض والكيفيات على المواد (وبيانه) ان كل حادث فهو قبل حدوثه لا يخلو اما أن يكون ممكن الوجود أو ممتنع الوجود أو واجب الوجود ومحال أن يكون ممتنعا لان الممتنع في ذاته لا يوجد قط ومحال أن يكون واجب الوجود لذاته فان الواجب الوجود لذاته لا يعدم قط فدل على أنه ممكن الوجود بذاته فاذن امكان الوجود حاصل له قبل وجوده وامكان الوجود وصف اضافي لا قوام له بنفسه فلا بد له من محل يضاف اليه ولا محل الا المادة فيضاف اليها كما نقول هذه المادة قابلة للحرارة أو البرودة أو السواد أو البياض أو الحركة أي ممكن له حدوث هذه الكيفيات وطريان هذه التغييرات فيكون الامكان وصفا للمادة والمادة لا يكون لها مادة فلا يمكن ان تحدث اذ لو حدثت لكان امكان وجودها سابقا على وجودها ولكان الامكان قائما بنفسه غير مضاف الى شئ مع انه وصف اضافي لا يعقل قائما بنفسه ولا يمكن أن يقال ان معنى الامكان يرجع الى كونه مقدورا وكون القديم قادرا عليه لانا لا نعرف كون الشئ مقدورا الا بكونه ممكنا فنقول هو مقدور لانه ممكن وليس بمقدور لانه ليس بممكن وان كان قولنا هو ممكن يرجع الى انه مقدور فكانا قلنا هو مقدور لانه مقدور وليس بمقدور وهو تعريف للشئ بنفسه فدل ان كونه ممكنا قضية أخرى في العقل ظاهرة بها يعرف القضية الثانية وهو كونه مقدورا ويستحيل أن يرجع ذلك الى علم القديم بكونه ممكنا فان العلم يستدعي معلوما والامكان المعلوم غير العلم لا محالة ثم هو وصف اضافي فلا بد من ذات يضاف اليها وليس الا المادة وكل حادث فقد

قلا مدخل للعلم بايقاع العالم فى الوقت الذى أوقعه فيه فى وجوبه ولا فى استحالة خلافه فلا يكون موجبا لتعلق ارادته بايقاعه فى ذلك الوقت الذى أوقعه فيه ويمكن أن يقال لا نسلم ان كل علم فهو تابع لمعلومه بل ذلك انما هو فى العلم الانفعالى وعلمه تعالى بايقاع العالم فى وقته علم فعلى فلا يكون تابعا للمعلوم بل متبوع له فيجوز كونه مخصصا له (فان قلت) لو كان العلم صالحا للتخصيص لم يثبت الارادة لان اثباتها انما هو للتخصص فاذا صلح العلم مخصصا استغنى عن الارادة وأيضا لو أفاد تعلق العلم بالفعل وجوبه وامتناع خلافه لزم الايجاب وسلب الاختيار وهو خلاف مذهبكم (قلت) ليس ما ذكرناه من كون العلم مخصصا مذهبنا ليرد ما ذكرتم بل المقصود ابداء احتمال لدفع دليل الخصم على قدم العالم لا اثبات الارادة وسلب الايجاب فلا يدله فى اتمام دليله من نفى هذا الاحتمال ولا يفيده كونه مخالفا لمذهب السائل اذ لا يلزم فى سؤاله رعاية مذهبه (وزعمت المعتزلة) ان المرجح هو المصالح المتعلقة بايقاع العالم فى ذلك الوقت للمكلف فان الله تعالى قد علم انه لو خلق العالم فى الوقت الذى خلقه فيه حصل للمكلفين فى خلقه فى ذلك الوقت نوع مصلحة ولو خلقه فى وقت آخر لم تحصل تلك المصلحة فلذلك تعلق ارادته بخلقه فى ذلك الوقت دون سائر الاوقات ورد بانا نعلم ضرورة أن الله لو قدم خلق العالم على الوقت الذى خلقه فيه بمقدار جزء من ألف جزء من لحظة واحدة لم يختل شئ من مصالح المكلفين على ان الاوقات متساوية فى أنفسها فحصول بعضها منشأ لمصالح المكلفين دون بعض ان لم يكن لمخصص يلزم التحكم وان كان لمخصص فذلك المخصص اما أن يكون قديما أو حادثا فان كان قديما تكون نسبته الى جميع الاوقات على السوية وان كان حادثا ننقل الكلام اليه ويلزم التسلسل ثم ان جعل خلق العالم فى وقته المعين تابعا لمصالح المكلفين قول بان فعله تعالى تابع لغرض وهو مستحيل اذ يلزم منه استكماله بالغير ضرورة ان ما كان حصوله ولا حصوله بالنسبة الى الفاعل سواء لا يكون غرضا من فعله وباعثا له عليه (وثانيها)

سبقه مادة فلم تكن المادة الأولى حادثة بحال (الاعتراض ان يقال) الامكان الذى ذكروه يرجع الى قضاء العقل فكل ما قدر العقل وجوده فلم يمتنع عليه تقديره سميناه ممكنا وان امتنع سميناه مستحيلا وان لم يقدر على تقدير عدمه سميناه واجبا وهذه قضايا عقلية لا تحتاج الى موجود حتى تجعل وصفا له بدليل ثلاثة أمور (أحدها) أن الامكان لو استدعى شيأ موجودا يضاف اليه ويقال انه امكانه لاستدعى الامتناع شيأ موجودا يقال انه امتناعه وليس للممتنع وجود فى ذاته ولا مادة يطرأ عليها المحال حتى يضاف الامتناع الى المادة (والثانى) أن السواد والبياض يقضى العقل فيهما قبل وجودهما بكونهما ممكنين فان كان هذا الامكان مضافا الى الجسم الذى يطرآن عليه حتى يقال معناه ان هذا الجسم يمكن أن يسود وان يبيض فاذا ليس البياض فى نفسه ممكنا ولا له نعت الامكان وانما الممكن الجسم والامكان مضاف اليه فنقول ما حكم نفس السواد فى ذاته أهو ممكن أو واجب أو ممتنع ولا بد من القول بأنه ممكن فدل أن العقل فى القضية بالامكان لا يفتقر الى وضع ذات موجودة يضيف اليها الامكان (والثالث) ان نفوس الآدميين عندهم جواهر قائمة بأنفسها ليست بجسم ولا مادة ولا منطبع فى مادة وهى حادثة على ما اختاره ابن سينا والمحققون منهم ولها امكان قبل حدوثها وليس لها ذات ولا مادة فامكانها وصف اضافى ولا يرجع الى قدرة القادر ولا الى الفاعل فالى ماذا يرجع فينقلب عليهم هذا الاشكال (فان قيل) رد الامكان الى قضاء العقل محال اذ لا معنى لقضاء العقل الا العلم بالامكان والامكان معلوم وهو غير العلم بل العلم يحيط به ويتبعه ويتعلق به على ما هو عليه والعلم لو قدر عدمه لم ينعدم المعلوم والمعلوم اذا قدر انتفاؤه انتفى العلم والعلم والمعلوم أمران اثنان (أحدهما) تابع والآخر متبوع ولو قدر اعراض العقلاء عن تقدير الامكان وغفلتهم عنه لكنا نقول لا يرتفع الامكان بل الممكنات فى أنفسها ولكن العقول غفلت عنها ولو عدمت العقول والعقلاء لبقى الامكان لا محالة وأما الامور الثلاثة فلا حجة فيها فان الامتناع أيضا وصف اضافى يستدعى موجودا يضاف اليه ومعنى الممتنع الجمع بين الضدين فاذا كان المحل أبيض كان ممتنعا عليه أن يسود مع وجود البياض فلا بد من موضوع يشار اليه موصوف بصفة فعند ذلك يقال ضده ممتنع عليه فيكون الامتناع وصفا اضافيا قائما بموضوع مضاف اليه أما الاول فلا يخفى انه مضاف الى الوجود الواجب وأما الثانى وهو كون السواد فى نفسه ممكنا فغلط فانه ان أخذ مجردا دون محل يحله كان ممتنعا لا ممكنا وانما يصير ممكنا اذا قدر هيئة فى الجسم فالجسم مهيأ لتبدل هيئة والتبدل ممكن على الجسم والا فليس للسواد نفس مفردة حتى يوصف بامكان وأما الثالث وهى النفس فهى قديمة عند فريق ولكن ممكن لها التعلق بالابدان فلم يلزم على هذا ما قالوا ومن سلم حدوثها فقد اعتقد فريق منهم أنها منطبعة فى المادة تابعة للمزاج على ما دل عليه كلام جالينوس فى بعض المواضع فتكون ذات مادة وامكانها مضاف الى مادتها وعلى مذهب من سلم انها حادثة وليست منطبعة فمعناه أن المادة ممكن لها أن تدبرها نفس ناطقة فيكون الامكان السابق على الحدوث مضافا الى المادة فانها وان لم تنطبع فيها فلها علاقة معها اذ هى المدبرة والمستعملة لها فيكون الامكان راجعا اليها بهذا الطريق (والجواب) ان رد الامكان والوجوب والامتناع الى قضايا عقلية صحيح وما ذكر من أن معنى قضاء العقل علمه والعلم يستدعى معلوما (فنقول) له معلوم كاللونية والحيوانية وسائر القضايا

من وجوه الجواب عن أصل استدلالهم ما ذكره المحقق نصير الدين الطوسي وهو أن يقال نختار أن جميع ما لا بد منه للباري في ايجاد العالم حاصل في الازل من غير أن يتوقف الايجاد على أمر حادث قولهم فحينئذ لو لم يكن العالم أزليا لزم الرجحان بلا مرجح ممنوع لانه لا وقت محققا قبل العالم حتى يطلب لحدوثه في وقته مرجح بل الزمان هناك وهمي محض لا وجود له الا مع أول وجود العالم ولا تمايز بين أجزائه الوهمية الا بمجرد التوهم كالمكان خارج العالم وكما أنه لا يقال لم كان العالم في مكانه الذي وقع فيه كذلك لا يقال لم لم يوجد العالم قبل الوقت الذي حدث فيه (لا يقال) هذا انما يدل على أن لا يطلب وجه الترجيح فيما بين الاوقات التي قبل الحدوث اذ لا زمان هناك الا في الاوقات التي بعده فاختصاص الحدوث بهذا الوقت دون ما عداه من الاوقات التي بعده ترجيح بلا مرجح (لانا نقول) حدوث الزمان انما هو مع حدوث العالم لانه مقدار حركة الفلك الاعظم فلا وجه لطلب وجه الترجيح لاختصاص حدوث العالم بجزء منه دون آخر اذ لا يتصور تقدم بعض أجزائه على حدوث العالم حتى يقال لم حدث العالم في الجزء الاول منه دون الثاني أو الثالث (وثالثها) من وجوه الجواب عن أصل استدلالهم هو النقض بالحادث اليومي اذ لا شبهة في وجوده مع جريان الدليل فيه بعينه اذ يقال جميع ما لا بد منه في ايجاده ان كان حاصلا في الازل كان الايجاد أزليا وكان وجود الحادث اليومي أزليا اذ لا يتخلف الوجود عن الايجاد لانه لو لم يكن الايجاد أزليا حينئذ لكان حصوله بعده اما أن يتوقف على شرط حادث وهو خلاف المفروض أو لا يتوقف فيلزم الرجحان بلا مرجح وان لم يكن جميع ما لا بد منه في الايجاد حاصلا في الازل كان بعضه حادثا قطعا فان لم يحتج ذلك البعض الحادث الى تأثير مؤثر لزم استغناء الحادث عن المؤثر وان احتاج فاما أن يكون جميع ما لا بد منه في تحصيله حاصلا في الازل فيلزم قدم الحادث أو لا يكون فبعضه حادث وننقل الكلام اليه ويلزم التسلسل فلو صح هذا الدليل

الكلية فانها ثابتة في العقل عندهم وهي علوم ولا يقال لا معلوم لها ولكن لا وجود لمعلوماتها في الاعيان حتى صرح الفلاسفة بان الكليات موجودة في الاذهان لا في الاعيان وانما الموجود في الاعيان جزئيات شخصية وهي محسوسة غير معقولة ولكنها سبب لان ينتزع العقل منها قضية مجردة عن المادة عقلية فاذن اللونية قضية مفردة في العقل سوى السوادية والبياضية ولا يتصور في الوجود لون ليس بسواد ولا بياض ولا غيره من الالوان ويثبت في العقل صورة اللونية من غير تفصيل ويقال هي صورة وجودها في الاذهان لا في الاعيان فان لم يمتنع هذا لم يمتنع ما ذكرناه (وأما قولهم) لو قدر عدم العقلاء أو غفلتهم ما كان الامكان ينعدم (فنقول) ولو قدر عدمهم هل كانت القضايا الكلية وهي الاجناس والانواع تنعدم فاذا قالوا نعم اذ لا معنى لها الا قضية في العقول وكذلك قولنا في الامكان ولا فرق بين البابين وان زعموا انها تكون باقية في علم الله فكذا القول في الامكان فالالزام واقع والمقصود اظهار تناقض كلامهم (وأما العذر عن الامتناع) فانه مضاف الى المادة الموصوفة بالشيء اذ يمتنع عليه ضده فليس كل محال كذلك فان وجود شريك لله محال وليس ثم مادة يضاف اليها الامتناع فان زعموا ان معنى استحالة الشريك أن انفراد الله تعالى بذاته وبوحدته واجب والانفراد مضاف اليه فنقول ليس بواجب فان العالم موجود معه فليس منفردا فان زعموا ان انفراده عن النظير واجب ونقيض الواجب ممتنع وهو اضافة اليه (قلنا) فمعنى امكان وجود العالم عندنا ان انفراد الله تعالى عنه ليس كانفراده عن النظير فان انفراده عن النظير واجب وانفراده عن المخلوقات الممكنة غير واجب فنتكلف الامكان اليه بهذه الحيلة كما تكلفوا في رد الامتناع الى ذاته بقلب عبارة الامتناع الى الوجوب ثم باضافة الانفراد اليه بنعت الوجوب (وأما العذر عن السواد والبياض بانه لا نفس له ولا ذات منفردا) فهو حق ان عني بذلك في الوجود وان عني بذلك في العقل فلا فان العقل يعقل السواد الكلي ويحكم عليه بالامكان في ذاته ثم العذر باطل بالنفوس الحادثة فان لها ذوات مفردة وامكان سابق على الحدوث وليس ثم ما يضاف اليه (وقولهم) ان المادة ممكن لها ان تدبرها النفس فهذه اضافة بعيدة فان اكتفيتم بهذا فلا يبعد أن يقال معنى الحادث ان القادر عليه ممكن في حقه ان يحدثه فتكون اضافة الى الفاعل مع انه ليس منطبعا فيه كما أنه اضافة الى البدن المنفعل مع انه لا ينطبع فيه ولا فرق بين النسبة الى الفاعل والنسبة الى المنفعل اذ لم يكن انطباع في الموضعين (فان قيل) فقد عولتم في جميع الاعتراضات على مقابلة الاشكالات ولم تحلوا ما أوردوه من الاشكال (قلنا) المعارضة تبين فساد الكلام لا محالة وينحل وجه الاشكال في تقدير المعارضة والمطالبة ونحن لم نلتزم في هذا الكتاب الا تكذيب مذهبهم والتعبير في وجوه أدلتهم بما نبين تهافتهم ولم نتطرق للذب عن مذهب معين فلذلك لا نخرج عن مقصود الكتاب ولا نستقصي القول في الادلة الدالة على الحدوث اذ غرضنا ابطال دعواهم معرفة القدم واما اثبات المذهب الحق فسنصنف فيه كتابا بعد الفراغ من هذا ان ساعد التوفيق ان شاء الله ونسميه قواعد العقائد ونعتني فيه بالاثبات كما اعتنينا في هذا الكتاب بالهدم والله أعلم (مسئلة) في ابطال قولهم في أبدية العالم والزمان والحركة (ليعلم) ان هذه المسئلة فرع الاولى فان العالم عندهم كما انه أزلي لا بداية لوجوده فهو أبدي لا نهاية لآخره ولا يتصور فساده وفناؤه بل لم يزل كذلك ولا يزال أيضا كذلك وأدلتهم الاربعة التي ذكرناها في الازلية جارية في الابدية

لزم أن يكون الحادث اليومى قديما (واعترض عليه) بأن التسلسل اللازم فى الحادث اليومى هو تسلسل فى الامور المتعاقبة وذلك ليس بممتنع بخلاف التسلسل اللازم فى حدوث العالم فانه تسلسل فى الامور المترتبة المجتمعة فى الوجود وهو محال فلا يكون الدليل بعينه جاريا فيه * ومحص كلامهم فى هذا المقام هو ان العلة قد تكون معدة وقد تكون مؤثرة أما المعدة فمتقدمة على المعلوم لانها مفيدة لاستعداد المعلول لقبول الاثر من العلة المؤثرة واستعداد الشئ هو كونه بالقوة فلا ٢١ يجامع الفعل وأما المؤثرة فيجب أن تكون مقارنة للمعلول موجودة معه ثم لما كان المبدأ الاول دائم الوجود كان معلوله الاول أيضا دائم الوجود وهكذا الى أن تنتهى سلسلة المعلولات الدائمة الى اجرام الافلاك ونفوسها فحركت نفوسها اجرامها حركة دورية ارادية وهذه الحركة أيضا دائمة الوجود لدوام سببها وعاتها الا أنها لعدم استقرارها تتبدل أوضاع أجزاء الجسم المتحرك بها ويكون وضع من تلك الاوضاع معدا لحصول وضع آخر ولذ وامها يكون كل وضع منها مسبوقا بوضع آخر لا الى أول وبسبب تبدل تلك الاوضاع تحصل للمادة استعدادات مختلفة لقبول الصور والاعراض فتفيض من مباديها فالحركة الدورية هى الواسطة بين عالمى الثابتات والمتغيرات ولولاها لما انتهت سلسلة المبادى الدائمة الى الحوادث ولما ارتقت سلسلة الحوادث الى المبادى الدائمة وعلى هذا الوجه يمكن حدوث الحوادث عن البارى تعالى والتسلسل اللازم فيه هو التسلسل فى الاوضاع والاستعدادات المتسابقة التى لا يجامع المتقدم منها المتأخر ومثله غير ممتنع ولا يمكن ان يكون صدور العالم عن المبدا الاول على هذا الوجه لان الصدور على هذا الوجه لا يتوقف الا على الحركة والتغير والحركة من عوارض الاجسام فتلك الاجسام التى هى معروضة لتلك الحركات استحال أن يكون صدورها عنه بواسطة الحركات العارضة لها والا لتأخرت عن الحركات العارضة لها المتأخرة عنها فيلزم تأخرها عن نفسها بمرتبتين بل لابد من صدور بعض

الابدية والاعتراض كالاعتراض من غير فرق فانهم يقولون اذا لم تتغير العلة لم يتغير المعلول وجارى علته وعليه بنوا منع الحدوث وهو بعينه جار فى الانقطاع وهذا مسلكهم الاول (ومسلكهم الثانى) أن العالم اذا عدم فيكون عدمه بعد وجوده فيكون له بعد ففيه اثبات الزمان (ومسلكهم الثالث) ان امكان الوجود لا ينقطع فكذلك الوجود الممكن يجوز ان يكون على وفق الامكان الا ان هذا الدليل لا يقوى فانا نحيل ان يكون أزليا ولا نحيل ان يكون أبديا لو أبقاه الله تعالى أبدا اذ ليس من ضرورة الحادث ان يكون له آخر ومن ضرورة الفعل ان يكون حادثا وان يكون له أول ولم نوجب ان يكون للعالم لا محالة الا أبو الهذيل العلاف فانه قال كما يستحيل فى الماضى دورات لا نهاية لها وكذلك فى المستقبل وهذا فاسد لان كل المستقبل لا يدخل فى الوجود فالماضى قد دخل كله فى الوجود متلاحقا وان لم يكن متساوقا واذا تبين انا لا نبعد بقاء العالم أبدا من حيث العقل بل نجوز ابقاءه وافناءه وانما يعرف الواقع من قسمى الممكن بالشرع فلا يتعلق النظر فيه بالعقول (واما مسلكهم الرابع) فهو جار لانهم يقولون اذا عدم العالم بقى امكان وجوده اذ الممكن لا ينقلب مستحيلا وهو وصف اضافى فيفتقر كل حادث بزعمهم الى مادة سابقة وكل منعدم فيفتقر الى مادة تنعدم عنه فالمواد والاصول لا تنعدم وانما تنعدم الصور والاعراض الحالة فيها (والجواب) عن الكل ما سبق وانما أوردنا هذه المسئلة لان لهم فيها دليلين آخرين (الاول) ما تمسك به جالينوس اذ قال لو كانت الشمس مثلا تقبل الانعدام لظهر فيها ذبول فى مدة مديدة والارصاد الدالة على مقدارها منذ آلاف سنين لا تدل الا على هذا المقدار فلما لم تذبل فى هذه الآماد الطوال دل على انها لا تفسد (الاعتراض عليه) من وجوه (الاول) ان شكل هذا الدليل ان يقال ان كانت الشمس تفسد فلابد وان يكون فيها ذبول لكن التالى محال فالمقدم محال وهو قياس يسمى عندهم الشرطى المتصل وهذه النتيجة غير لازمة لان المقدم غير صحيح ما لم يضف اليه شرط آخر وهو قوله ان كانت تفسد فلابد وان تذبل فهذا التالى لا يلزم هذا المقدم الا بزيادة شرط وهو ان نقول ان كانت تفسد فسادا ذبوليا فلابد وان تذبل فى طول المدة أو يبين أنه لا فساد الا بطريق الذبول حتى يلزم التالى للمقدم ولا نسلم له انه لا يفسد الشئ الا بالذبول بل الذبول أحد وجوه الفساد ولا يبعد ان يفسد الشئ بغتة وهو على حال كماله (الثانى) هو انه لو سلم له هذا وانه لا فساد الا بالذبول فمن أين عرف انه لا يعتريها الذبول وأما التفاته الى الارصاد فمحال لانها لا تعرف مقاديرها الا بالتقريب والشمس التى يقال انها كالارض مائة وسبعين مرة أو ما يقرب منه لو نقص منها مقدار جبال مثلا لكان لا يتبين للحس فلعلها فى الذبول والى الآن قد نقص مقدار جبال وأكثر والحس لا يقدر على ان يدرك ذلك لان تقديره فى علم المناظر لا يعرف الا بالتقريب وهذا كما ان الياقوت والذهب مركبان من العناصر عندهم وهى قابلة للفساد ثم لو وضع ياقوتة مائة سنة لم يكن نقصانها محسوسا ولعل نسبة ما ينقص من الشمس فى مدة تاريخ الارصاد كنسبة ما ينقص من الياقوتة فى مائة سنة وذلك لا يظهر للحس فدل ان دليله فى غاية الفساد وقد أعرضنا عن ايراد أدلة كثيرة من هذا الجنس يتركها العقلاء وأوردنا هذا الواحد ليكون عبرة ومثالا لما تركناه واقتصرنا على الادلة الاربعة التى تحتاج الى تكلف فى حل شبهها كما سبق (الدليل الثانى) لهم فى استحالة عدم العالم ان قالوا لا تنعدم جواهره لانه لا يعقل سبب معدم له وما لم يكن منعدما ثم انعدم فلابد

الاشياء عنه على سبيل الابداع وذلك هو العقول المجردة والنفوس الفلكية واجرامها (وأجيب) بان بعض البراهين الدالة على
بطلان التسلسل كالتطبيق والتضايف يجري فيما يدخل تحت الوجود على سبيل الترتيب سواء كانت مجتمعة أو متعاقبة الفرق
بين محل النزاع وصورة النقض بان التسلسل اللازم في أحدهما تسلسل في الامور المجتمعة وفي الآخر في الامور المتعاقبة لايجدي نفعا
ولو سلم صحة ماذكرتموه لكن لا يمكنكم ٢٣ مع القول بصحته اثبات قدم العالم لاحتمال أن يقال ان واجب الوجود مريد بارادات
حادثة غير متناهية لا أول
لها كل ارادة سابقة علة
لحصول الارادات
اللاحقة على الوجه الذي
ذكرتموه في الحركات
والاوضاع ثم ان تلك
الارادات الغير المتناهية
من طرف المبدا انتهت
من الطرف الآخر الى
ارادات حادثة تعلقت
بايجاد العالم ولو سلم ان
ماذكر يستحيل في حق
الباري لكن لا يمكنكم
مع القول بصحته اثبات قدم
العالم الجسماني اذ يقال
لم لا يجوز أن يكون
الباري تعالى علة لموجود
غير جسم ولا جسماني ثم
يكون لذلك الموجود
ارادات جزئية حادثة غير
متناهية وتنتهي تلك
الارادات الجزئية الحادثة
الى ارادة جزئية حادثة
تعلقت باحداث الاجسام
* لا يقال لو كان للباري
تعالى أو لذلك الموجود
المجرد ارادات جزئية غير
متناهية لزم أن تكون
الاجسام قديمة * لان
القصود الجزئية لا تحصل
الا مع الادراكات الجزئية
والادراكات الجزئية
لا تحصل الا مع الآلات
الجسمانية فيلزم بالضرورة من لاأولية تلك الادراكات لاأولية الاجسام لانا نقول لا نسلم ان الادراكات كون
الجزئية لا تحصل الا بواسطة الآلات الجسمانية * ولا يقال أيضا تعاقب الحوادث انما يصح في الجسمانيات دون المجردات المحضة لان
كل حادث مسبوق بالمادة * لانا نقول ذلك ممنوع وسيجيء الكلام عليه عن قريب ان شاء الله تعالى (قال الامام الرازي) واعلم ان هذا
الاحتمال مما ذهب اليه قوم من قدماء الفلاسفة القائلين بحدوث السماء وكان محمد بن زكريا الرازي ناصرا لهذا القول ولم يشتغل أحد

وان يكون بسبب وذلك السبب لا يخلو اما ان يكون بارادة القديم وهو محال لانه اذا لم يكن مريدا لعدمه
ثم صار مريدا فقد تغير ويؤدي الى ان يكون القديم وارادته على نعت واحد في جميع الاحوال والمراد
يتغير من العدم الى الوجود ثم من الوجود الى العدم وماذكرناه من استحالة وجود حادث بارادة قديمة
يدل على استحالة العدم ويزيد ههنا اشكالا آخر أقوى من ذلك هو ان المراد فعل المريد لا محالة وكل من
لم يكن فاعلا ثم صار فاعلا وان لم يتغير هو في نفسه فلا بد وان يصير فعله موجودا بعد ان لم يكن له فعل
والآن أيضا لا فعل له فاذن لم يفعل شيأ والعدم ليس بشيء فكيف يكون فعلا واذا أعدم العالم وتجدد له
فعل لم يكن فاذلك الفعل أهو وجود العالم وهو محال اذ انقطع الوجود أو فعله عدم العالم وعدم العالم
ليس بشيء حتى يكون فعلا فان أقل درجات الفعل ان يكون موجودا وعدم العالم ليس شيأ موجودا
حتى يقال هو الذي فعله الفاعل وأوجده الموجد ولاشكال هذا افترق المتكلمون في التفصي عن
هذا أربع فرق وكل فريق اقتحم محالا (اما المعتزلة) فانهم قالوا فعله الصادر منه موجود وهو الفناء
يخلقه لا في محل فينعدم العالم دفعة واحدة وينعدم الفناء المخلوق بنفسه حتى لا يحتاج الى فناء آخر
فيتسلسل الى غير نهاية وهو فاسد من وجوه (أحدها) ان الفناء ليس موجودا معقولا حتى يقدر خلقه
ثم ان كان موجودا فلم ينعدم بنفسه من غير معدم ثم لم يعدم العالم فانه ان خلق في ذات العالم وحل فيه
فهو محال لان الحال يلاقي المحلول فيجتمعان ولو في لحظة فاذا جاز اجتماعهما لم يكن ضدا فلم يفنه وان خلقه
لا في العالم ولا في محل فمن أين يضاد وجوده وجود العالم ثم في هذا المذهب شناعة أخرى وهي ان الله
تعالى لا يقدر على اعدام بعض جواهر العالم دون بعض بل لا يقدر الا على احداث فناء يعدم جواهر
العالم كلها لانها اذا لم تكن في محل كان نسبتها الى الكل على وتيرة واحدة (الفرقة الثانية الكرامية)
حيث قالوا ان فعله الاعدام والاعدام عبارة عن موجود يحدثه في ذاته تعالى عن قولهم فيصير العالم به
معدوما وكذلك الوجود عندهم بايجاد يحدثه في ذاته فيصير الموجود به موجودا وهذا أيضا فاسد
اذ فيه كون القديم محل الحوادث ثم هو خروج عن المعقول اذ لا يعقل من الايجاد الا وجود منسوب
الى ارادة وقدرة فاثبات شيء آخر سوى الارادة والقدرة ووجود المقدور وهو العالم لا يعقل وكذا
الاعدام (الفرقة الثالثة الاشعرية) اذ قالوا اما الاعراض فانها تفنى بانفسها ولا يتصور بقاؤها لانه لو
تصور بقاؤها لما تصور فناؤها بهذا المعنى وأما الجواهر فليست باقية بانفسها ولكنها باقية ببقاء زائد
على وجودها فاذا لم يخلق الله البقاء انعدمت لعدم المبقي وهو أيضا فاسد لما فيه من مناكرة المحسوس
في أن السواد لا يبقى والبياض كذلك والله متجدد الوجود والعقل ينبو عن هذا كما ينبو عن قول القائل
ان الجسم متجدد الوجود في حالة والعقل القاضي بان الشعر الذي على رأس الانسان في اليوم هو الشعر
الذي كان بالامس لا مثله حتى يقضي به أيضا في سواد الشعر ثم فيه اشكال آخر وهو ان الباقي اذا بقي ببقاء
ولزم ان تبقى صفات الله ببقاء وذلك البقاء يكون باقيا فيحتاج الى بقاء آخر ويتسلسل الى غير نهاية
(الفرقة الرابعة) طائفة أخرى من الاشعرية اذ قالوا ان الاعراض تفنى بانفسها واما الجواهر فانها تفنى
بان لا يخلق الله تعالى فيها حركة ولا سكونا ولا اجتماعا ولا افتراقا فيستحيل ان يبقى جسم ليس بساكن ولا
متحرك فينعدم وكان فرقتي الاشعرية مالوا الى ان الاعدام ليس بفعل انما هو كف عن الفعل لما لم يعقلوا

من أصحاب ارسطو بابطاله وفي جريان برهان التطبيق والتضايف فيما دخل تحت الوجود على سبيل التعاقب نظر أما برهان التطبيق فلان آحاد السلسلة اذا لم يجتمع في الوجود الخارجي لم يتصور بينها انطباق بحسب الخارج ضرورة ان وقوع شيء بازاء شيء آخر في الخارج يتوقف على وجودهما في الخارج معا في زمان الوقوع ولا يتصور التطبيق بحسب الذهن أيضا لاستحالة وجودها في الذهن مفصلة في زمان واحد ولا يكفي الوجود الاجمالي في الذهن ضرورة ان وقوع بعضها بازاء البعض لا يتصور الا اذا كانت موجودة معا تفصيلا وأما برهان التضايف فلان آحاد السلسلة انما تصير معروضة للعدد المعين اذا وجدت في الخارج أو في الذهن على سبيل التفصيل اذ ما لم يوجد شيء في الخارج أو في الذهن لم يكن موصوفا بشيء ما اعتباريا كان أو حقيقيا لان ثبوت الشيء للشيء فرع ثبوت المثبت له وأما الوجود الاجمالي فهو بالحقيقة ليس لتلك الآحاد المعروضة للعدد بل للمفهوم الكلي الواقع عنوانا ولو سلم ان الوجود الاجمالي وجود لتلك الآحاد الا انه لا كثرة فيها باعتبار ذلك الوجود فلا يكون باعتباره معروضة للعدد الذي هو الكثرة (فان قيل) هم معترفون بان هذه الحوادث باسرها ثابتة في علمه تعالى وفي علم الملأ الاعلى وذلك يكفينا في اتمام البرهانين (قلنا) لعلهم يثبتون تلك العلوم على نحو آخر غير الوجود الذهني (وقيل) أو لعلهم لا يثبتون لها ترتبا في تلك العلوم لعدم دخول الزمان في تلك العلوم وفيه نظر لان ترتب هذه الحوادث ليس بمجرد ترتب أجزاء الزمان بل بينها ترتب طبيعي لتوقف بعضها على بعض لكون كل سابق علة معدة لحصول اللاحق ولان عدم دخول الزمان في تلك العلوم انما هو باعتبار أوصافه الثلاثة لا مطلقا فالترتيب باق بحاله (لا يقال) الترتب الطبيعي بينها انما هو في الوجود الخارجي دون العقلي فلا يلزم كونها مترتبة في تلك المبادي (لانا نقول) علم المبادي العالية للاشياء عندهم بسبب العلم بعللها فكما ان بين الأشياء ترتبا في الوجود الخارجي فكذا في وجودها العقلي في تلك المبادي (ورابعها) من

كون العدم فعلا واذا بطلت هذه الطرق لم يبق وجه للقول بجواز اعدام العالم هذا وقيل بان العالم حادث فانهم مع تسليمهم حدوث النفس الانسانية يدعون استحالة انعدامها بطريق يقرب مما ذكرناه وبالجملة عندهم كل قائم بنفسه لا في محل لا يتصور انعدامه بعد وجوده سواء كان قديما أو حادثا واذا قيل لهم مهما أوقدت النار تحت الماء انعدم الماء قالوا لم ينعدم بل انقلب بخارا ثم هواء والمادة الاولى وهي الهيولى باقية في الهواء وهي المادة التي كانت بصورة الماء وانما خلعت الهيولى صورة المائية ولبست صورة الهوائية واذا صار الهواء بردا كثف وانقلب ماء لا بمادة تحدث بل المواد مشتركة بين العناصر وانما يتبدل عليها صورها (والجواب) ان ما ذكرتموه من الاقسام وان أمكن ان نذب عن كل واحد ونبين أن ابطاله على أصلكم لا يستقيم لاشتمال أصولكم على ما هو من جنسه ولكنا لا نطول به ونقتصر على قسم واحد ونقول بم تنكرون على من يقول الايجاد والاعدام بارادة القادر فاذا أراد الله تعالى أوجد واذا أراد أعدم وهو معنى كونه قادرا على الكمال وهو في جملة ذلك لا يتغير في نفسه وانما يتغير الفعل فاما قولكم ان الفاعل لا بد وان يصدر منه فعل فما الصادر منه قلنا الصادر منه ما تجدد وهو العدم اذ لم يكن عدم ثم تجدد العدم فهو الصادر عنه (فان قلتم) انه ليس بشيء فكيف صدر منه (قلنا) أو هو ليس بشيء فكيف وقع وليس معنى صدوره منه الا ان ما وقع مضاف الى قدرته فاذا عقل وقوعه لم لا تعقل اضافته الى القدرة وما الفرق بينكم وبين من ينكر طريان العدم أصلا على الاعراض والصور ويقول العدم ليس بشيء فكيف يطرأ وكيف يوصف بالطريان والتجدد ولا نشك في ان العدم يتصور طريانه على الاعراض فالموصوف بالطريان معقول وقوعه سمي شيئا أو لم يسم فاضافة ذلك الواقع المعقول الى قدرة القادر أيضا معقول (فان قيل) هذا انما يلزم على مذهب من يجوز عدم الشيء بعد وجوده فيقال له ما الذي طرأ وعندنا لا ينعدم الشيء الموجود وانما معنى انعدام الاعراض طريان اضدادها التي هي موجودات لا طريان العدم المجرد الذي ليس بشيء لان الذي ليس بشيء كيف يوصف بالطريان فاذا ابيض الشعر فالطارئ هو البياض فقط وهو موجود ولا نقول الطارئ عدم السواد وهذا فاسد من وجهين (أحدهما) ان طريان البياض هل تضمن عدم السواد أم لا فان قالوا لا فقد كابروا المعقول وان قالوا نعم فالمتضمن عين المتضمن أو غيره فان قالوا عينه كان متناقضا اذ الشيء لا يتضمن نفسه وان قالوا غيره فذلك الغير معقول أم لا فان قالوا لا فبم عرفتم انه متضمن والحكم عليه بكونه متضمنا اعتراف بكونه معقولا وان قالوا نعم فذلك المتضمن المعقول وهو عدم السواد قديم أو حادث فان قالوا قديم فهو محال وان قالوا حادث فالموصوف بالحدوث كيف لا يكون معقولا وان قالوا لا قديم ولا حادث فهو محال لانه قبل طريان البياض لو قيل السواد معدوم كان كذبا وبعده اذا قيل انه معدوم كان صدقا فهو طار لا محالة فهذا الطارئ معقول فيجوز ان يكون منسوبا الى قدرة قادر (الوجه الثاني) ان من الاعراض ما لا ينعدم عندهم الا بضده فان الحركة لا ضد لها وانما التقابل بينها وبين السكون عندهم تقابل الملكة والعدم أي تقابل الوجود والعدم ومعنى السكون عدم الحركة فاذا عدمت الحركة لم يكن سكون هو ضده بل هو عدم محض وكذلك الصفات التي هي من الاستكمال كانطباع أشباح المحسوسات في الرطوبة الجليدية من العين بل انطباع صورة المعقولات في النفس فانها ترجع الى استفتاح وجود من غير زوال ضده

واذا عدمت كان معناها زوال الوجود من غير استعقاب ضده فزواله عبارة عن عدم محض قد طرأ فعقل وقوع العدم الطارئ وما عقل وقوعه بنفسه وان لم يكن شيأ فعقل ان ينسب الى قدرة القادر فتبين بهذا انه مهما تصور وقوع حادث بارادة قديمة لم يفترق الحال بين ان يكون الواقع عدما او وجودا

(مسئلة) في بيان تلبيسهم بقولهم ان الله فاعل العالم وصانعه وان العالم فعله وصنعه وبيان ان ذلك مجاز عندهم وليس بحقيقة (وقد اتفقت الفلاسفة) سوى الدهرية على ان للعالم صانعا وان الله تعالى هو صانع العالم وفاعله وان العالم فعله وصنعه وهذا تلبيس على أصلهم ان يكون العالم من صنع الله تعالى من ثلاثة أوجه وجه في الفاعل ووجه في الفعل ووجه في نسبة مشتركة بين الفعل والفاعل اما الذي في الفاعل فهو انه لا بد وان يكون مريدا مختارا عالما بما يريده حتى يكون فاعلا لما يريده والله تعالى ليس مريدا بل لا صفة له أصلا وما يصدر عنه فيلزم لزوما ضروريا (والثاني) ان العالم قديم والفعل هو الحادث (والثالث) ان الله تعالى واحد عندهم من كل وجه والواحد لا يصدر منه عندهم الا واحد من كل وجه والعالم مركب من مختلفات فكيف يصدر عنه (ولنحقق) وجه كل واحد من هذه الوجوه الثلاثة مع خيالهم في دفعه (اما الاول) فنقول الفاعل عبارة عمن يصدر منه الفعل مع الارادة مع الفعل على سبيل الاختيار ومع العلم بالمراد وعندهم ان العالم من الله تعالى كالمعلول من العلة يلزم لزوما ضروريا لا يتصور من الله تعالى دفعه لزوم الظل من الشخص والنور من الشمس وليس هذا من الفعل في شئ بل من قال ان السراج يفعل الضوء والشخص يفعل الظل فقد جاوز وتوسع في التجوز توسعا خارجا عن الحد واستعار اللفظ اكتفاء بوقوع المشاركة بين المستعار له والمستعار عنه في وصف واحد وهو أن الفاعل سبب على الجملة والسراج سبب الضوء والشمس سبب النور ولكن الفاعل لم يسم فاعلا صانعا بمجرد كونه سببا بل بكونه سببا على وجه مخصوص وهو وقوع الفعل منه على وجه الارادة والاختيار حتى لو قال القائل الجدار ليس بفاعل والحجر ليس بفاعل والجماد ليس بفاعل وانما الفعل للحيوان لم ينكر عليه في ذلك ولم يكن في قوله كاذبا وللحجر فعل عندهم وهو الهوى بالثقل والميل الى المركز كما ان للنار فعلا وهو التسخين وللحائط فعلا وهو الميل الى المركز ووقوع الظل فان كل ذلك صادر منه وهذا محال (فان قيل) كل موجود ليس واجب الوجود بذاته بل هو موجود بغيره فانا نسمي ذلك الشئ مفعولا ونسمي سببه فاعلا ولا نبالي كان السبب فاعلا بالطبع أو بالارادة كما انكم لا تبالون أنه كان فاعلا بآلة أو بغير آلة بل الفعل جنس وينقسم الى ما يقع بآلة والى ما يقع بغير آلة فكذلك هو جنس وينقسم الى ما يقع بالطبع والى ما يقع بالاختيار بدليل انا اذا قلنا فعل بالطبع لم يكن ضد القول بالاختيار ولا دفعا ونقضا له بل كان بيانا لنوع الفعل كما اذا قلنا فعل مباشرة بغير آلة لم يكن نقضا بل كان تنويعا وبيانا واذا قلنا فعل بالاختيار لم يكن تكرارا مثل قولنا حيوان انسان بل كان بيانا لنوع الفعل كقولنا فعل بآلة ولو كان قولنا فعل يتضمن الارادة وكانت الارادة ذاتية للفعل من حيث انه فعل لكان قولنا فعل بالطبع متناقضا كقولنا فعل وما فعل (قلنا) هذه التسمية فاسدة ولا يجوز أن يسمى كل سبب بأي وجه كان فاعلا ولا كل مسبب مفعولا ولو كان كذلك لما صح ان يقال الجماد لا فعل له وانما الفعل للحيوان وهذه من الكلمات المشهورة الصادقة فان سمي الجماد فاعلا فبالاستعارة كما قد يسمى طالبا مريدا على سبيل المجاز

وجه الجواب أن يقال انا لا نسلم ان جميع ما لا بد منه في ايجاد الباري تعالى للعالم ان كان حاصلا في الازل كان الايجاد حاصلا في الازل وانما يلزم ذلك لو أمكن وجود العالم في الازل وهو ممنوع ولم لا يجوز أن يكون العالم قابلا للوجود فيما لا يزال ولا يكون قابلا للوجود الازلي والايجاد كما يعتبر فيه وجود المؤثر فكذا يعتبر فيه امكان الاثر فاذا لم يكن الاثر ممكن الحصول في الازل لم يكن الايجاد حاصلا فيه (لا يقال) امكان العالم أزلي والا يلزم الانقلاب ويكون ممكن الوجود في الازل (لانا نقول) أزلية الامكان لا تستلزم امكان الازلية وسيجيء تمام الكلام فيه عن قريب ان شاء الله تعالى (ورد هذا الجواب) بانه اذا كان جميع ما لا بد منه في ايجاد الباري تعالى للعالم حاصلا في الازل ولم يكن العالم حاصلا فيه لامتناع أزليته يلزم الترجيح بلا مرجح أيضا لانه لو وجد العالم قبل الوقت الذي وجد فيه بمقدار ما يسع فيه ألف دورة لا يصير بذلك أزليا لحدوثه قبل الوقت الذي حدث فيه ممكن وعلته التامة حاصلة ازلا على ما هو المفروض فتخصص حدوثه بالوقت الذي حدث فيه ترجح من غير مرجح وان دفع بان الاوقات التي قبل حدوث العالم متوهمة لا تميز فيها فلا وجه لطلب وجه الترجح لحدوثه في وقته يكون رجوعا الى الجواب الذي ذكره المحقق نصير الدين الطوسي لا وجها مستقلا (الوجه الثاني) من وجوه استدلالهم على قدم العالم هو انه لا يجوز أن يكون الزمان حادثا والا لكان عدمه سابقا على وجوده سبقا يمتنع أن يجامع معه السابق المسبوق وهذا السبق هو السبق الزماني فيلزم أن يكون عدمه مقارنا بالزمان فيكون الزمان موجودا حين ما فرض معدوما وهذا خلف واذا كان الزمان قديما وهو مقدار الحركة كانت الحركة أيضا قديمة لامتناع وجود المقدار بدون ذي المقدار فيكون محلها أعني الجسم قديما وهو المطلوب (وجوابه) ان الزمان أمر وهمي تقدر به المتجددات وباعتباره يكون وجود الحادث مسبوقا بعدمه وليس أمرا موجودا فيلزم من انتفاء حدوثه قدمه فيلزم قدم العالم

(فان قيل) الحكماء قد استدلوا على وجود الزمان فيكون منعه بعد قيام الدليل عليه خارجا عن قانون المناظرة (قلنا) نعم الآن ما ذكروه من الدليل عليه تمويه وتلبيس لا يدل على مطلوبهم الذى هو وجود الزمان فمنعه بالحقيقة راجع الى مقدمات دليله وان شئت ايضاح الحال فاستمع لما يتلى عليك من المقال فنقول وبالله التوفيق ما وصل الينا من الاستدلال من قبلهم على وجود الزمان وجهان (الاول) انا نفرض حركة معينة فى مسافة معينة بقدر من السرعة وحركة أخرى فى تلك المسافة مثل الاولى فى السرعة فان توافقنا مع ذلك فى الاخذ والترك بان ابتدأتا معا ووقفتا معا فبالضرورة تقطعان المسافة معا وان توافقتا فى الترك دون الاخذ بان كان ابتداء الثانية متأخرا عن ابتداء الاولى فبالضرورة تقطع الثانية أقل مما قطعته الاولى وكذا ان توافقتا فى الاخذ والترك وكانت الثانية ابطأ فانها تقطع أقل فمن أخذ السرعة الاولى وتركها امكان قطع مسافة معينة بسرعة معينة وامكان قطع مسافة أقل منها بطء معين ومن أخذ السرعة الثانية وتركها امكان أقل من الامكان الاول بتلك السرعة المعينة وهناك أمر مقدارى أى قابل للزيادة والنقصان بالذات تقع فيه الحركة وتفاوت بتفاوته ضرورة ان قبول التفاوت ينتهى الى ما يكون بالذات وهو الذى عبرنا عنه بالامكان وسميناه بالزمان فيكون موجودا لان ما كان قابلا للزيادة والنقصان يكون موجودا لامتناع كون العدم الصرف قابلا لهما بالضرورة وليس هو نفس السرعة اذ الحركتان قد تتساويان فى السرعة مع التفاوت فى ذلك الامر المقدارى وبالعكس ولا امتدادا فى امتداد المسافة اذ الحركتان قد تتساويان فى امتداد المسافة مع تفاوت هذا الامكان لاختلافهما بالسرعة والبطء أو بالعكس ولا امتداد المتحرك اذ قد يختلف امتداد المتحرك مع الاتحاد فى الامكان كحركة الجسم الصغير والكبير فى مسافة معينة فى ساعة واحدة لتساويهما فى السرعة وبالعكس (الثانى) من الوجهين اللذين استدلوا بهما على وجود

المجاز اذ يقال الحجر يهوى لانه يريد المركز ويطلبه والطلب والارادة حقيقة لا يتصور الا مع العلم بالمراد المطلوب ولا تتصور الا من الحيوانات * واما قولكم ان قولنا فعل عام وينقسم الى ما هو بالطبع والى ما هو بالارادة فغير مسلم وهو كقول القائل قولنا أراد عام وينقسم الى ما يريد مع العلم بالمراد والى من يريد ولا يعلم ما يريد وهو فاسد اذ الارادة تتضمن العلم بالضرورة فكذلك الفعل يتضمن الارادة بالضرورة وأما قولكم ان قولنا فعل بالطبع ليس بنقض للاول فليس كذلك فانه نقض له من حيث الحقيقة ولكن لا يسبق الى الفهم التناقض ولا يشتد نفور الطبع عنه لانه يبقى مجازا فانه لما أن كان سببا بوجه ما والفاعل أيضا سبب سمى فعلا مجازا واذا قال فعل بالاختيار فهو تكرير على التحقيق كقوله أراد وهو عالم بما أراده الا انه لما تصور ان يقال فعل وهو مجاز ويقال فعل وهو حقيقة لم تنفر النفس عن قوله فعل بالاختيار وكان معناه فعل فعلا حقيقيا لا مجازيا كقول القائل تكلم بلسانه ونظر بعينه فانه لما جاز ان يستعمل النظر فى القلب مجازا والكلام فى تحريك الرأس واليد حتى يقال قال برأسه أى نعم لم يستقبح أن يقال قال بلسانه ونظر بعينه ويكون معناه نفى احتمال المجاز فهذا مزلة القدم فليتنبه لمحل انخداع هؤلاء الاغبياء (فان قيل) تسمية الفاعل فاعلا انما تعرف من اللغة والا فقد ظهر فى العقل أن ما يكون سببا للشئ ينقسم الى ما يكون مريدا والى ما لا يكون مريدا ووقع النزاع فى ان اسم الفاعل على كلا القسمين حقيقة أم لا ولا سبيل الى انكاره اذ العرب تقول النار تحرق والسيف يقطع والثلج يبرد والسقمونيا تسهل والخبز يشبع والماء يروى وقولنا يضرب معناه يفعل الضرب وقولنا تحرق معناه تفعل الاحراق وقولنا يقطع معناه يفعل القطع (وان قلتم) ان كل ذلك مجاز كنتم متحكمين فيه من غير مستند (والجواب) ان كل ذلك بطريق المجاز وانما الفعل الحقيقى ما يكون بالارادة (والدليل عليه) انا لو فرضنا حادثا توقف فى حصوله على أمرين (أحدهما) ارادى (والآخر) غير ارادى أضاف العقل الفعل الى الارادى وكذا اللغة فان من ألقى انسانا فى نار فمات يقال هو القاتل دون النار حتى اذا قيل ما قتله الا فلان صدق قائله وان كان اسم الفاعل على المريد وغير المريد على وجه واحد لا بطريق كون أحدهما أصلا وكون الآخر مستعارا منه فلم يضاف القتل الى المريد لغة وعرفا وعقلا مع أن النار هى العلة القريبة فى القتل وكان الملقى لم يتعاط الا الجمع بينه وبين النار ولكن لما كان الجمع بينه وبين النار بالارادة وتأثير النار بغير ارادة سمى قاتلا ولم تسم النار قاتلا الا بنوع من الاستعارة فدل ان الفاعل من يصدر الفعل عن ارادته واذا لم يكن مريدا عندهم ولا مختارا للفعل لم يكن صانعا ولا فاعلا الا مجازا (فان قيل) نعنى بكون الله تعالى فاعلا انه سبب لوجود كل موجود سواه وان العالم قوامه به ولولا وجود البارى لما تصور وجود العالم ولو قدر عدم البارى لانعدم العالم كما لو قدر عدم الشمس لانعدم الضوء فهذا ما نعنيه بكونه فاعلا فان كان الخصم يأبى ان يسمى هذا المعنى فعلا فلا مشاحة فى الاسامى بعد ظهور المعنى (قلنا) غرضنا ان نبين ان هذا المعنى لا يسمى فعلا وصنعا وانما المعنى بالفعل والصنع ما يصدر عن الارادة حقيقة وقد نفيتم حقيقة معنى الفعل ونطقتم بلفظه تجملا بالاسلاميين ولا يتم الدين باطلاق الالفاظ الفارغة عن المعانى فصرحوا بأن الله تعالى لا فعل له حتى يتضح ان معتقدكم مخالف لدين المسلمين ولا تلبسوا بأن الله صانع العالم وان العالم صنعه فان هذه لفظة اطلقتموها ونفيتم

الزمان وهو كون الاب مقدما على الابن ضرورى لا يشك فيه عاقل فان الابوة وجودية مع عدم الابن ثم وجد الابن فاذا اعتبر الاب من حيث انه كان مقارنا لعدم الابن الذى يعقبه الوجود كان مقدما عليه كما أنه اذا اعتبر من حيث ان وجوده مقارن لوجود الابن كان معه وليس ذلك التقدم نفس جوهر الاب لان التقدم أمر اضافى لا يعقل الا بين شيئين بخلاف جوهر الاب ولان جوهر الاب قد يكون مع الابن كما صورناه وتقدمه على الابن لا يوجد معه معينه له فيكون أمرا زائدا عليه وليس أيضا عبارة عن مجرد اعتبار عدم الابن مع الاب لان الاب يعتبر مع عدم الابن الطارئ عليه بعد وجوده ولا تقدم الاب عليه بهذا الاعتبار بل هو بهذا الاعتبار متأخر عنه مع اتحاد العدمين فى كونهما نفس العدم وكما ان القبلية ليست نفس الاب وحده ولا مأخوذة مع وجود الابن فالمعية أيضا ليست نفس الابن وحده ولا مأخوذة مع وجود الاب بل هما أمران زائدان على الامور المذكورة ولكونهما أمرين اضافيين لا يقومان بذاتيهما بل لابد لكل منهما من محل موجود تقوم به و يكون معروضا له بالذات وهو الزمان (فان قلت) لم لا يجوز أن يكون المحل الذى يقومان به و يعرضان له بالذات ما يقال له فى العرف انه متقدم ومتأخر كوجود الاب والابن مثلا (قلت) لان ما تعرض له القبلية بالذات امتنع أن يكون مع و بعد لان ما يقتضيه ذات الشئ استحال انفكاكه عنه والاشياء التى يقال لها فى العرف انها متقدمة لا يمتنع فيها ذلك فانا لو فرضنا جوهر الاب من حيث هو لا يمتنع أن يوجد بعد الابن فظهر أن الاشياء التى يقال لها فى العرف انها متقدمة ليست معروضة بالذات للتقدم بل لابد من أمر آخر يعرض له التقدم بالذات و يكون تقدم سائر الاشياء لكونها فيه وهو الزمان (فان قلت) قولك ما تعرض له القبلية بالذات امتنع ان يكون بعد ان أريد به ان ما يكون ذاته سببا لثبوت القبلية له امتنع ان يكون بعد فسلم لكن من أين يلزم القبلية مثل ذلك المعروض الذى يكون ذاته سببا لعروض القبلية له وان أريد أن ما يكون

حقيقتها والمقصود من هذه المسئلة الكشف عن هذا التلبيس فقط (الوجه الثانى) فى ابطال كون العالم فعلا لله على أصلهم لشرط فى الفعل وهو ان الفعل عبارة عن الاحداث والعالم عندهم قديم وليس بحادث ومعنى الفعل اخراج الشئ من العدم الى الوجود باحداثه وذلك لا يتصور من القديم اذ الموجود لا يمكن ايجاده فان شرط الفعل ان يكون حادثا والعالم قديم عندهم فكيف يكون فعلا لله تعالى (فان قيل) معنى الحادث الموجود بعد عدم فلنبحث ان الفاعل اذا أحدث كان الصادر منه المتعلق به الوجود المجرد أو العدم المجرد أو كلاهما وباطل أن يقال ان المتعلق به العدم السابق اذ لا تأثير للفاعل فى العدم وباطل ان يقال كلاهما اذ بان أن العدم لا يتعلق به أصلا وان العدم فى كونه عدما لا يحتاج الى فاعل ألبتة فبقى انه متعلق به من حيث انه موجود وان الصادر منه مجرد الوجود وانه لا نسبة اليه الا الوجود فان فرض الوجود دائما فرضت النسبة دائمة واذا دامت هذه النسبة كان المنسوب اليه أفعل وأدوم تأثيرا لانه لم يتعلق العدم بالفاعل بحال * بقى ان يقال انه متعلق به من حيث انه حادث ولا معنى لكونه حادثا الا انه يوجد بعد عدمه والعدم لم يتعلق به فان جعل سبق العدم وصفا للوجود وقيل المتعلق به وجود مخصوص لا كل وجود وهو وجود مسبوق بالعدم فيقال كونه مسبوقا بالعدم ليس من فعل فاعل وصنع صانع وان هذا الوجود لا يتصور صدوره من فاعله الا والعدم سابق عليه وسبق العدم ليس بفعل الفاعل فلا تعلق له به فاشتراطه فى كونه فعلا اشتراط ما لا تأثير للفاعل فيه بحال (وأما قولكم) ان الموجود لا يمكن ايجاده ان عنيتم به انه لا يستأنف له وجود بعد عدم فصحيح وان عنيتم به أنه فى حال كونه موجودا لا يكون موجودا فقد ثبت انه يكون موجدا فى حال كونه موجودا الا فى حال كونه معدوما فانه يكون موجودا اذا كان الفاعل موجدا ولا يكون موجدا فى حال العدم بل فى حال وجود الشئ منه والايجاد مقارن لكون الفاعل موجدا وكون المفعول موجدا لانه عبارة عن نسبة الموجد الى الموجد وكل ذلك مع الوجود لا قبله فاذن لا ايجاد الا لموجود ان كان المراد بالايجاد النسبة التى يكون بها الفاعل موجدا والمفعول موجدا (قالوا) ولهذا قضينا بان العالم فعل الله تعالى أزلا وأبدا وما من حال الا وهو فاعل له لان المرتبط بالفاعل الوجود فان دام الارتباط دام الوجود وان انقطع انقطع لا كما تخيلتموه من أن البارئ لو قدر عدمه لبقى العالم اذ ظننتم انه كالبناء مع البانى فانه ينعدم و يبقى البناء فان بقاء البناء ليس بالبانى بل هو باليبوسة الممسكة لتركيبه اذ لو لم يكن فيه قوة ماسكة كالماء مثلا لم يتصور بقاء الشكل الحادث بفعل الفاعل فيه ﴿والجواب﴾ ان الفعل يتعلق بالفاعل من حيث حدوثه لا من حيث عدمه السابق ولا من حيث كونه موجودا فقط فانه لا يتعلق به فى ثانى حال الحدوث عندنا وهو موجود بل يتعلق به فى حال حدوثه من حيث انه حدوث وخروج من العدم الى الوجود فان نفى عنه معنى الحدوث لم يعقل كونه فعلا ولا تعلقه بالفاعل وقولكم ان كونه حادثا يرجع الى كونه مسبوقا بالعدم وكونه مسبوقا بالعدم ليس من فعل الفاعل وجعل الجاعل فهو كذلك لكنه شرط فى كون الوجود فعل الفاعل أعنى كونه مسبوقا بالعدم فالوجود الذى ليس مسبوقا بعدم بل هو دائم لا يصلح لان يكون فعلا للفاعل وليس كل ما شرط فى كون الفعل فعلا ينبغى أن يكون بفعل الفاعل فان ذات الفاعل وقدرته وارادته وعلمه شرط فى كونه فاعلا وليس ذلك من أثر الفعل ولكن لا يعقل فعل الا من موجود وكان وجود الفاعل

وارادته

معروضا حقيقة للقبلية من غير أن يكون تابعا فى قبليته لقبلية شئ آخر فلا نسلم امتناع أن يكون بعد وماذكره من الدليل لا ينهض عليه اذ
لا يلزم من كون الشئ معروضا حقيقيا لوصف أن يكون ذلك الوصف مقتضى ذاته حتى يمتنع الانفكاك (قلت) المراد الاول قولك
من أين يلزم للقبلية مثل ذلك المعروض (قلنا) لان هذه القبلية ليست كقبلية الواحد على الاثنين بل قبلية قبل لا يجامع فيها القبل
مع البعد والقبلية التى كذلك لا تعرض حقيقة الا الامتداد غير قار يمتنع اجتماع أجزائه فى الوجود وباعتبار امتناع
اجتماع أجزائه لا يجامع القبل البعد وما ليس بامتداد كالحركة مثلا لا يفرض فيه أجزاء الا بواسطة الامتداد فلا يكون معروضا أوليا لها والامتداد القار لا يمتنع اجتماع أجزائه فمعروضه الحقيقى ليس الا الامتداد الغير القار الذى اذا فرض فيه أجزاء تقدم بعضها على بعض لذاته لا لامر آخر وهو الزمان (فان قلت) لا نسلم ان القبلية التى لا يجامع فيها القبل مع البعد لا تعرض حقيقة الا الامتداد غير قار ولم لا يجوز أن يكون أمران مختلفان بالماهية يمتنع اجتماعهما لتنافيهما كوجود الحادث وعدمه ويكون أحدهما معروضا حقيقيا للقبلية والآخر للبعدية باعطاء الفاعل اياهما تينك الصفتين (قلت) ليس معنى اعطاء الفاعل القبلية لعدم الحادث مثلا الا أنه لم يعطه الوجود أولا ثم فعله وذلك يقتضى أن يوجد شئ أول لم يقع فيه الوجود بل وقع فيه العدم فكان أول لوقوعه فيه ولا يكون معروضا حقيقيا للقبلية هذا غاية توجيه هذا الدليل (والجواب) عن الاول ان هذه الامكانات
المذكورة أمور اعتبارية لا وجود لها فى الخارج وما ذكر من انها قابلة للزيادة والنقصان ان أريد قبولها لهما بحسب الخارج
فممنوع وان أريد فى الذهن أو فى الجملة فمسلم ولكن لا يلزم منه وجودها فى الخارج (وعن الثانى) بان القبلية والبعدية أمران
اعتباريان لا وجود لهما فى الخارج أصلا فلا يلزم وجود معروضهما بالذات فى الخارج كيف والقبلية والبعدية إضافيان

وارادته وعلمه شرطا ليكون فاعلا وان لم يكن من أثر الفعل (فان قيل) ان اعترفتم بجواز كون الفعل مع
الفاعل غير متأخر فيلزم منه ان يكون الفعل حادثا ان كان الفاعل حادثا وقديما ان كان قديما وان شرطتم
ان يتأخر الفعل عن الفاعل بالزمان فهذا محال اذ من حرك اليد فى قدح ماء تحرك الماء مع حركة اليد لا قبله
ولا بعده اذ لو تحرك بعده لكانت اليد مع الماء قبل تنحيته فى حين واحد ولو تحرك قبله لانفصل الماء
عن اليد وهو مع كونه معه معلوله وفعل من جهته فان فرضنا اليد قديمة فى الماء متحركة كان حركة الماء
ايضا دائمة وهى مع دوامها معلولة ومعقولة ولا يمتنع ذلك بفرض الدوام فكذلك نسبة العالم الى الله
تعالى (قلنا) لا نحيل ان يكون الفعل مع الفاعل بعد كون الفعل حادثا كحركة الماء فانها حادثة عن
عدم فجاز ان يكون فعلا ثم سواء كان متأخرا عن ذات الفاعل أو مقارنا له وانما نحيل الفعل القديم فانه
ليس حادثا عن عدم فتسميته فعلا مجاز مجرد لا حقيقة له (وأما المعلول مع العلة) فيجوز ان يكونا
حادثين وان يكونا قديمين كما يقال ان العالم قديم علة لكون القديم عالما ولا كلام فيه وانما الكلام فيما
يسمى فعلا ومعلول العلة لا يسمى فعل العلة الا مجازا بل ما يسمى فعلا فشرطه ان يكون حادثا عن عدم فان
تجوز متجوز بتسميته القديم الدائم الوجود فعلا لغيره كان متجوزا فى الاستعارة وقولكم لو قدرنا
حركة الاصبع مع الاصبع قديمة دائمة لم تخرج حركة الماء عن كونها فعلا تلبيس لان الاصبع لا فعل له
فيه وانما الفاعل ذو الاصبع وهو المريد ولو قدرناه قديما لكانت حركة الاصبع فعلا له من حيث ان
كل جزء من الحركة فحادث عن عدم فبهذا الاعتبار كان فعلا وأما حركة الماء فقد لا نقول انها من فعله بل
هى من فعل الله وعلى أى وجه كان فكونه فعلا من حيث انه حادث لا انه دائم الحدوث وهو فعل من
حيث انه حادث (فان قيل) فاذا اعترفتم بأن نسبة الفعل الى الفاعل من حيث انه موجود كنسبة
المعلول الى العلة ثم سلمتم تصور الدوام فى نسبة العلة ونحن لا نعنى بكون العالم فعلا الا كونه معلولا دائم
النسبة الى الله تعالى فان تسموا هذا فعلا فلا مضايقة فى التسميات بعد ظهور المعانى (قلنا) ولا غرض
من هذه المسئلة الا بيان أنكم تتجملون بهذه الاسماء من غير تحقيق وان الله تعالى عندكم ليس فاعلا
تحقيقا ولا العالم فعله تحقيقا وان اطلاق هذا الاسم مجاز منكم لا تحقيق له وقد ظهر هذا (الوجه الثالث)
فى استحالة كون العالم فعلا لله تعالى على أصلهم لشرط مشترك بين الفاعل والفعل وهو انهم قالوا
لا يصدر من الواحد الا شئ واحد والمبدأ الاول واحد من كل وجه والعالم مركب من مختلفات فلا
يتصور ان يكون فعلا لله بموجب أصلهم (فان قيل) العالم بجملته ليس صادرا من الله تعالى بغير واسطة
بل الصادر منه موجود واحد هو أول المخلوقات وهو عقل مجرد أى جوهر قائم بنفسه غير متحيز يعرف
نفسه ويعرف مبدأه ويعبر عنه فى لسان الشرع بالملك ثم يصدر منه الثالث ومن الثالث رابع وتكثر
الموجودات بالتوسط فان اختلاف الفعل وكثرته اما ان يكون لاختلاف القوى الفاعلة كما انا نفعل
بقوة الشهوة خلاف ما نفعل بقوة الغضب واما ان يكون لاختلاف المادة كما ان الشمس تبيض الثوب
المغسول وتسود وجه الانسان وتذيب بعض الجواهر وتصلب بعضها واما الاختلاف الآلات كالنجار
الواحد ينشر بالمنشار وينحت بالقدوم ويثقب بالمثقاب واما ان يكون كثرة الفعل بالتوسط بان يفعل
فعلا واحدا ثم ذلك الفعل يفعل غيره فيكثر الفعل وهذه الاقسام كلها محال فى المبدأ الاول اذ ليس فى

والمقامان لايوجدان الامعا اذهناوخارجافلو وجدتا يلزم وجود معروضيهما معافيلزم اجتماع أجزاء الزمان وهو باطل لكونه أمرا غيرقار وأيضا هذا الامتداد الذى تعرض لاجزائه القبلية والبعدية اذا امتنع اجتماع أجزائه فى الوجود لايكون موجودا فى الخارج لان وجود الكل فى الخارج مع امتناع اجتماع أجزائه فيه محال بديهة ثم انه نقل عن ارسطاطاليس أنه قال للمتحرك فيما بين المبدا والمنتهى حالة مخصوصة معلومة بمعاونة ٢٨ الحس وهى صفة واحدة شخصية من مبدا المسافة الى منتهاها تستلزم اختلاف نسب المتحرك الى حدود المسافة وهذه الحالة تسمى الحركة بمعنى التوسط وهى باعتبار ذاتها مستمرة و باعتبار اختلاف نسبها الى تلك الحدود سيالة فهى باستمرارها وسيلانها تفعل فى الخيال أمرا ممتدا غيرقار بمعنى انه يجزم العقل بان ذلك الامر الممتد لو وجد فى الخارج وفرض فيه أجزاء امتنع أن توجد تلك الاجزاء معا بل كان بعضها متقدما و بعضها متأخرا وهذه تسمى الحركة بمعنى القطع والاول موجود فى الخارج بديهة بخلاف الثانى ضرورة ان الامتداد الذى يمتنع اجتماع أجزائه فى الوجود لايكون موجودا فى الخارج وكما ان الحركة تقال لامرين كذلك الزمان يقال لمعنيين (أحدهما) أمر بسيط غيرمنقسم مطابق للحركة بمعنى التوسط وثانيهما أمر متصل مطابق للحركة بمعنى القطع وهو بهذا المعنى لاوجود له فى الخارج أصلا بل هو أمر مرتسم فى الخيال ونعلم ان ذلك الامر المرتسم فى الخيال بحيث لوفرض وجوده فى الخارج بعد وفرض فيه أجزاء لامتنع اجتماعها معا ونعلم بالضرورة ان الامتداد الخيالى لايكون كذلك الا اذا كان فى الخارج شئ مستمر غير مستقر يحصل فى الخيال بحسب استمراره وعدم استقراره ذلك الامتداد ولما كان الامتداد الخيالى ظاهرا فى بادئ الرأى دالا على ذلك الامر الذى فيه نوع خفاء أقيم مقامه و بحث عن أحواله (ولقائل أن يقول) لانسلم ان الامتداد الخيالى لايكون كذلك الا اذا كان

ذاته اختلاف اثنينية وكثرة كما سيأتى فى أدلة التوحيد ولاثم اختلاف مادة فان الكلام فى المعلول الاول أو الذى هو المادة الاولى مثلا ولاثم اختلاف آلة اذ لاموجود مع الله فى رتبته والكلام فى حدوث الآلة الاولى ولم يبق الا ان تكون الكثرة فى العالم صادرة من الله تعالى بطريق التوسط كما سبق (قلنا) فيلزم من هذا أن لايكون فى العالم شئ واحد مركبا من افراد بل تكون الموجودات كلها آحادا وكل واحد معلول لواحد آخر فوقه وعلة لآخر تحته الى أن ينتهى الى معلول لامعلول له كما انتهى فى جهة التصاعد الى علة لاعلة لها وليس كذلك فان الجسم عندهم مركب من صورة وهيولى وقد صار باجتماعهما شيأ واحدا والانسان مركب من جسم ونفس وليس وجود أحدهما من الآخر بل وجودهما جميعا بعلة أخرى والفلك عندهم كذلك فانه جرم ذو نفس لم تحدث النفس بالجرم ولا الجرم بالنفس بل كلاهما صدر من علة سواهما وكيف حدثت هذه المركبات أمن علة واحدة فيبطل قولهم لايصدر من الواحد الا الواحد أو من علة مركبة فيتوجه السؤال فى تركيب العلة الى ان ينتهى بالضرورة الى مركب بسيط فان المبدأ بسيط وفى الاواخر تركيب ولا يتصور ذلك الا بالتقاء وحيث يقع التقاء يبطل قولهم ان الواحد لايصدر منه الا الواحد (فان قيل) اذا عرف مذهبنا اندفع الاشكال فان الموجودات تنقسم الى ما هو فى محال كالاعراض والصور والى ما ليست فى محال وهذا ينقسم الى ما هى محال لغيرها والى ما ليست بمحال كالموجودات التى هى جواهر قائمة بانفسها وهى تنقسم الى ما يؤثر فى الاجسام ونسميها نفوسا والى ما لا يؤثر فى الاجسام بل فى النفوس ونسميها عقولا مجردة أما الموجودات التى تحل فى المحال كالاعراض فهى حادثة ولها علل حادثة وتنتهى الى مبدا هو حادث من وجه دائم من وجه وهى الحركة الدورية وليس الكلام فيها وانما الكلام فى الاصول القائمة بأنفسها لا فى محال وهى ثلاثة أجسام وهى أخسها وعقول مجردة وهى التى لاتتعلق بالاجسام لا بالعلاقة العملية ولا بالانطباع فيها وهى أشرفها ونفوس وهى أوسطها فانها تتعلق بالاجسام نوعا من التعلق وهو التأثير والفعل فيها فهى متوسطة فى الشرف فانها تتأثر عن العقول وتؤثر فى الاجسام ثم الاجسام عشرة تسعة سماويات والعاشر المادة التى هى حشو مقعر فلك القمر والسماويات التسع حيوانات لها اجرام ونفوس ولها ترتيب فى الوجود كما نذكره وهو ان المبدأ الاول فاض من وجوده العقل الاول وهو موجود قائم بنفسه ليس بجسم ولا منطبع فى جسم يعرف نفسه و يعرف مبدأه وقد سميناه العقل الاول ولا مشاحة فى الاسامى سمى ملكا أو عقلا أو ما أريد و يلزم عن وجوده ثلاثة أمور عقل ونفس الفلك الاقصى وهو السماء التاسعة وجرم الفلك الاقصى ثم لزم من العقل الثانى عقل ثالث ونفس فلك الكواكب وجرمه ثم لزم من العقل الثالث عقل رابع ونفس فلك زحل وجرمه ولزم من العقل الرابع عقل خامس ونفس فلك المشترى وجرمه وهكذا حتى انتهى الى العقل الذى لزم منه عقل ونفس فلك القمر وجرمه والعقل الاخير وهو الذى يسمى العقل الفعال لزم منه حشو فلك القمر وهى المادة القابلة للكون والفساد من العقل الفعال وطبائع الافلاك ثم ان المواد تمتزج بسبب حركات الكواكب امتزاجات مختلفة يحصل منها المعادن والنبات والحيوان ولا يلزم ان يلزم من كل عقل عقل الى غير نهاية لان هذه العقول مختلفة الانواع فما ثبت لواحد لايلزم للآخر فخرج منه ان العقول بعد المبدا الاول عشرة والافلاك تسعة ومجموع هذه المبادى الشريفة

فى الخارج شئ مستمر غير مستقر ولم لا يجوز أن يحصل ذلك الامر فى الخيال ابتداء من غير أن يكون هناك أمر بسيط سيال نعم قد يكون سيلان أمر خارجى سببا لحصول مثل ذلك الامتداد فى الخيال كما فى القطرة النازلة والشعلة الجوالة لكن كون كل امتداد خيالى كذلك حاصلا من الامر الموجود الخارجى ممنوع ودعوى الضرورة غير مسموعة وقد يجاب عن استدلالهم الثانى على قدم العالم بانا وان سلمنا ان الزمان موجود لكن لا نسلم انه لو كان حادثا لكان عدمه سابقا على وجوده سبقا زمانيا (قوله لان سبق عدمه على وجوده) سبق لا يجامع فيه السابق المسبوق وكل سبق كذلك فهو زمانى ممنوع ألا ترى ان أجزاء الزمان سابق بعضها على بعض سبقا يمتنع أن يجامع فيه السابق المسبوق مع انه ليس سبقا زمانيا والا لكان للزمان زمان وقد يدفعون عنه هذا الجواب بان أقسام السبق منحصرة فى خمسة التقدم بالعلية وبالطبع وبالشرف وبالرتبة وبالزمان لان المتقدم ان توقف عليه وجود المتأخر فان كان المتقدم مؤثرا فى المتأخر فبالعلية والا فبالطبع وان لم يتوقف فالتقدم ان كان بالنظر الى كمال المتقدم فبالشرف والا فان كان بالنظر الى مبدا محدود فبالرتبة والا فبالزمان وليس تقدم عدم الزمان على وجوده بالعلية والا بالطبع اذ لا توقف لوجوده على عدمه ولا بالشرف اذ لا كمال للعدم ولا بالرتبة اذ ليس تقدمه بالنظر الى مبدا محدود فهو بالزمان وأما أجزاء الزمان فتقدم بعضها على بعض تقدم زمانى لكن ليس بزمان زائد على ما هو متقدم ومتأخر لان التقدم والتأخر من العوارض الذاتية الاولية للزمان فهما انما يعرضان لاجزاء الزمان بالذات ولما عداها بواسطة وقوعه فيها فلا يلزم من كون تقدم بعض أجزاء الزمان على بعض تقدما زمانيا أن يكون للزمان زمان آخر والمتكلمون يمنعون الحصر وما ذكر لبيانه فهو ضبط لا حصر عقلى لكون القسم الاخير مرسلا اذ لا يلزم من عدم كون السبق باعتبار التوقف والكمال والمبدا المحدود ان يكون بالزمان لجواز ان يكون بوجه آخر ويكون تقدم عدم الزمان على

بعد الاول تسعة عشر ويحصل منه أن يجب لكل عقل من العقول الاول ثلاثة أشياء عقل ونفس وفلك أى جرمه فلابد وان يكون فى مبدئه تثليث لا محالة ولا يتصور كثرة فى المعلول الاول الا من وجه واحد وهو انه يعقل مبدأه ويعقل نفسه وهو باعتبار ذاته ممكن الوجود لان وجوب وجوده بغيره لا بنفسه وهذه معان ثلاثة مختلفة والاشرف من المعلولات الثلاثة ينبغى أن ينسب الى الاشرف من هذه المعانى فيصدر منه العقل من حيث انه يعقل مبدأه ويصدر منه نفس الفلك من حيث انه تعقل نفسه ويصدر منه جرم الفلك من حيث انه ممكن الوجود بذاته فيبقى ان يقال هذا التثليث من أين حصل فى المعلول الاول ومبدؤه واحد فنقول لم يصدر من المبدا الاول الا واحد وهو ذات العقل الذى به يعقل نفسه ولزم ضرورة لا من جهة المبدا ان عقل المبدا وهو فى ذاته ممكن الوجود وليس له الامكان من المبدا الاول بل هو لذاته ونحن لا نبعد ان يوجد من الواحد واحد يلزم ذلك المعلول لا من جهة المبدا أمور ضرورية اضافية أو غير اضافية فيحصل بسببه كثرة ويصير بذلك مبدأ لوجود الكثرة فعلى هذا الوجه يمكن ان يلتقى المركب بالبسيط اذ لابد من الالتقاء ولا يكون الا كذلك فهو الذى يجب الحكم به وهذا هو القول فى تفهيم مذهبهم (قلنا) ما ذكرتموه تحكمات وهى على التحقيق ظلمات فوق ظلمات لو حكاه الانسان عن منام رآه لاستدل به على سوء مزاجه ولو أورد جنسه فى الفقهيات التى قصارى المطالب فيها التخمينات لقيل انها ترهات لا تفيد غلبات الظنون ومداخل الاعتراض على مثله لا تنحصر ولكنا نورد وجوها معدودة (الاول) هو انا نقول ادعيتم ان أحد معانى الكثرة فى المعلول الاول انه ممكن الوجود فنقول كونه ممكن الوجود عين وجوده أم غيره فان كان عينه فلا ينشأ منه كثرة وان كان غيره فهلا قلتم فى المبدأ الاول كثرة لانه موجود وهو مع ذلك واجب الوجود ووجوب الوجود غير نفس الوجود فليجز صدور المختلفات منه لهذه الكثرة (فان قيل) لا معنى لوجوب الوجود الا الوجود فلا معنى لامكان الوجود الا الوجود فان قلتم يمكن أن يعرف كونه موجودا ولا يعرف كونه ممكنا فهو غيره (قلنا) فكذا واجب الوجود يمكن أن يعرف وجوده ولا يعرف وجوب وجوده الا بعد دليل آخر فليكن غيره وبالجملة الوجود أمر عام ينقسم الى واجب والى ممكن فان كان فصل أحد القسمين زائدا على العام فكذا الفصل الثانى ولا فرق (فان قيل) امكان الوجود له من ذاته ووجوده من غيره فكيف يكون ما له من ذاته وما له من غيره واحدا (قلنا) وكيف يكون وجوب الوجود عين الوجود ويمكن أن لا ينفى وجوب الوجود ويثبت الوجود والواحد الحق من كل وجه هو الذى لا يتسع للنفى والاثبات أصلا اذ لا يمكن أن يقال موجود وليس بموجود او واجب الوجود وليس بواجب الوجود ويمكن أن يقال انه موجود وليس بواجب الوجود كما يمكن أن يقال موجود وليس بممكن الوجود وانما تعرف الوحدة بهذا ولا يستقيم تقدير ذلك فى الاول ان صح ما ذكروه من أن امكان الوجود غير الوجود الممكن (الاعتراض الثانى) هو ان نقول عقله مبدأه عين وجوده وعين عقله نفسه أم غيره فان كان عينه ولا كثرة فى ذاته لا فى العبارة عن ذاته وان كان غيره فهذه الكثرة موجودة فى الاول فانه يعقل ذاته ويعقل غيره فان زعموا ان عقله ذاته عين ذاته ولا يعقل ذاته ما لم يعقل انه مبدأ لغيره فان العقل يطابق المعقول فيكون راجعا الى ذاته فنقول والمعقول عقله ذاته عين ذاته فانه عقل بجوهره فيعقل نفسه والعقل والعاقل والمعقول منه أيضا

وجود منه وأما أجزاء الزمان فقد ذكر في الجواب سند المنع فلا يضر درجه في السبق الزماني لأن اندفاع السند لا يستلزم اندفاع المنع هذا والتعويل على الجواب الاول (قال الامام حجة الاسلام الغزالي) في تقرير الاستدلال الثاني القائل بأن الباري تعالى متقدم على العالم والعالم متأخر عنه ان أراد انه متقدم عليه لا بالزمان بل بالذات اما بالطبع أو بالعلية فيلزم أن يكونا حادثين أو قديمين واستحال أن يكون أحدهما قديما والآخر حادثا لان المتقدم بأي وجه كان اذا لم يكن له تقدم زماني لا يكون حالة تقدمه مفارقا في الوجود عن المتأخر فيكونان قديمين أو حادثين وان أراد انه متقدم عليه بالزمان فيلزم أن يكون قبل وجود الزمان زمان كان العالم فيه معدوما وهو متناقض (وجواب ما ذكره من التقرير) أن يقال المراد انه متقدم عليه بالذات لا بالزمان وانما يلزم كونهما قديمين أو حادثين لو كان عدم تقدمه عليه بالزمان لمقارنته له في الزمان وليس كذلك بل لعدم الزمان (فان قيل) اذا لم يكونا قديمين أو حادثين بل كان الباري تعالى قديما والعالم حادثا يكون وجوده تعالى متقدما على وجود العالم تقدما لا يجامع فيه المتقدم المتأخر وكل تقدم كذلك فهو زماني (قلنا) لا نسلم ذلك وانما يلزم ذلك فيما اذا كان وجود المتقدم مقارنا للزمان اذ نختار انه تعالى متقدم عليه بالزمان لكن لا بزمان موجود محقق حتى يلزم ما ذكر من التناقض بل بزمان مقدر موهوم فلا تناقض أصلا (وأجاب عما ذكره من التقرير) بأن الزمان مخلوق وحادث وليس قبله زمان أصلا ومعنى تقدم الباري على العالم هو انه كان ولا عالم ثم كان ومعه عالم ومفهوم قولنا كان ولا عالم وجود ذات الباري تعالى وعدم العالم فقط ومفهوم قولنا كان ومعه عالم وجود ذاتين فقط وليس من ضرورة ذلك تقدير شئ ثالث وان كان الوهم لا يسكن عن تقدير شئ ثالث فلا التفات الى أغاليط الاوهام (فان قيل) انا لو قدرنا عدم العالم في المستقبل كان وجود ذات الباري وعدم العالم حاصلا

واحد ثم اذا كان عقله ذاته عين ذاته فليعقل ذاته معلولا لعلة فانه كذلك والعقل يطابق المعقول فيرجع الكل الى ذاته فلا كثرة اذن وان كانت هذه كثرة فهي موجودة في الاول فليصدر منه المختلفات ولنترك دعوى وحدانيته من كل وجه ان كانت الوحدانية تزول بهذا النوع من الكثرة (فان قيل) الاول لا يعقل الا ذاته وعقله ذاته هو عين ذاته فالعقل والعاقل والمعقول واحد ولا يعقل غيره (فالجواب) من وجهين (أحدهما) ان هذا المذهب لشناعته هجره ابن سينا وسائر المحققين وزعموا ان الاول يعلم نفسه مبدأ الفيض ما يفيض منه ويعقل الموجودات كلها بأنواعها عقلا كليا لا جزئيا اذا استقبحوا قول القائل المبدأ الاول لا يصدر منه الا عقل واحد ثم لا يعقل ما يصدر منه ومعلوله عقل يفيض منه عقل ونفس فلك وجرم فلك ويعقل نفسه ومعلولاته الثلاث وعلته ومبدأه فيكون المعلول أشرف من العلة من حيث ان العلة ما فاض منها الا واحد وقد فاض من هذا ثلاثة أمور (والاول) ما عقل الا نفسه وهذا عقل نفسه ونفس المبدأ ونفس المعلولات ومن قنع أن يكون قوله في الله تعالى راجعا الى هذه الرتبة فقد جعله أحقر من كل موجود يعقل نفسه ويعقل غيره فان من يعقله ويعقل نفسه أشرف منه اذا كان هو لا يعقل الا نفسه فقد انتهى بهم التعمق في التعظيم الا ان أبطلوا كل ما يفهم من العظمة وقربوا حاله من حال الميت الذي لا خبر له بما يجري في العالم الا انه فارق الميت في شعوره بنفسه فقط وهكذا يفعل الله بالزائغين عن سبيله والناكبين عن طريق الهدى المنكرين لقوله تعالى ما أشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق أنفسهم الظانين بالله ظن السوء المعتقدين أن أمور الربوبية يستولي على كنهها القوى البشرية المغرورين بعقولهم زاعمين ان فيها مندوحة عن تقليد الرسل واتباعهم فلا جرم اضطروا الى الاعتراف بأن لباب معقولاتهم رجعت الى ما لو حكي في منام لتعجب منه (والجواب الثاني) هو أن من ذهب الى ان الاول لا يعقل الا نفسه انما حاذر من لزوم الكثرة اذ لو قال به للزم ان يقال عقله غيره غير عقله نفسه وهذا لازم في المعلول الاول فينبغي ان لا يعقل الا نفسه لانه لو عقل الاول غيره لكان ذلك غير ذاته ولافتقر الى علة غير علة ذاته ولا علة الا علة ذاته وهو المبدأ الاول فينبغي ان لا يعلم الا ذاته ويبطل الكثرة التي نشأت من هذا الوجه (فان قيل) لما وجد وعقل ذاته لزمه ان يعقل المبدأ الاول (قلنا) لزمه ذلك بعلة أو بغير علة فان كان بعلة فلا علة الا المبدأ الاول وهو واحد ولا يتصور ان يصدر منه الا واحد وقد صدر وهو ذات المعلول (فالثاني) كيف صدر منه وان لزم بغير علة فيلزم الاول موجودات كثيرة بلا علة وليلزم منها الكثرة ولا يعقل هذا من حيث ان واجب الوجود لا يكون الا واحدا والزائد على الواحد ممكن والممكن يفتقر الى علة فهذا اللازم في حق المعلول ان كان واجب الوجود لذاته فقد بطل قولهم واجب الوجود واحد وان كان ممكنا فلا بد له من علة ولا علة له فلا يعقل وجوده وليس هو من ضرورة المعلول الاول لكونه ممكن الوجود فان امكان الوجود ضروري في كل معلول أما كون المعلول عالما بالعلة فليس ضروريا في وجود ذاته كما ان كون العلة عالما بالمعلول ليس ضروريا في وجود ذاته بل لزوم العلم بالمعلول أظهر من لزوم العلم بالعلة فبان ان الكثرة الحاصلة في علمه بالمبدأ محال فانه لا مبدأ له وليس هو من ضرورة ذات المعلول وهذا أيضا لا مخرج عنه (الاعتراض الثالث) هو ان عقل المعلول الاول ذات نفسه أعين ذاته أم غيره فان كان عينه فهو محال لان العلم غير المعلوم وان كان غيره فليكن

[illegible] ـذا الاعتبار كان الله ولا عالم بل الصحيح ان يقال يكون الله ولا عالم فدل على أن بينهما فرقا وان كان انما نقال على ما [illegible] كان مفهوما ثانا لنا هو الماضي والماضي بذاته هو الزمان والماضي بغيره هو الحركة فانها تمضي بمضي الزمان فبالضرورة يلزم ان يكون [illegible] العالم زمان قد انقضى حتى انتهى الى وجود العالم (قلنا) المفهوم الاصلي من اللفظين وجود ذات وعدم ذات والامر الثالث [illegible] افتراق اللفظين نسبة لازمة بالقياس الينا بدليل انا لو قدرنا عدم العالم في المستقبل ثم قدرنا لنا بعد ذلك وجـــود ثانيا صح منا حينئذ ان نقول كان الله ولا عالم سواء أردنا به العدم الاول أو العدم الثاني وآية أن هذه نسبة ان المستقبل بعينه يجوز ان يصير ماضيا فيعبر عنه بلفظ الماضي وهـذا كله لعجز الوهم عن فهم وجود مبدأ الامر تقدير قبل له وذلك القبل الذي لا ينفك الوهم عنه يظن انه شيء موجود هو الزمان وهو كعجز الوهم عن تقدير تناهي الجسم من غير أن يكون وراءه بعد خلاء أو ملاء (وفيه نظر) لان النسبة التي بها افتراق اللفظين ليس الا المضي والاستقبال اذ لا تعقل هنا نسبة بها يفترق هذان اللفظان عن سواهما وهما وصفان ذاتيان للزمان واتصاف غيره بهما بواسطته فيلزم بالضرورة أن يكون قبل العالم زمان قد انقضى حتى انتهى الى وجود العالم فالسؤال عائد بعينه (فان قلت) ذلك الزمان موهوم لا محقق فلا يلزم من تقدمه تعالى عليه بزمان موهوم ما ذكر من المحذور (قلت) فحينئذ لا حاجة الى ما ذكره من التطويل وارتكاب ما بعده مكابرة من ان قولنا كان الله ولا عالم لا يدل الا على وجود ذات وعدم ذات فليتأمل (ثم قال) رحمه الله تعالى صيغة ثانية لهم لالزام قدم الزمان وذكر ما محصله هو انه لو كان الزمان حادثا لامكن قبل خلق العالم وجود حركتين احداهما تنتهي الى ابتداء خلق العالم بمائة دورة والاخرى تنتهي اليه بمائة دورة مع كون الحركتين متساويتين في السرعة لانه لو امتنع وجود حركتين شأنهما ما ذكرناه قبل خلق العالم فاما لذاتهما واما لان الخالق عاجز عن خلقهما والاول باطل لانهما كانتا

كذلك في المبدا الاول فيلزم منه كثرة فاذن فيه تربيع لا تثليث بزعمهم وهو ذاته وعقله نفسه وعقله مبدأه وانه ممكن الوجود بذاته ويمكن أن يراد انه واجب الوجود بغيره فيظهر تخميس وبهـذا يعرف تعمق هؤلاء في الهوس (الاعتراض الرابع) أن نقول التثليث لا يكفي في المعلول الاول فان جرم السماء الاول لزم عندهم من معنى واحد من ذات المبدا وفيه تركيب من ثلاثة أوجه (أحدها) انه مركب من صورة وهيولى وهكذا كل جسم عندهم فلا بد لكل واحد من مبدأ اذ الصورة تخالف الهيولى وليس كل واحد على مذهبهم علة مستقلة للاجزاء حتى يكون أحدهما بواسطة الآخر من غير علة أخرى زائدة عليه (الثاني) ان الجرم الاقصى على حد مخصوص في الكبر فاختصاصه بذلك القدر من بين سائر المقادير زائد على وجود ذاته اذ كان ذاته ممكنا له أصغر منه أو أكبر فلا بد من مخصص بذلك المقدار زائد على المعنى البسيط الموجب لوجوده لا لوجود العقل لان العقل وجود محض لا يختص بمقدار مقابل لسائر المقادير فيجوز أن يقال العقل يحتاج الى علة بسيطة (فان قيل) سببه انه لو كان أكبر منه لكان مستغنى عنه في تحصيل النظام الكلي ولو كان أصغر منه لم يصح النظام المقصود فنقول وتعين وجه النظام هل هو كاف في وجود ماهية النظام أم مفتقر الى علة موجدة فان كان كافيا فقد استغنيتم عن وضع العلل فاحكموا بأن كون النظام في هـذه الموجودات اقتضت هـذه الموجودات بلا علة زائدة وان كان ذلك لا يكفي بل افتقر الى علة فذلك أيضا لا يكفي الاختصاص بالمقادير بل يحتاج أيضا الى علة التركيب (الثالث) هو ان الفلك الاقصى انقسم الى نقطتين هما القطبان وهما ثابتا الوضع لا يفارقان وضعهما وأجزاء المنطقة يختلف وضعها فلا يخلو اما أن تكون جميع أجزاء الفلك الاقصى متشابهة فلم لزم تعين نقطتين من بين سائر النقط لكونهما قطبين أو أجزاؤها مختلفة ففي بعضها خواص ليست في البعض فما مبدأ تلك الاختلافات والجرم الاقصى لا يصدر الا من معنى واحد بسيط والبسيط لا يوجب الا بسيطا في الشكل وهو الكرى ومتشابها في المعنى وهو الخلو عن الخواص المميزة وهذا أيضا لا مخرج منه (وان قيل) لعل في المبدا أنواعا من الكثرة لازمة لا من جهة المبدا وانما ظهر لنا ثلاثة أو أربعة والباقي لم نطلع عليه وعدم عثورنا على عينه لا يشككنا في ان مبدأ الكثرة كثرة وان الواحد لا يصدر منه كثير (قلنا) فاذا جوزتم هـذا فقالوا ان الموجودات كلها على كثرتها وقد بلغت آلافا صدرت من المعلول الاول فلا يحتاج أن يقتصر على جرم الفلك الاقصى في نفسه بل يجوز أن يكون قد صدر منه جميع النفوس الفلكية والانسانية وجميع الاجسام الارضية والسماوية بأنواع كثيرة لازمة فيها لم تطلعوا عليها فيقع الاستغناء بالمعلول الاول ثم يلزم عليه الاستغناء بالعلة الاولى فانه اذا جاز تولد كثرة يقال انها لازمة لا بعلة مع انها ليست ضرورية في وجود المعلول الاول جاز أن يقدر ذلك مع العلة الاولى ويكون وجودها لا بعلة ويقال انها لازمة لا بعلة ولا يدرى عددها وكلما تخيل وجودها بلا علة مع الاول تخيل ذلك بلا علة مع الثاني بل لا معنى لقولنا مع الاول والثاني اذ ليس بينهما مفارقة في زمان ولا مكان فما لا يفارقهما في مكان ولا زمان ويجوز أن يكون موجودا بلا علة لم يختص أحدهما بالاضافة اليه (فان قيل) لقد كثرت الاشياء حتى زادت على ألف ويبعد ان تبلغ الكثرة في المعلول الاول الى هذا الحد فلذلك أكثرنا الوسائط (قلنا) قول القائل يبعد هذا رجم ظن لا يحكم به في المعقولات الا أن

ممكنتين بعد خلق العالم لزم الانقلاب من الامتناع الذاتي الى الامكان الذاتي وكذا الثاني لانه قادر على خلقهما وقت خلق العالم فلزم انقلاب الباري من العجز الى القدرة وكل منهما محال ولا يمكن ان تبتدئ الحركتان معا لاستحالة ان تبتدئ حركتان متساويتان في السرعة والبطء ثم تنتهيان الى وقت واحد مع كون اعدادهما ودوراتهما متفاوتة لاستلزامه أن يكون الزائد مثل الناقص فقد حصل قبل خلق العالم امتدادات أحدهما بحالة لا يمكن ان تحصل فيه الا مائة دورة والآخر بحيث يمكن ان تحصل منه مائتا دورة وهذان الامتدادان المتفاوتان بالزيادة والنقصان لا حقيقة لهما الا الزمان فيلزم أن يكون قبل وجود الزمان زمان وهو محال فتعين كون الزمان قديما وهو مقدار الحركة وهي صفة قائمة بالجسم فيلزم قدم العالم (ثم قال) رحمه الله تعالى الاعتراض ان كل هذا من عمل الوهم وأقرب طريق في دفع المقابلة للزمان بالمكان فانا نقول هل كان في قدرة الله تعالى ان يخلق الفلك الاعلى في سمكه أكبر مما خلقه بذراع فان قالوا لا فهو تعجيز وان قالوا نعم فبذراعين وثلاثة أذرع وكذلك يرتقي الى غير النهاية ونقول في هذا اثبات بعد وراء العالم له مقدار وكمية اذ الاكبر بذراعين لا يشغل ما يشغله الاكبر بذراع فوراء العالم بحكم هذا كمية فيستدعي ذا كمية وهو الجسم أو الخلاء فوراء العالم خلاء أو ملاء وكذلك هل كان الله تعالى قادرا على ان يخلق كرة العالم أصغر مما خلقه بذراع ثم بذراعين وهل بين التقديرين تفاوت فيما ينتفي من الملاء والشغل للاحياز اذ الملاء المنتفي عند نقصان ذراعين أكثر مما ينتفي عند نقصان ذراع فيكون الخلاء مقدرا والخلاء ليس بشيء فكيف يكون مقدرا (وجوابنا) في تخييل الوهم تقدير الامكانات الزمانية قبل وجود العالم كجوابكم في تخييل الوهم تقدير الامكانات المكانية وراء وجود العالم ولا فرق (فان قيل) نحن لا نقول بان ما ليس بممكن فهو مقدور فكون العالم أكبر مما هو عليه أو أصغر منه ليس

يقول انه يستحيل فنقول لم يستحيل وما المراد والفيصل انا مهما جاوزنا الواحد واعتقدنا انه يجوز ان يلزم المعلول الاول لا من جهة العلة لازم واثنان وثلاثة فما المحيل لاربع وخمس وهكذا الى الالف والالفين يتحكم بمقدار دون مقدار فليس بعد مجاوزة الواحد مرد وهذا أيضا قاطع (ثم نقول) هذا باطل بالمعلول الثاني فانه صدر منه فلك الكواكب وفيه من الكواكب المعروفة المسماة ألف ونيف وهي مختلفة العظم والشكل والوضع واللون والتأثير والنحوسة والسعادة فبعضها على صورة الحمل والثور والاسد وبعضها على صورة الانسان ويختلف تأثيرها في محل واحد من العالم السفلي في التبريد والتسخين والسعادة والنحوسة وتختلف مقاديرها في ذاتها فلا يمكن أن يقال الكل نوع واحد مع هذا الاختلاف ولو جاز هذا لجاز أن يقال كل أجسام العالم نوع واحد في الجسمية فيكفيها علة واحدة فان كان اختلاف صفاتها وجواهرها وطبائعها دل على اختلافها فكذلك الكواكب مختلفة لا محالة ويفتقر كل واحد الى علة لصورته وعلة لهيولاه وعلة لاختصاصه بطبيعته المسخنة أو المبردة أو المسعدة أو المنحسة وعلة لاختصاصه بموضعه ثم لاختصاص جملها باشكال البهائم المختلفة وهذه الكثرة ان تصور أن تعقل في المعلول الثاني تصور في المعلول الاول ووقع الاستغناء (الاعتراض الخامس) هو انا نقول سلمنا لكم هذه الاوضاع الباردة والتحكمات الفاسدة ولكن كيف لا تستحيون من أنفسكم في قولكم ان كون المعلول الاول ممكن الوجود اقتضى وجود جرم الفلك الاقصى منه وعقله نفسه اقتضى وجود نفس الفلك منه وعقله الاول اقتضى وجود عقل الفلك منه وما الفصل بين هذا وبين قائل عرف وجود انسان غائب وانه ممكن الوجود وانه يعقل نفسه وصانعه فقال يلزم من كونه ممكن الوجود وجود فلك فيقال وأي مناسبة بين كونه ممكن الوجود وبين وجود فلك منه وكذلك يلزم من كونه عاقلا لنفسه ولصانعه شيآن آخران وهذا اذا قيل في انسان ضحك منه وكذا في موجود آخر اذ امكان الوجود قضية لا تختلف باختلاف ذات الممكن انسانا كان أو ملكا أو فلكا فلست أدري كيف يقنع المجنون من نفسه بمثل هذه الاوضاع فضلا عن العقلاء الذين يشقون الشعر بزعمهم في المعقولات (فان قال قائل) فاذا أبطلتم مذهبهم فماذا تقولون أنتم أتزعمون انه يصدر من الشيء الواحد من كل وجه شيآن مختلفان فتكابرون المعقول أو تقولون المبدأ الاول فيه كثرة فتتركون التوحيد أو تقولون لا كثرة في العالم فتنكرون الحس أو تقولون لزمت بالوسائط فتضطرون الى الاعتراف بما قالوه (قلنا) نحن لم نخض في هذا الكتاب خوض ممهد وانما غرضنا ان نشوش دعاويهم وقد حصل على انا نقول ومن زعم ان المصير الى صدور اثنين من واحد مكابرة المعقول أو اتصاف المبدأ بصفات قديمة أزلية مناقض للتوحيد فهاتان دعوتان باطلتان لا برهان لهم عليهما فانه ليس يعرف استحالة صدور الاثنين من واحد كما يعرف استحالة كون الشخص الواحد في مكانين وعلى الجملة لا يعرف بالضرورة ولا بالنظر وما المانع من أن يقال المبدأ الاول عالم قادر مريد يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد يخلق المختلفات والمتجانسات كما يريد وعلى ما يريد فاستحالة هذا لا تعرف بضرورة ولا نظر وقد وردت به الانبياء المؤيدون بالمعجزات فيجب قبوله (وأما البحث عن كيفية صدور الفعل من الله بالارادة) ففضول وطمع في غير مطمع والذين طمعوا في طلب المناسبة ومعرفتها رجع حاصل نظرهم الى ان المعلول الاول من حيث انه ممكن الوجود

صدر

يمكن فلا يكون مقدورا (قلنا) هذا العذر باطل من ثلاثة أوجه (أحدها) ان هذا مكابرة العقل فان العقل في تقدير العالم أكبر أو أصغر مما هو عليه بذراع ليس هو كتقدير الجمع بين السواد والبياض والوجود والعدم والممتنع هو الجمع بين النفي والاثبات واليه ترجع المحالات كلها فهو تحكم فاسد (الثاني) أنه اذا كان العالم على ما هو عليه لا يمكن أن يكون أصغر منه ولا أكبر فوجوده على ما هو عليه واجب لا ممكن والواجب مستغن عن العلة فقولوا بما قاله الدهريون من نفي الصانع ونفي سبب هو مسبب الاسباب وليس هكذا مذهبكم (الثالث) ان هذا الفاسد لا يعجز الخصم عن مقابلته بمثله فنقول انه لو لم يكن وجود العالم قبل وجوده ممكنا بل وافق الوجود الامكان من غير زيادة ولا نقصان (فان قلتم) وقد انتقل القديم من القدرة الى العجز (قلنا) لان الوجود لم يكن ممكنا فلم يكن مقدورا وامتناع حصول ما ليس ممكنا لا يدل على العجز (وان قلتم) انه كيف كان ممتنعا فصار ممكنا (قلنا) ولم يستحيل أن يكون ممتنعا في حال ممكنا في حال (وان) قلتم الاحوال متساوية (قيل لكم) والمقادير متساوية فكيف تكون مقدارا ممكنا وأكبر منه أو أصغر بمقدار ظفر ممتنعا فان لم يستحل هذا فهذا طريق المقاومة (والتحقيق) في الجواب أن ما ذكروه من تقدير الامكانات لا معنى له وانما المسلم أن الله تعالى قادر قديم لا يمتنع الفعل عليه أبدا لو أراده وليس في هذا القدر ما يوجب اثبات زمان ممتد الا أن يضيف الوهم اليه بتلبيسه شيأ آخر انتهى كلامه وفي كل واحد من الوجوه الثلاثة التي أبطل بها عدم امكان كون العالم أكبر مما هو عليه نظر (أما الاول) فلانا لا نسلم ان مرجع المحالات كلها هو الجمع بين النفي والاثبات ولو سلم فيمكن ان يرجع ما نحن فيه اليه لانهم يزعمون ان هيولى الافلاك لا تقبل مقدارا أصغر أو أكبر مما هي عليه فلو كان العالم أصغر أو أكبر مما هو عليه لكانت مادة الافلاك قابلة وغير قابلة بمقدارها وأصغر أو أكبر مما هي عليه الآن

صدر منه فلك ومن حيث انه يعقل نفسه صدر منه نفس الفلك ومن حيث انه يعقل خالقه صدر منه عقل الفلك وهذه حماقة لا اظهار مناسبة ولنتقبل مبادي هذه الامور من الانبياء وليصدقوا فيها اذ العقل ليس يحيلها واليترك البحث عن الكيفية والكمية والماهية فليس ذلك مما يتسع له القوى البشرية ولذلك قال صاحب الشرع تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا في ذات الله (مسئلة) في بيان عجزهم عن الاستدلال على وجود الصانع للعالم (فنقول) الناس فرقتان فرقة أهل حق وقد رأوا ان العالم حادث وعلموا ضرورة ان الحادث لا يوجد بنفسه فافتقر الى صانع فعقل مذهبهم في القول بالصانع (وفرقة أخرى) هم الدهرية قد رأوا ان العالم قديم كما هو عليه ولم يثبتوا له صانعا ومعتقدهم مفهوم وان كان الدليل يدل على بطلانه (وأما الفلاسفة) فقد رأوا أن العالم قديم ثم أثبتوا له مع ذلك صانعا وهذا المذهب بوضعه متناقض لا يحتاج فيه الى ابطال (فان قيل) نحن اذا قلنا ان للعالم صانعا لم نرد به فاعلا مختارا يفعل بعد أن لم يفعل كما نشاهد في أصناف الفاعلين من الخياط والنساج والبناء بل نعني به علة العالم ونسميه المبدأ الاول على معنى انه لا علة لوجوده وهو علة لوجود غيره فان سميناه صانعا فبهذا التأويل وثبوت موجود لا علة لوجوده يقوم عليه البرهان القطعي على قرب (فانا نقول) العالم موجوداته اما أن يكون لها علة أو لا علة لها فان كان لها علة فتلك العلة لها علة أم لا علة لها وكذلك القول في علة العلة فاما ان تتسلسل الى غير نهاية وهو محال واما ان تنتهي الى طرف فالاخير علة أولى لا علة لوجودها فنسميها المبدأ الاول وان كان العالم موجودا بنفسه لا علة له فقد ظهر المبدأ الاول فانا لم نعن به الا موجودا لا علة له وهو ثابت بالضرورة نعم لا يجوز أن يكون المبدأ الاول هو السموات لانها عدد ودليل التوحيد يمنعه فيعرف بطلانه بنظر في صفة المبدأ ولا يجوز أن يقال انه سماء واحد أو جسم واحد أو شمس أو غيره لانه جسم والجسم مركب من الصورة والهيولى والمبدأ الاول لا يجوز أن يكون مركبا وذلك يعرف بنظر ثان والمقصود أن موجودا لا علة لوجوده ثابت بالضرورة والاتفاق وانما الخلاف في الصفات وهو الذي نعنيه بالمبدأ الاول (والجواب) من وجهين (أحدهما) انه يلزم على مساق مذهبكم أن تكون أجسام العالم قديمة كذلك لا علة لها وقولكم ان بطلان ذلك يعلم بنظر ثان فيبطل ذلك عليكم في مسئلة التوحيد وفي نفي الصفات بعد هذه المسئلة (الثاني) وهو الخاص بهذه المسئلة هو أن نقول ثبت تقديرا ان هذه الموجودات لها علة ولعلتها علة ولعلة العلة علة كذلك وهكذا الى غير نهاية (وقولكم) انه يستحيل اثبات علل لا نهاية لها لا يستقيم منكم * فانا نقول عرفتم ذلك ضرورة بغير واسطة أو عرفتموه بواسطة ولا سبيل الى دعوى الضرورة وكل مسلك ذكرتموه في النظر بطل عليكم بتجويز حوادث لا أول لها واذا جاز أن يدخل في الوجود ما لا نهاية له فلا يبعد أن يكون بعضها علة للبعض وينتهي من الطرف الاخير الى معلول لا معلول له ولا ينتهي من الجانب الآخر الى علة لا علة لها كما ان الزمان السابق له آخر وهو الآن ولا أول له فان زعمتم ان الحوادث الماضية ليست موجودة معا في الحال ولا في بعض الاحوال والمعدوم لا يوصف بالتناهي وعدم التناهي فيلزمكم في النفوس البشرية المفارقة للابدان فانها لا تفنى عندكم والموجود المفارق للبدن من النفوس لا نهاية لاعدادها اذ لم تزل نطفة من انسان وانسان من نطفة الى غير نهاية ثم كل انسان مات فقد بقي نفسه وهو بالعدد غير نفس من مات

(وأما الثانى) فلأنه لا يلزم من وجوب كون العالم على القدر الذى هو عليه وامتناع أن يكون أصغر أو أكبر منه أن يكون مستغنيا عن السبب الموجد فان معنى وجوب مقداره المخصوص له وامتناع أن يكون أصغر أو أكبر مما هو عليه انه اذا وجد بايجاد الفاعل لا يقبل مادته الا هذا المقدار المخصوص دون ما عداه مما هو أكبر أو أصغر وهذا المقدار من لوازم وجوده وأين هذا من استلزام الاستغناء عن السبب الموجد ٣٤ (وأما الثالث) فلان القول بان العالم لم يكن قبل الوجود ممكنا بل وافق الامكان الوجود يستلزم الانقلاب من الامتناع الذاتى الى الامكان ولا نزاع فى استحالته بخلاف القول بامكان مقدار للعالم دون ما هو أزيد منه أو أنقص فانه لا استحالة فيه لاحتمال أن لا تكون المادة قابلة لغير ذلك المقدار كما ذكروه فلا تتم المقابلة لظهور امتناع أحدهما دون الآخر (لا يقال) معنى قوله لم يكن وجود العالم قبل وجوده ممكنا هو ان الوجود المقيد بالحصول فى الزمان السابق غير ممكن وهو أخص من الوجود المطلق ومغاير للوجود المقيد بالحصول فى الزمان اللاحق ولا يلزم من امتناع الاخص امتناع الاعم ولا من امتناع أحد المتغايرين امتناع الآخر فجاز أن يمتنع وجوده المقيد بالحصول فى الزمان السابق ولا يمتنع وجوده مطلقا فى الزمان اللاحق وليس فيه انقلاب من الامتناع الذاتى الى الامكان بل الوجود المقيد بالحصول فى الزمان السابق ممتنع دائما والوجود فى الجملة فى الزمان اللاحق ممكن دائما (لانا نقول) لو جاز كون الشئ الواحد ممكن الوجود فى زمان ممتنع الوجود فى زمان آخر بناء على ان الوجود فى زمان سابق أخص من الوجود مطلقا أو مغاير للوجود فى زمان لاحق بحسب الاضافة فلا يلزم من امتناع الوجود الاول امتناع ما هو أعم منه أو امتناع الوجود اللاحق لجاز استغناء الحوادث عن المحدث لجواز أن يمتنع وجودها فى زمان كونها معدومة وواجبة لذاتها حال كونها موجودة فلا حاجة لها الى صانع يحدثها بل ذواتها عن

قبله ومعه وبعده وان كان الكل بالنوع واحدا فعندكم فى الموجود فى كل حال نفوس لا اعداد لها (فان قيل) النفوس ليس لبعضها ارتباط بالبعض ولا ترتيب لها لا بالطبع ولا بالوضع وانما نحيل نحن موجودات لا نهاية لها اذا كان لها ترتيب بالوضع كالاجسام فانها مرتبة بعضها فوق بعض أو كان لها ترتيب بالطبع كالعلل والمعلولات وأما النفوس فليست كذلك (قلنا) وهذا الحكم فى الوضع ليس طرده بأولى من عكسه فلم أحلتم أحد القسمين دون الآخر وما البرهان المفرق وبم تنكرون على من يقول ان هذه النفوس التى لا نهاية لها لا تخلو عن ترتيب اذ وجود بعضها قبل البعض فان الايام والليالى الماضية لا نهاية لها واذا قدرنا وجود نفس واحدة فى كل يوم وليلة كان الحاصل فى الوجود الآن خارجا عن النهاية واقعا على ترتيب فى الوجود أى بعضها بعد البعض والعلة غايتها أن يقال انها قبل المعلول بالطبع كما يقال انها فوق المعلول بالذات لا بالمكان فاذا لم يستحل ذلك فى القبل الحقيقى الزمانى فينبغى أن لا يستحيل فى القبل الذاتى الطبيعى وما بالهم لم يجوزوا أجساما بعضها فوق بعض بالمكان الى غير نهاية وجوزوا موجودات بعضها قبل البعض بالزمان الى غير نهاية وهل هذا الا تحكم بارد لا أصل له (فان قيل) البرهان القاطع على استحالة علل الى غير نهاية ان يقال كل واحد من آحاد العلل ممكن فى نفسه أو واجب فان كان واجبا فلم يفتقر الى علة وان كان ممكنا فالكل موصوف بالامكان وكل ممكن فيفتقر الى علة زائدة على ذاته فيفتقر الكل الى علة خارجة عنه (قلنا) لفظ الممكن والواجب لفظ مبهم الا أن يراد بالواجب ما لا علة لوجوده ويراد بالممكن ما لوجوده علة وان كان المراد هذا فلنرجع الى هذه اللفظة فنقول كل واحد ممكن على معنى ان له علة زائدة على ذاته والكل ليس بممكن على معنى انه ليس له علة زائدة على ذاته خارجة عنه وان أريد بلفظ الممكن غير ما أردناه فهو ليس بمفهوم (فان قيل) فهذا يؤدى الى أن يتقوم واجب الوجود بممكنات الوجود وهو محال (قلنا) ان أردتم بالواجب والممكن ما أردناه فهو نفس المطلوب فلا نسلم انه محال وهو كقول القائل يستحيل أن يتقوم القديم بالحوادث والزمان عندهم قديم وآحاد الدورات حادثة وهى ذوات أوائل والمجموع لا أول له فقد يقوم ما لا أول له بذوات أوائل وصدق ذات الاوائل على الآحاد ولم يصدق على المجموع وكذلك يقال على كل واحد ان له علة ولا يقال للمجموع علة وليس كل ما صدق على الآحاد يلزم أن يصدق على المجموع اذ يصدق على كل واحد انه واحد وانه بعض وانه جزء ولا يصدق على المجموع وكل موضع عيناه من الارض فانه قد استضاء بالشمس فى النهار وأظلم بالليل وكل واحد حادث بعد ان لم يكن أى له أول والمجموع عندهم ما له أول فتبين ان من يجوز حوادث لا أول لها وهو صور العناصر الاربعة والمتغيرات فلا يتمكن من انكار علل لا نهاية لها ويخرج من هذا انه لا سبيل لهم الى الوصول الى اثبات المبدأ الاول لهذا الاشكال ويرجع فرقهم الى التحكم المحض (فان قيل) ليست موجودة فى الحال ولا صور العناصر وانما الموجود منها صورة واحدة بالفعل وما لا وجود له لا يوصف بالتناهى وعدم التناهى الا اذا قدر فى الوهم وجودها ولا يبعد ما يقدر فى الوهم وان كانت المقدرات أيضا بعضها علا للبعض فالانسان قد يفرض ذلك فى وهمه وانما الكلام فى الموجود فى الاعيان لا فى الاذهان ولا يبقى الا نفوس الاموات وقد ذهب بعض الفلاسفة الى انها كانت واحدة أزلية قبل التعلق بالابدان وعند مفارقة الابدان تتحد فلا يكون فيها عدد فضلا

كافيـة فى حدوثها وفيه سد لباب اثبات الصانع بالاستدلال عليه من مصنوعاته (فالوجه) الاكتفاء فى الجواب بما ذكره من التحقيق من أن الامكانات المقـدرة أمور وهمية لا وجود لها فى الخارج أصـلا فلا يلزم قدم الزمان بل المسـلم أن الله تعالى قديم قادر لا يمتنع الفعل عليه أبدا وهذا لا يقتضى وجود الزمان قبل وجود العالم لان معـنى قدمـه هو انا لو قدرنا ازمنة لانهاية لها كان الله موجودا معها بأسرها لا أنه موجود فيها لان ذاته تعالى منزهـة عن أن تـكون زمانيـة أو مكانية ولا يلزم من تقدير الشئ وفرضـه وجوده وتحققـه ومما يؤيد ذلك هو انه لو اعتبر فى ماهية القـديم والحادث تحقـق الزمان فالزمان المعتـبر اما ان يكون قديما أو حادثا فان كان قديما فان اشترط فى قدمه أن يكون له زمان آخر لزم أن يكون للزمان زمان وان لم يشترط فقد صار القديم معـقولا قديما من غير اعتبار تحقق الزمان واذا عقل القـديم فى موضع من غير اعتبار وجـود الزمان فليعقل مثله فى حق الله وفى سائر الماهيات القديـمة وان كان حادثا مع انه لا يشترط فى كونه حادثا وجود زمان آخر لامتناع ان يكون للزمان زمان آخر فاذا تحقق تصور حدوث حادث من غـير اعتبار وجود زمان فليتصور مثـله فى حق العالم وفى جميع الامـور الحادثة (الوجه الثالث) من وجوه استدلالهم عـلى قدم العالم هو ان العالم ممكن الوجـود فى الازل والا لزم الانقـلاب مـن الامتناع الذاتى الى الامكان الذاتى وهـو باطل بالضرورة وكذا صحة تأثير البارى فى العالم أزلى والا لزم الانقـلاب المذكور وهو أى ما ذكرنا من أزلية صحة العالم وازلية صحـة تأثير البارى فيـه يبطل دلائـل القائلين بوجوب الحدوث ثم نقول لو كان العالم حادثا لزم ترك الجود الذى هو افاضة الوجود عليـه مدة لا تتناهى وذلك لا يليـق بالجواد المطلق (وأجيب) بانا لا نسلم امتناع ترك الجود مدة لا تتناهى فان المبدأ عندنا فاعـل مختار لا غاية لفـعله ولا عـلة لصـنعه فيجوز ان يفـعل كيف يشاء فى أى وقت شاء وما الدليـل على خـلافه ولو سـلم فاللازم مما ذكر أزليـة الامكان وهى غـير

عن ان توصف بانها لانهاية لها وقال آخرون النفس تابعـة للمزاج وانما معنى الموت عـدمها ولا قوام لها بجوهرها دون الجسم فاذن لا وجود للنفوس الا فى حق الاحياء والاحياء الموجودون محصورون ولا تنتفى النهاية عنهم والمعدومون لا يوصفون اصـلا لا بوجود النهاية ولا بعـدمها الا فى الوهم اذا فرضوا موجودين (والجواب) ان هذا الاشـكال فى النفوس أوردناه على ابن سينا والفارابى والمحققين منهم اذ حكموا بان النفس جوهر قائم بنفسـه وهو اختيار ارسطاطاليس والمعتبرين من الاوائل ومن عدل عن هذا المسلك فنقول له هل يتصور أن يحدث شئ يبقى أم لا فان قالوا لا فهو محال وان قالوا نعم قلنا فاذا قدرنا كل يوم حـدوث شئ وبقاءه اجتمع الى الآن لا محالة موجودات لانهاية لها فالدورة وان كانت منقضية فحصول موجود فيها يبقى ولا ينقضى غير مستحيل وبهذا التقدير يتقرر الاشكال ولا غرض فى ان يكون ذلك الباقى نفس آدمى أو جنى أو شيطان أو ملك أو ما شئت من الموجودات وهو لازم على كل مذهب لهم اذ أثبتوا دورات لانهاية لها ﴿مسئلة﴾ فى بيان عجزهم عن اقامة الدليـل على ان الله تعالى واحـد وانه لا يجوز فرض اثنين واجبى الوجود كل واحد منهـما لا علة له واستدلالهم على هذا بمسلكين (المسلك الاول) قولهم انهما لو كانا اثنين لـكان نوع وجوب الوجود مقولا على كل واحد منهما وما قيل عليه انه واجب الوجود فلا يخلو اما ان يكون وجوب وجوده لذاته ولا يتصور ان يكون لغيره أو وجوب الوجود له لعلة فيكون ذات واجب الوجود معلولا وقد اقتضت علة له وجوب الوجود ونحن لا نريد بواجب الوجود الا ما لا ارتباط لوجوده بعلة بجهة من الجهات وزعموا ان نوع الانسان يقال على زيد وعلى عمرو وليس زيد انسانا بالذات اذ لو كان انسانا بالذات لما كان عمرو انسانا بالذات بل بعلة جعلته انسانا وقد جعل عمرو أيضا انسانا فتكثرت الانسانية بتكثر المادة الحاملة لها وتعلقها بالمادة معـلول له ليس لذات الانسانية فكذلك ثبوت وجوب الوجود لواجب الوجود ان كان لذاته فـلا يكون الا له وان كان لعلة فهو اذن معلول وليس بواجب الوجود وقد ظهر بهذا ان واجب الوجود لابد وان يكون واحدا (قلنا) قولكم نوع وجوب الوجود لواجب الوجود لذاته أو لعلة تقسيم خطأ فى وضعه فانا قد بينا ان لفظ وجوب الوجود فيه اجمال الا أن يراد به نفى العلة فلنستعمل هذه العبارة فنقول لم يستحيل ثبوت موجودين لا علة لهما وليس أحدهما علة للآخر فقولكم ان الذى لا علة له لا علة له لذاته أو لسبب تقسيم خطأ لان نفى العلة واستغناء الوجود عن العلة لا يطلب له علة فاى معـنى لقول القائل ان ما لا عـلة له لا علة له لذاته أو لعلة اذ قولنا لا علة له سلب محض والسلب المحض لا يكون له علة ولا سبب ولا يقال فيه انه لذاته أو لا لذاته وان عنيتم بوجوب الوجود وصـفا ثابتا للواجب الوجود سوى انه موجود لا عـلة لوجـوده فهو غير مفهوم فى نفسه والذى ينسبك من لفظة نفى العلة لوجوده وهو سلب محض لا يقال فيه انه لذاته أو لعلة حتى يبنى على وضع هذا التقسيم غرض فدل ان هذا برهان من خرف لا أصل له بل نقول معـنى انه واجب الوجود انه لا علة لوجوده ولا علة لـكونه بلا عـلة وليس كونه بلا عـلة معللا أيضا بذاته بل لا علة لوجوده ولا لـكونه بلا علة أصلا كيف وهذا التقسيم لا يتطرق الى بعض صفات الاثبات فضلا عما يرجـع الى السلب اذ لو قال قائل السواد لون لذاته أو لعلة فان كان لذاته فينبغى أن لا تـكون الحمرة لونا وان لا يكون هذا النوع أعنى اللونية الا لذات السواد وان كان السواد لونا لعـلة جعلتـه لونا ينبغى أن

امكان الازلية وغير مستلزمة له وذلك لانا اذا قلنا امكانه أزلي أو ثابت أزلا كان الازل ظرفا للامكان فيلزم أن يكون ذلك الشيء متصفا بالامكان اتصافا مستمرا غير مسبوق بعدم الاتصاف وهو ثابت للعالم ولتأثير الباري تعالى أيضا (واذا قلنا أزليته ممكنة) كان الازل ظرفا للوجود على معنى أن وجوده المستمر الذي لا يكون مسبوقا بالعدم ممكن ومن المعلوم أن الاول لا يستلزم الثاني لجواز أن يكون وجود الشيء في الجملة ممكنا امكانا ٣٦ مستمرا ولا يكون وجوده على وجه الاستمرار ممكنا أصلا بل ممتنعا ولا يلزم من هذا أن يكون ذلك الشيء من قبيل الممتنعات دون الممكنات لان الممتنع هو الذي لا يقبل الوجود بوجه من الوجوه هذا هو المشهور بين القوم (واعترض عليه بعض الافاضل من المتأخرين) باقامة الدليل على أن أزلية الامكان مستلزمة لامكان الازلية وقال امكان الشيء اذا كان مستمرا أزلا لم يكن هو في ذاته مانعا عن قبول الوجود في شيء من أجزاء الازل فيكون عدم منعه منه أمرا مستمرا في جميع تلك الاجزاء فاذا نظر الى ذاته من حيث هو ولم يمنع من اتصافه بالوجود في شيء منها بل جاز اتصافه به في كل منها لا بدلا فقط بل ومعا أيضا وجواز اتصافه به في كل منها معا هو امكان اتصافه بالوجود المستمر في جميع أجزاء الازل بالنظر الى ذاته فأزلية الامكان مستلزمة لامكان الازلية نعم ربما امتنعت الازلية لغيره وذلك لا ينافي الامكان الذاتي مثلا الحادث ممكن أزليته بالنظر الى ذاته من حيث هو وممتنع اذا أخذ الحادث مقيدا بحدوثه فذات الحادث من

هذه

حيث هو امكانه أزلي وأزليته أيضا ممكنة واذا أخذ مع قيد الحدوث لم يمكن لهذا الجميع امكان وجود أصلا لان الحدوث أمر اعتباري يستحيل وجوده في الخارج والمجموع من حيث هو مجموع ممتنع لا ممكن (فان قلت) نحن نأخذ ذات الحادث لا وحده بل مع الحدوث على انه قيد لا جزء ونقول انه ممتنع في الازل وممكن فيما لا يزال (قلت) الامكان الذاتي معتبر بالقياس الى ذات الشيء

يعقل سواد ليس بلون أي لم تجعله العلة لونا فان ما يثبت للذات زائدا على الذات لعلة يمكن تقدير عدمه في الوهم وان لم يتحقق في الوجود ولكن يقال هذا التقسيم خطأ في الوضع فلا يقال للسواد لون لذاته قولا يمنع أن يكون لغير ذاته فكذلك لا يقال ان هذا الوجود واجب لذاته أو لا علة له لذاته قولا يمنع أن يكون ذلك لغير ذاته بحال (مسلكهم الثاني) ان قالوا لو فرضنا واجبي الوجود لكانا متماثلين من كل وجه أو مختلفين فان كانا متماثلين من كل وجه فلا يعقل التعدد والاثنينية اذ السوادان هما اثنان اذا كانا في محلين أو في محل واحد ولكن في وقتين أو السواد والحركة في محل واحد في وقت واحد وهما اثنان لاختلاف ذاتيهما أما اذا لم تختلف الذاتان كالسوادين ثم اتحد الزمان والمكان لم يعقل التعدد ولو جاز أن يقال في وقت واحد في محل واحد سوادان لجاز أن يقال في حق كل شخص انه شخصان ولكن ليس يتبين بينهما مغايرة واذا استحال التماثل من كل وجه ولا بد من الاختلاف ولم يمكن بالزمان ولا بالمكان فلا يبقى الا الاختلاف في الذات ومهما اختلفا في شيء فلا يخلو اما ان يشتركا في شيء أو لم يشتركا في شيء فان لم يشتركا في شيء فهو محال اذ يلزم ان لا يشتركا في الوجود ولا في وجوب الوجود ولا في كون كل واحد قائما بنفسه لا في موضوع واذا اشتركا في شيء واختلفا في شيء كان ما فيه الاشتراك غير ما فيه الاختلاف فيكون ثم تركيب انقسام بالقول وواجب الوجود لا تركيب فيه وكما لا ينقسم بالكمية فلا ينقسم أيضا بالقول الشارح اذ لا تتركب ذاته من أمور يدل القول الشارح على تعددها كدلالة الحيوان الناطق على ما تقوم به ماهية الانسان فانه حيوان وناطق ومدلول لفظ الحيوان من الانسان غير مدلول لفظ الناطق فيكون الانسان متركبا من أجزاء تنتظم في الحد بألفاظ تدل على تلك الاجزاء ويكون اسم الانسان لمجموعها وهذا لا يتصور في واجب الوجود ودون هذا لا تتصور الاثنينية (والجواب) انه مسلم انه لا تتصور الاثنينية الا بالمغايرة في شيء ما وأن المتماثلين من كل وجه لا يتصور تغايرهما ولكن قولكم ان هذا النوع من التركيب محال في المبدأ الاول تحكم محض فما البرهان عليه (ولنرسم هذه المسئلة على حيالها) فان من كلامهم المشهور ان المبدأ الاول لا ينقسم بالقول الشارح كما لا ينقسم بالكمية وعليه يبنى اثبات وحدانية الله تعالى عندهم بل زعموا أن التوحيد لا يتم الا باثبات الوحدة لذات الباري من كل وجه واثبات الوحدة ينفي الكثرة من كل وجه والكثرة تتطرق الى الذوات من خمسة أوجه الاول بقبول الانقسام فعلا أو وهما فلذلك لم يكن الجسم الواحد واحدا مطلقا فانه واحد بالاتصال القائم به القابل للزوال فهو منقسم في الوهم بالكمية وهذا محال في المبدأ الاول (الثاني) ان ينقسم الشيء في العقل الى معنيين مختلفين لا بطريق الكمية كانقسام الجسم الى الهيولى والصورة فان كل واحد من الهيولى والصورة وان كان لا يتصور ان يقوم بنفسه دون الآخر فهما شيئان مختلفان بالحد والحقيقة ويحصل من مجموعهما شيء واحد هو الجسم وهذا أيضا منفي عن الله سبحانه فلا يجوز أن يكون الباري تعالى صورة في جسم ولا مادة وهيولى لجسم ولا مجموعهما أما مجموعهما فلعلتين احداهما انه منقسم بالكمية أعني التجزئة فعلا أو وهما والثانية انه منقسم بالمعنى الى الصورة والهيولى فلا يكون مادة لانها تحتاج الى الصورة وواجب الوجود مستغن من كل وجه فلا يجوز أن يرتبط وجوده بشيء آخر سواه ولا يكون صورة لانها تحتاج الى مادة (الثالث) الكثرة بالصفات بتقدير العلم والقدرة والارادة فان

من حيث هو فان أخذ ذات الحادث وحده أو ذات المجموع فقد عرفت حالهما وان أخذ ذات الحادث مقيدا بقيد خارجي لم يتصور هناك امكان ذاتي هذا ما ذكره بعبارته (ورد عليه) بان الأعراض السيالة كالحركة وما يتبعها الا شك انها يمتنع اجتماع أجزائها في الوجود والا لكانت قارة ولكل واحد من تلك الاجزاء امكان مستمر أزلا والا لزم الانقلاب مع امتناع استمرارها أزلا والا لم تكن طبيعتها على التقضي وعدم الاستقرار فثبت فيها أزلية الامكان بدون امكان الازلية فانتقض ٣٧ الدليل بها (اذا عرفت هذا) فنريد أن نسمعك بعض ما سنح لنا في هذا المقام فنقول وبالله التوفيق الموجود من الحركة والزمان وغيرهما من الاعراض السيالة ليس له هوية اتصالية بل أمر بسيط غير قابل للقسمة مستمر وغير مستقر وبحسب استمراره وعدم استقراره يحصل في الخيال أمر ممتد يحكم العقل بانه لو وجد ذلك الامر الممتد في الخارج امتنع اجتماع أجزائه في الوجود وهذا معنى كون تلك الاعراض غير قارة فليس للاعراض السيالة الغير القارة الموجودة في الخارج أجزاء لا خارجا ولا فرضا حتى ينتقض بها وأما نفس تلك الاعراض فانها مستمرة ويجوز استمرارها أزلا نظرا الى ذاتها وان استشكل هذا المعنى في الصوت واستبعد أن يكون الصوت الواحد المستمر بسيطا غير منقسم فاعلم ان السبب للقول بكون الحركة أمرا بسيطا غير منقسم هو انه لو انقسم امتنع اجتماع أجزائه في الوجود والا لكان قارا وما يمتنع اجتماع أجزائه في الوجود لا يكون موجودا بالضرورة فيلزم أن لا تكون الحركة موجودة في الخارج وهو باطل بالضرورة فيجب أن تكون الحركة أمرا بسيطا حتى يجوز وجوده في الخارج وهو المطلوب وهذا البرهان جار في جميع الاعراض السيالة صوتا كان أو غيره فلزم القول بكونه أمرا بسيطا غير منقسم ومستمرا الا انه لما كان معلولا لتموج الهواء الذي هو حركة مخصوصة حاصلة من قرع أو قلع مخصوصين وكانت الحركة مستمرة كان معلولها أيضا مستمرا بحسب استمرارها

هذه الصفات وان كانت واجبة الوجود كان وجوب الوجود مشتركا بين الذات وبين هذه الصفات ولزمت كثرة في واجب الوجود وانتفت الوحدة (الرابع) كثرة عقلية تحصل بتركيب الجنس والنوع فان السواد سواد ولون والسوادية غير اللونية في حق العقل بل اللونية جنس والسوادية فصل فهو مركب من جنس وفصل والحيوانية غير الانسانية في العقل فان الانسان حيوان ناطق والحيوان جنس والناطق فصل وهو مركب من الجنس والفصل وهذا نوع كثرة فزعموا ان هذا أيضا منفي عن المبدا الاول (والخامس) كثرة تلزم من جهة تقدير ماهية وتقدير وجود لتلك الماهية فان للانسان ماهية قبل الوجود والوجود يرد عليها او يضاف اليها وكذا المثلث مثلا له ماهية وهو انه شكل يحيط به ثلاثة أضلاع وليس الوجود جزأ من ذات هذه الماهية مقوما لها ولذلك يجوز ان يدرك العاقل ماهية الانسان وماهية المثلث وليس يدري ان لهما وجودا في الاعيان أم لا ولو كان الوجود مقوما لماهيته لما تصور ثبوت ماهيته في العقل قبل وجوده فالوجود مضاف الى الماهية سواء كان لازما بحيث لا تكون تلك الماهية الا موجودة كالسماء أو عارضا بعد ما لم يكن كماهية الانسانية من زيد وعمرو وماهية الاعراض والصور الحادثة فزعموا ان هذه الكثرة يجب أيضا أن تنفى عن الاول فيقال ليس لماهيته وجود يضاف اليها بل الوجود الواجب له كالماهية لغيره فالوجود الواجب ماهية وحقيقة كلية كما ان الانسانية والشجرية والسمائية ماهية اذ لو ثبتت ماهية لكان الوجود الواجب لازما لتلك الماهية غير مقوم لها واللازم تابع ومعلول فيكون الوجود الواجب معلولا وهو مناقض لكونه واجبا ومع هذا فانهم يقولون للباري انه مبدأ وأول وموجود وجوهر وواحد وقديم وباق وعالم وعقل وعاقل ومعقول وفاعل وخالق ومريد وقادر وحي وعاشق ومعشوق ولذيذ وملتذ وجواد وخير محض وزعموا ان كل ذلك عبارة عن معنى واحد لا كثرة فيه وهذا من العجائب فينبغي ان نحقق مذهبهم للتفهيم أولا ثم نشتغل بالاعتراض فان الاعتراض على المذاهب قبل التفهيم رمي في عماية (والعمدة في فهم مذهبهم) انهم يقولون ذات المبدا الاول واحد وانما تكثر الاسامي باضافة شيء اليه او اضافته الى شيء أو سلب شيء عنه والسلب لا يوجب كثرة في ذات المسلوب عنه ولا الاضافة توجب كثرة فلا تكثر اذا كثرت السلوب وكثرت الاضافات ولكن الشأن في رد هذه الامور كلها الى السلب والاضافة فقالوا اذا قيل له أول فهو اضافة الى الموجودات بعده واذا قيل مبدأ فهو اشارة الى ان وجود غيره منه وهو سبب له فهو اضافة له الى معلولاته (واذا قيل موجود) فمعناه معلوم (واذا قيل جوهر) فمعناه الوجود مسلوبا عنه الحلول في موضوع وهذا سلب (واذا قيل قديم) فمعناه سلب العدم عنه أولا (واذا قيل باق) فمعناه سلب العدم عنه آخرا ويرجع حاصل القديم والباقي الى وجود ليس مسبوقا بعدم ولا ملحوقا بعدم (واذا قيل واجب الوجود) فمعناه انه موجود لا علة له وهو علة لغيره فيكون جمعا بين السلب والاضافة اذ نفي علة له سلب وجعله علة لغيره اضافة (واذا قيل عقل) فمعناه انه موجود بريء عن المادة وكل موجود هذه صفته فهو عقل أي يعقل ذاته ويشعر بها ويعقل غيره وذات الله هذه صفته أي هو بريء عن المادة فاذن هو عقل وهما عبارتان عن معنى واحد (واذا قيل عاقل) فمعناه ان ذاته الذي هو عقل فله معقول هو ذاته فانه يشعر بنفسه ويعقل نفسه فذاته معقول وذاته عاقل وذاته عقل والكل واحد اذ هو معقول من حيث

انه ماهية مجردة عن المادة غير مستورة عن ذاته الذي هو عقل يعني انه ماهية مجردة عن المادة لا يكون شيء مستورا عنه ولما عقل نفسه كان عاقلا ولما كان نفسه معقولا لنفسه كان معقولا ولما كان عقله بذاته لا بزائد على ذاته كان عقلا ولا يبعد ان يتحد العاقل والمعقول فان العاقل اذا عقل كونه عاقلا عقله يكون عاقلا لكونه عاقلا فيكون العاقل والمعقول واحدا بوجه ما وان كان ذلك يفارق عقل الاول فان ما للاول بالفعل أبدا وما لنا يكون بالقوة تارة وبالفعل أخرى (واذا قيل خالق وفاعل وبارئ وسائر صفات الفعل) فمعناه انه وجود وجود شريف يفيض عنه وجود الكل فيضا لازما وان كان وجود غيره حاصلا منه وتابعا لوجوده كما يتبع النور الشمس والاسخان النار ولا تشبه نسبة العالم اليه نسبة النور الى الشمس الا في كونه معلولا فقط والا فليس هو كذلك فان الشمس لا تشعر بفيضان الضوء عنها ولا النار بفيضان الاسخان فهو طبع محض بل الاول عالم بذاته وان ذاته مبدأ لوجود غيره ففيضان ما يفيض عنه معلوم له فليس به غفلة عما يصدر عنه ولا هو أيضا كالواحد منا اذا وقف بين مريض وبين الشمس فاندفع حر الشمس عن المريض بسببه لا باختياره ولكنه عالم به وهو غير كاره أيضا له وانه عالم بان كماله في أن يفيض عنه غيره أي الظل وان كان الواقف أيضا مريدا لوقوع الظل فلا يشبهه أيضا فان المظل الفاعل للظل شخصه وجسمه والعالم الراضي بوقوع الظل نفسه لا جسمه وفي حق الاول ليس كذلك فان الفاعل منه هو العالم وهو الراضي أي انه غير كاره له وانه عالم بان كماله في ان يفيض منه غيره بل لو أمكن أن يفرض كون الجسم المظل بعينه هو العالم بعينه بوقوع الظل وهو الراضي لم يكن أيضا مساويا للاول فان الاول هو العالم وهو الفاعل وعلمه هو مبدأ فعله فان علمه بنفسه في كونه مبدأ للكل علة فيضان الكل فان النظام الموجود يتبع النظام المعقول يعني انه واقع به وكونه فاعلا غير زائد على كونه عالما بالكل اذ علمه بالكل علة فيضان الكل عنه وكونه عالما بالكل لا يزيد على علمه بذاته فانه لا يعلم ذاته ما لم يعلم انه مبدأ للكل فيكون المعلوم بالقصد الاول ذاته ويكون الكل معلوما عنده بالقصد الثاني فهذا معنى كونه فاعلا (واذا قيل قادر) فلا نعني به الا كونه فاعلا على الوجه الذي قررناه وهو اذ وجوده وجود يفيض عنه المقدورات التي يفيض انتظام الترتيب في الكل على أبلغ وجوه الامكان في الكمال والحسن (واذا قيل انه مريد) لم نعن به الا ان ما يفيض عنه ليس هو غافلا عنه وليس كارها له بل هو عالم بان كماله في فيضان الكل عنه فيحسن لهذا المعنى ان يقال هو راض وجاز ان يقال للراضي انه مريد ولا تكون الارادة الا عين القدرة ولا القدرة الا عين العلم ولا العلم الا عين الذات فالكل اذن يرجع الى عين الذات وهذا لان علمه بالاشياء ليس مأخوذا من الاشياء والا كان مستفيدا وصفا أو كمالا من غيره وهو محال في واجب الوجود ولكن علمنا على قسمين علم حصل من صورة ذلك الشيء كعلمنا بصورة السماء والارض وعلم اخترعناه كشيء لم نشاهد صورته ولكن صورناه في أنفسنا ثم أحدثناه فيكون وجود الصورة مستفادا من العلم لا العلم من الوجود وعلم الاول بحسب القسم الثاني وان تمثيل النظام في ذاته سبب لفيضان النظام عن ذاته نعم لو كان مجرد حضور صورة نقش أو كتابة خط في نفوسنا كافيا في حدوث تلك الصورة لكان العلم بعينه منا هو القدرة بعينها والارادة بعينها ولكنا لقصورنا فليس يكفي تصورنا لايجاد الصورة بل يحتاج مع ذلك الى ارادة متجددة تنبعث من قوة شوقية ليتحرك منهما معا القوة المحركة للعضل والاعصاب في الاعضاء

فاذا انقطع تموجه ينعدم الصوت الحاصل فيه واذا أدى تموجه الى تموج هواء آخر مجاور له حصل صوت آخر وهلم جرا الى انقطاع التموجات وليس الصوت الحاصل في التموج الثاني هو الصوت الاول الحاصل في التموج الاول والا لزم انتقال العرض وهو مستحيل وكان الاستبعاد انما نشأ من توهم كون الصوت الواحد عبارة عن الاصوات القائمة بالاهوية المتجاورة الى أن تنقطع وليس كذلك فانها أصوات متعددة لتعدد محالها وكذلك الصوت المعروض للحروف المتعددة فانه في الحقيقة أصوات متعددة كل منها مستمر زمانا وحاصلة من تموجات متعددة تحصل من آلات معدة في الحلق لتموج الهواء يتصل بعض تلك الاصوات بالبعض حسا فيظن لذلك صوتا واحدا (فان قيل) الحروف الآنية التي تعرض الاصوات عند انقطاعها كعروض الآن للزمان والنقطة للخط لا شك انها موجودة لكونها مسموعة وممكنة أزلا والا لزم الانقلاب مع انها لا يمكن وجودها الا في الآن ولا يتصور استمرارها زمانا فضلا عن استمرارها في الازمنة الغير المتناهية فاذن كره منقوض بها (قلنا له) انه يمنع كون امتناع وجودها في الزمان بحسب ذاته ويقول لم لا يجوز أن يكون عدم تصور استمرارها لامر خارج من ذاته واتمام النقض بها يتوقف على اثبات امتناع وجودها على الاستمرار نظرا الى ذاته فليتأمل (بقي في كلام ذلك الفاضل اشكال) وهو ان امكان الشيء ليس معناه جواز اتصافه بجميع انحاء الوجود بل معناه جواز اتصافه بوجود ما في الجملة فيكفي في امكان الشيء جواز اتصافه بالوجود الواقع في زمان متناه فاللازم من كون امكان الشيء مستمرا أزلا هو أن لا يكون ذلك الشيء في ذاته مانعا في شيء من أجزاء الازل عن قبول الوجود الواقع في زمان متناه فيكون عدم المنع عن قبول الوجود الواقع في زمان متناه مستمرا في جميع تلك الاجزاء ولا نسلم أنه يلزم من ذلك أن لا يكون مانعا عن قبول الوجود المستمر الواقع في جميع أجزاء الازل فان هذا اللزوم ليس بضروري ولا قام عليه برهان بل اللازم هو جواز الاتصاف بالوجود في كل جزء بدلا ولا يلزم منه جواز الاتصاف في

جميع الاجزاء منها (ومحصول ماذكره الامام الغزالى فى تقرير هذا الوجه) هو ان امكان وجود العالم أزلى والا لزم الانقلاب فاذا كان الامكان أزليا فالممكن على وفق الامكان لم يزل يعنى اذا كان الامكان أزليا كان الممكن أيضا أزليا ولم يبين هذه الملازمة مع انها غير ظاهرة فى نفسها وبينها بعضهم بانه لو لم يكن أزليا بل كان حادثا استحال أن يكون أزليا لاستحالة كون الحادث أزليا فلا يكون امكانه أزليا وقد ثبت أنه أزلى وخلله ظاهر فان المستحيل كونه أزليا على تقدير حدوثه هو ذات العالم من حيث انه مقيد بقيد الحدوث لا ذاته من حيث هو والملازم من كون امكانه أزليا على تقدير تسليمه هو أن يصح كون ذات العالم من حيث هو أزليا وهو لا ينافى استحالة أزليته من حيث انه حادث ثم انه رحمه الله تعالى لم يرد هذا الجواب على ان قال العالم لم يزل ممكن الحدوث فلا جرم ما من وقت الا ويتصور احداثه فيه واذا قدر موجودا أبدا لم يكن الواقع على وفق الامكان فليتأمل فى توجيهه (وقد يجاب) بان قولنا فى كل العالم كقولكم فى الحادث المعين فان حكمتم فى الحادث المعين انه كان ممتنعا فى الازل ثم انقلب ممكنا فيما لا يزال فنحن نقول فى كل العالم كذلك وان حكمتم انه كان فى الازل مع انه لم يجب حصوله فى الازل فكذلك ههنا وهذا الجواب لا يتم على ما ذكرنا من التقرير لان الممكنات عندهم قسمان قسم يكفى امكانه الذاتى فى فيضان الوجود عليه من المبدا من غير احتياج الى الامكان الاستعدادى وقسم يحتاج الى استعداد المادة لحصوله منها أو معها قالوا والقسم الأول متهيئ الوجود ازلا لا نقصان فى تهيئه والمبدأ تام فى فاعليته فلو لم يفض عليه من المبدا وجود لزم ترك الجود وأما القسم الثانى فهو فى الازل غير متهيئ لقبول الوجود من المبدا بل يتوقف على استعداد المادة فعدم ايجاده فى الازل لا ينافى الجود لان الجود افادة ما ينبغى لمن ينبغى لا لعوض ولا لغرض وقبل تمام استعداد المادة لوجود الحادث لا يكون ايجاده افادة ما ينبغى لمن ينبغى حتى يكون ترك الايجاد ترك الجود (الوجه

الاعضاء الآلية فيتحرك بتحرك العصل والاعصاب اليد أو غيرها ويتحرك بحركتها القلم أو آلة أخرى خارجة وتحرك المادة بحركة القلم كالمداد أو غيره ثم تحصل الصورة المتصورة فى نفوسنا فلذلك لم يكن نفس وجود هذه الصورة فى نفوسنا قدرة ولا ارادة بل كانت القدرة فينا عند المبدا المحرك للعضل وهذه الصورة محركة لذلك المحرك الذى هو مبدأ القدرة وليس كذلك فى واجب الوجود فانه ليس مركبا من أجسام تنبث القوى فى أطرافها فكانت القدرة والارادة والعلم والذات منه واحدا (واذا قيل له حى) لم يرد به الا أنه عالم علما يفيض عنه الوجود الذى يسمى فعلا له فان الحى هو الفعال الدراك فيكون المراد به ذاته مع اضافة الى الافعال على الوجه الذى ذكرناه لا كحياتنا فانها لا تتم الا بقوتين مختلفتين ينبعث عنهما الادراك والفعل فحياته عين ذاته أيضا (واذا قيل له جواد) فمعناه انه يفيض عنه الكل لا لغرض يرجع اليه والجود يتم بشيئين أحدهما أن يكون للمنعم عليه فائدة فيما وهبه منه فلعل من يهب شيأ ممن هو مستغن عنه لا يوصف بالجود والثانى أن لا يحتاج الجواد الى الجود فيكون اقدامه لحاجة نفسه وكل من يجود ليمدح أو يثنى عليه أو يتخلص من مذمة فهو مستعيض وليس بجواد وانما الجود الحقيقى لله تعالى فانه ليس يبتغى به خلاصا عن ذم ولا كمالا مستفادا بمدح فيكون الجواد اسما منبئا عن جوده مع اضافة الى الفعل وسلب للغرض فلا يؤدى الى الكثرة فى ذاته (واذا قيل خير محض) فاما أن يراد به وجوده بريئا عن النقص وامكان العدم فان الشر لا ذات له بل يرجع الى عدم جوهر أو عدم صلاح حال الجوهر والا فالوجود من حيث انه وجود خير فيرجع هذا الاسم الى السلب لامكان النقص والشر وقد يقال خير لما هو سبب لنظام الاشياء والاول مبدأ النظام كل شئ فهو خير ويكون الاسم دالا على الوجود مع نوع اضافة (واذا قيل واجب الوجود) فمعناه هذا الوجود مع سلب علة لوجوده واحالة علة لعدمه أولا وآخرا (واذا قيل عاشق ومعشوق ولذيذ وملتذ) فمعناه ان كل جمال وبهاء وكمال فهو محبوب ومعشوق لذى الكمال ولا معنى للذة الا ادراك الكمال الملائم ومن عرف كمال نفسه فى احاطته بالمعلومات لو أحاط بها وفى جمال صورته وفى كمال قدرته وقوة أعضائه وبالجملة ادراكه لحضور كل كمال هو ممكن له لو أمكن أن يتصور ذلك فى انسان واحد لكان محبا لكماله وملتذا به وانما تنتقص لذته بتقدير العدم والنقصان فان السرور لا يتم بما يزول أو يخشى زواله (والاول) له البهاء الاكمل والجمال الأتم اذ كل كمال هو ممكن له فهو حاصل له وهو مدرك لذلك الكمال مع الأمن من امكان النقصان والزوال والكمال الحاصل له فوق كل كمال فحبه وعشقه لذلك الكمال فوق كل احباب والتذاذه به فوق كل التذاذ بل لا نسبة للذاتنا اليها البتة بل هى أجل من أن يعبر عنها باللذة والسرور والطيبة الا أن تلك المعانى ليس لها عبارات عندنا ولا بد من الابعاد فى الاستعارة كما نستعير له لفظ المريد والمختار والفاعل مع القطع ببعد ارادته عن ارادتنا وبعد قدرته وعلمه عن قدرتنا وعلمنا ولا بعد أن يستبشع عبارة اللذة فيستعمل غيرها والمقصود ان حالته أشرف من أحوال الملائكة وأحرى بان يكون مغبوطا وحالة الملائكة أشرف من أحوالنا ولو لم تكن لذة الا فى شهوة البطن والفرج لكان حال الحمار والخنزير أشرف من حال الملائكة وليس لها لذة أى للمبادى من الملائكة المجردة عن المادة الا السرور بالشعور بما خصت به من الكمال والجمال الذى لا يخشى زواله ولكن الذى للاول فوق

(الرابع) من وجوه استدلالهم على قدم العالم هو ان كل حادث مسبوق بالمادة فلو لم تكن المادة قديمة لكان كل مادة مسبوقة بأخرى لا الى نهاية ولزم التسلسل في المواد المترتبة المجتمعة في الوجود وذلك باطل بالبرهان والاتفاق قالوا ثبت لنا بهذا المقدار ان لنا قديما سوى الله تعالى وان شئنا اثبات قدم الاجسام قلنا المادة الاولى القديمة التي هي المسماة بالهيولى لا تخلو عن الصورة الجسمية والنوعية فتكونان أيضا قديمتين فيلزم قدم الجسم لان الجسم عبارة عما تركب من هذه الثلاثة واذا كان جميع الاجزاء المادية والصورية للشيء قديما كان ذلك الشيء قديما بالضرورة وهذا الاستدلال موقوف على اثبات الهيولى والصورة وان الهيولى لا تخلو عن الصورة واثبات ان كل حادث مسبوق بالمادة ولنذكر ما عولوا عليه في اثبات هذه المقدمات من الادلة وما يتوجه عليها من الايراد والابطال ليظهر بطلان دليلهم * أما الهيولى فزبدة ما احتجوا به على وجودها انهم قالوا الجسم البسيط أي الذي لا يتركب من الاجسام المختلفة الطباع كالماء مثلا لا يتركب من أجزاء لا تتجزأ أو ما في حكمها من الجواهر المنقسمة في جهة أو في جهتين فقط لامتناع وجودها في الخارج فهو متصل في حد ذاته فلو كان قائما بذاته وكان حقيقة الجسم عبارة عنه لكان تفريق الجسم الى جسمين اعداما له بالكلية وايجاد آخرين عن كتم العدم وذلك لان الجسم المتصل في حد ذاته اذا طرأ عليه الانفصال وحصل هناك جسمان لا يكون ذلك المتصل الوحداني بالانفصال باقيا بذاته ضرورة ولم يكن هذان القسمان موجودين   الوجود فيه بالفعل والا لكان ذا مفصل بالفعل لا متصلا في حد ذاته فقد عدم ذلك المتصل الواحد بالكلية ووجد متصلان آخران من كتم العدم وهو باطل بالضرورة فتعين ان هنالك شيئا آخر مشتركا بين المتصل الاول وبين هذين المتصلين باقيا بعينه في الحالين لئلا يكون التفريق اعداما بالكلية ويكون هو مع المتصل الواحد متصلا واحدا ومع المنفصلين منفصلا متعددا ولا يكون ذلك الشيء في نفسه واحدا

الذي للملائكة فان وجود الملائكة التي هي العقول المجردة وجود ممكن في ذاته واجب الوجود بغيره وامكان العدم نوع شين ونقص فليس شيء بريئا عن كل شين مطلقا سوى الاول فهو الخير المحض وله البهاء والجمال الاكمل هو معشوق عشقه غيره أو لم يعشقه كما انه عاقل ومعقول عقله غيره أو لم يعقله وكل هذه المعاني راجعة الى ذاته والى ادراكه لذاته وعقله لذاته هو عين ذاته فانه عقل مجرد فيرجع الكل الى معنى واحد فهذا طريق تفهيم مذهبهم فهذه الامور منقسمة الى ما يجوز اعتقاده فنبين انه لا يصلح على أصلهم والى ما لا يصلح اعتقاده فنبين فساده * ولنعد الى المراتب الخمسة في أقسام الكثرة ودعواهم نفيها ولنبين عجزهم عن اقامة الدليل ولنرسم لكل واحد مسئلة على حيالها ﴿مسئلة﴾ اتفقت الفلاسفة على استحالة اثبات العلم والقدرة والارادة للمبدأ الاول كما اتفقت المعتزلة عليه وزعموا ان هذه الاسامي وردت شرعا ويجوز اطلاقها لغة ولكن ترجع الى ذات واحدة كما سبق ولا يجوز اثبات صفة زائدة على ذاته كما يجوز في حقنا ان يكون علمنا وقدرتنا وصفا لنا زائدا على ذاتنا وزعموا ان ذلك يوجب كثرة لان هذه الصفات لو طرأت علينا لكنا نعلم انها زائدة على الذات اذ تجددت ولو قدرت مقارنا للوجود من غير تأخر لما خرج عن كونه زائدا على الذات بالمقارنة وكل شيئين اذا طرأ أحدهما على الآخر وعلم ان هذا ليس ذاك وذاك ليس هذا فلو قدرنا أيضا عقل كونهما شيئين فاذن لا تخرج هذه الصفات بان تكون هذه الصفات مقارنة لذات الاول عن ان تكون أشياء سوى الذات فيوجب ذلك كثرة في واجب الوجود وهو محال فلهذا أجمعوا على نفي الصفات فيقال لهم وبم عرفتم استحالة الكثرة من هذا الوجه وأنتم مخالفون من كافة المسلمين سوى المعتزلة (فما البرهان عليه) فان قول القائل الكثرة محال في واجب الوجود مع كون الذات الموصوفة واحدة يرجع الى انه يستحيل كثرة الصفات وفيه النزاع وليس استحالته معلومة بالضرورة فلا بد من البرهان ولهم مسلكان (الاول) قولهم البرهان عليه ان كل واحد من الصفة والموصوف اذا لم يكن هذا ذاك ولا ذاك هذا فاما ان يستغني كل واحد عن الآخر في وجوده أو يفتقر كل واحد الى الآخر أو يستغني واحد عن الآخر ويحتاج الآخر فان فرض كل واحد مستغنيا فهما واجبا الوجود وهو الاثنينية المطلقة وهو محال واما ان يحتاج كل واحد منهما الى الآخر فلا يكون واحد منهما واجب الوجود اذ معنى واجب الوجود ما قوامه بذاته وهو مستغن من كل وجه عن غيره فما احتاج الى غيره فذلك الغير علته اذ لو رفع ذلك الغير لامتنع وجوده فلا يكون وجوده من ذاته بل من غيره (وان قيل) أحدهما يحتاج دون الآخر فالذي يحتاج معلول والواجب الوجود هو الآخر ومهما كان معلولا افتقر الى سبب فيؤدي الى ان ترتبط ذات واجب الوجود بسبب (والاعتراض على هذا ان يقال) المختار من هذه الاقسام هو القسم الاخير ولكن ابطالكم القسم الاول وهو الاثنينية المطلقة قد بينا انه لا برهان لكم عليه في المسئلة التي قبل هذه وانها لا تتم الا بالبناء على نفي الكثرة في هذه المسئلة وما بعدها فما هو فرع هذه المسئلة كيف تبنى هذه المسئلة عليه ولكن المختار ان يقال الذات في قوامه غير محتاج الى الصفات والصفة محتاجة الى الموصوف كما في حقنا فيبقى قولهم ان المحتاج الى غيره لا يكون واجب الوجود فيقال ان أردت بواجب الوجود انه ليس له علة فاعلية فلم قلت ذلك ولم استحال ان يقال كما ان ذات واجب

ولا متعددا ولا متصلا ولا منفصلا بل هو في ذلك تابع لذلك الجوهر المتصل في ذاته فيكون واحدا بوحدته ومتعددا بتعدده ومتصلا مع
اتصاله منفصلا مع تعدده وانفصال بعضه عن بعض واذا كان ذلك الشيء مع المتصل الواحد متصلا واحدا ومع المتصل المتعدد متصلا
متعددا كان المتصل الواحد والمتعدد مختصا به اختصاص الناعت بالمنعوت فيكون محلا للمتصل الواحد حال الاتصال وللمتصلين حال
الانفصال فيكون جوهرا لامتناع كون العرض محلا للجوهر فهذا الجوهر الذي هو محل للجوهر المتصل في ذاته هو المسمى
بالهيولى الاولى وذلك الجوهر المتصل يسمى صورة جسمية والجسم المطلق مركب منهما (والجواب عنه) بعد تسليم بطلان الجزء الذي لا يتجزأ أن انتفاء الجزء الذي لا يتجزأ وما في حكمه لا يستلزم أن يكون الجسم الذي يدعى كونه بسيطا كالماء متصلا في نفسه بل اللازم أحد الامرين اما كونه متصلا في نفسه كما هو عند الحس فيكون جسما مفردا غير ملتئم من أجسام واما كونه منتهيا في تركبه الى أجسام مفردة فلم لا يجوز أن يكون الجسم الذي نحن بصدده مركبا من أجسام مفردة قابلة للقسمة الوهمية دون الخارجية فلا يثبت وجود الهيولى (لا يقال) القسمة الوهمية في كل جزء من تلك الاجزاء القابلة للانقسام الوهمي تحدث اثنينية يكون طباع كل منهما موافقا لطباع الآخر وطباع سائر الاجزاء المنفصلة بالفعل لان الكلام في الجسم البسيط فتكون متشاركة اياه في الامتناع عن قبول
الانفصال الخارجي أو في جوازه لان ذلك حكم الامور المتحدة بالماهية
والاول باطل قطعا فتعين الثاني فكل واحد من تلك الاجسام الصغار قابل للقسمة الانفكاكية وبه يحصل المطلوب الذي هو اثبات
الهيولى (لانا نقول) لا نسلم توافق الاجزاء في الماهية لجواز ان تكون متخالفة في الماهية بحيث لا يوجد فيها جزآن متوافقان في الماهية
النوعية واستبعاد تركب الماء المتشابه الاجزاء في الحس من أجزاء مختلفة الحقائق باسرها مما لا يجدي في امثال هذه المقامات

الوجود قديم لا فاعل له فكذلك صفته قديمة معه ولا فاعل لها وان أردت بواجب الوجود أن لا يكون له علة
قابلية فهو ليس بواجب الوجود على هذا التأويل ولكنه مع هذا قديم لا فاعل له فما المحيل لذلك (فان
قيل) واجب الوجود المطلق هو الذي ليس له علة فاعلية ولا قابلية فاذا سلم ان له علة قابلية فقد سلم كونه
معلولا (قلنا) تسمية الذات القابلة علة قابلية من اصطلاحكم والدليل لم يدل على ثبوت واجب الوجود
بحكم اصطلاحكم وانما دل على اثبات طرف ينقطع به تسلسل العلل والمعلولات ولم يدل الا على هذا
القدر وقطع التسلسل (قلنا) وقطع التسلسل ممكن بواحد له صفات قديمة لا فاعل لها كما لا فاعل لذاته
ولكنها تكون مقررة في ذاته فلنطرح لفظ واجب الوجود فانه ممكن التلبيس فيه فان البرهان لم يدل
الا على قطع التسلسل ولم يدل على غيره البتة فدعوى غيره تحكم (فان قيل) كما يجب قطع التسلسل في
العلة الفاعلية يجب قطعها في القابلية اذ لو افتقر كل موجود الى محل يقوم فيه وافتقر المحل أيضا للزم
التسلسل كما لو افتقر كل موجود الى علة وافتقرت العلة أيضا الى علة (قلنا) صدقتم فلا جرم قطعنا هذا
التسلسل أيضا وقلنا ان الصفة في ذاته وليس ذاته قائما بغيره كما ان علمنا في ذاتنا وذاتنا محل له وليس ذاتنا
في محل فالصفة انقطع تسلسل علتها الفاعلية مع الذات اذ لا فاعل لها كما لا فاعل للذات بل لم تزل الذات
بهذه الصفة موجودة بلا علة لها ولا لصفتها (وأما العلة القابلية) فلم ينقطع تسلسلها الا على الذات ومن
أين يلزم أن ينتفي المحل حتى تنتفي العلة والبرهان ليس يضطر الا الى قطع التسلسل فكل طريق أمكن
قطع التسلسل به فهو وفاء بقضية البرهان الداعي الى واجب الوجود وان أريد بواجب الوجود شيء
سوى موجود ليس له علة فاعلية حتى ينقطع به التسلسل فلا نسلم ان ذلك واجب أصلا ومهما اتسع
العقل لقبول موجود قديم لا علة لوجوده اتسع لقبول قديم موصوف لا علة لوجوده في ذاته وفي صفاته
جميعا (المسلك الثاني) قولهم ان العلم والقدرة فينا ليسا داخلين في ماهية ذاتنا بل كانا عارضين واذا
ثبتت هذه الصفات للاول لم تكن أيضا داخلة في ماهية ذاته بل هي عارضة بالاضافة اليه وان كان دائما
له ورب عارض لا يفارق أو يكون لازما لماهيته ولا يصير بذلك مقوما لذاته واذا كان عارضا كان تابعا
للذات وكان الذات سببا فيه وكان معلولا فكيف يكون واجب الوجود وهذا هو الاول مع تغيير عبارته
(فنقول) ان عنيتم بكونه تابعا للذات وكون الذات سببا له ان الذات علة فاعلية له وانه مفعول للذات
فليس كذلك فان ذلك لم يلزم في علمنا بالاضافة الى ذاتنا اذ ذاتنا ليست بعلة فاعلية لعلمنا (وان عنيتم)
ان الذات محل وان الصفة لا تقوم بنفسها في غير محل فهذا مسلم فلم يمتنع هذا وبان يعبر عنه بالتابع أو
العارض أو المعلول أو ما أراده المعبر لم يتغير المعنى اذا لم يكن المعنى سوى انه قائم بالذات قيام الصفات
بالموصوفات ولم يستحل أن يكون قائما في ذات وهو مع ذلك قديم ولا فاعل له فكل ادلتهم تهويل بتقبيح
العبارة بتسميته ممكنا وجائزا وتابعا ولازما ومعلولا وان ذلك مستنكر فيقال له ان أريد بذلك ان له
فاعلا فليس كذلك وان لم يرد به الا انه لا فاعل له ولكن له محل هو قائم فيه فليعبر عن هذا المعنى بأي
عبارة أريد فلا استحالة فيه وربما هولوا بتقبيح العبارة من وجه آخر فقالوا هذا يؤدي الى أن يكون
الاول محتاجا الى هذه الصفات فلا يكون غنيا مطلقا اذ الغني المطلق من لا يحتاج الى غير ذاته وهذا
كلام لفظي في غاية الركاكة فان صفات الكمال لا تباين ذات الكامل حتى يقال انه يحتاج الى غيره فاذا

كان لم يزل ولا يزال كاملا بالعلم والقدرة والحياة فكيف يكون محتاجا فكيف يجوز أن يعبر عن ملازمة الكمال بالحاجة وهو كقول القائل الكامل من لا يحتاج الى كمال فالمحتاج الى وجود صفات الكمال لذاته ناقص فيقال لا معنى لكونه كاملا الا وجود الكمال لذاته وكذلك لا معنى لكونه غنيا الا وجود الصفات المنافية للحاجات لذاته فكيف تنكر صفات الكمال التي بها تتم الالهية بمثل هذه التخييلات اللفظية (فان قيل) اذا أثبتم ذاتا وصفة وحلولا للصفة بالذات فهو تركيب وكل تركيب يحتاج الى مركب ولذلك لم يجز أن يكون الاول جسما لانه مركب (قلنا) قول القائل كل تركيب يحتاج الى مركب كقوله كل موجود يحتاج الى موجد فيقال له الاول موجود قديم لا علة له ولا موجد له وكذلك يقال هو موصوف قديم ولا علة لذاته ولا لصفته ولا لقيام صفته بذاته بل هو قديم بلا علة (واما الجسم) فانما لم يجز ان يكون هو الاول لانه حادث من حيث انه لا يخلو عن الحوادث (ومن لم يثبت له حدوث الجسم) يلزمه أن يجوز أن تكون العلة الاولى جسما كما تستلزمه علكم من بعد وكل مسالكهم فى هذه المسئلة تخييلات ثم انهم لا يقدرون على رد جميع ما يثبتونه الى نفس الذات فانهم اثبتوا كونه عالما ويلزمهم ان يكون ذلك زائدا على مجرد الوجود فيقال لهم تسلمون ان الاول يعلم غير ذاته فمنهم من يسلم ذلك ومنهم من قال لا يعلم الا ذاته (فاما الاول) فهو الذى ذكره ابن سينا فانه زعم انه يعلم الاشياء كلها بنوع كلى لا يدخل تحت الزمان ولا يعلم الجزئيات التى يوجب تجدد الاحاطة بها تغيرا فى ذات العالم (فنقول) علم الاول بوجود كل الانواع والاجناس التى لا نهاية لها عين علمه بنفسه أو غيره (فان قلتم) انه غيره فقد اثبتم كثرة ونقضتم القاعدة (وان قلتم) انه عينه لم تتميزوا عمن يدعى ان علم الانسان بغيره عين علمه بنفسه وعين ذاته ومن قال ذلك سفه فى عقله وقيل حد الشئ الواحد ان يستحيل فى الوهم الجمع فيه بين النفى والاثبات والعلم بالشئ الواحد لما كان شيأ واحدا استحال ان يتوهم فى حالة واحدة موجودا ومعدوما ولما لم يستحل فى الوهم ان يقدر علم الانسان بنفسه دون علمه بغيره قيل ان علمه بغيره غير علمه بنفسه اذ لو كان هو لكان نفيه نفيا له واثباته اثباتا له اذ يستحيل ان يكون زيد موجودا وزيد معدوما أعنى هو بعينه فى حالة واحدة ولا يستحيل مثل ذلك فى العلم بالغير مع العلم بنفسه وكذا فى علم الاول بذاته مع علمه بغيره اذ يمكن أن يتوهم وجود أحدهما دون الآخر فهما اذن شيآن ولا يمكن ان يتوهم وجود ذاته دون وجود ذاته فلو كان الكل كذلك لكان هذا التوهم محالا فكل من اعترف من الفلاسفة بان الاول يعرف غير ذاته فقد اثبت كثرة لا محالة (فان قيل) هو لا يعلم الغير بالقصد الاول بل يعلم ذاته مبدأ للكل فيلزمه العلم بالكل بالقصد الثانى اذ لا يمكن ان يعلم ذاته الا مبدأ فانه حقيقة ذاته ولا يمكن ان يعلم ذاته مبدأ لغيره الا ويدخل الغير فى علمه بطريق التضمن واللزوم ولا يبعد ان تكون لذاته لوازم وذلك لا يوجب كثرة فى ماهية الذات وانما يمتنع أن يكون فى نفس الذات كثرة (والجواب) من وجوه (الاول) ان قولكم انه يعلم ذاته مبدأ تحكم بل ينبغى أن يعلم وجود ذاته فقط وأما العلم بكونه مبدأ فيزيد على العلم بالوجود لان المبدئية اضافة للذات ويجوز أن يعلم الذات ولا يعلم اضافته ولو لم تكن المبدئية اضافية لتكثرت ذاته وكان له وجود ومبدئية وهما شيئان وكما يجوز أن يعرف الانسان ذاته ولا يعلم كونه معلولا الى أن يعلم لان كونه معلولا اضافة له الى علته وكذلك كونه علة اضافة له الى معلوله فالالزام قائم فى مجرد قولهم انه يعلم كونه مبدأ اذ فيه

ثم لو سلمنا ان انتفاء الجزء الذى لا يتجزأ وما فى حكمه يستلزم ان يكون الجسم الذى يدعى كونه بسيطا كالماء مثلا متصلا واحدا فلا نسلم أن ذلك الامر الممتد اذا كان قائما بذاته يلزم ان يكون تفريق الجسم اعداما له بالكلية وايجادا لجسمين آخرين عن كتم العدم (قوله) لان الجسم المتصل فى حد ذاته اذا طرأ عليه الانفصال وحصل هناك جسمان لا يكون ذلك المتصل الوحدانى بلا مفصل باقيا بذاته ولم يكن هذان القسمان موجودين فيه بالفعل ان أريد به ان المتصل الوحدانى غير باق مع صفة الوحدة والاتصال وان القسمين لم يكونا حاصلين مع صفة التعدد والانقسام فمسلم ولا يجدى نفعا وان أريد أن الذات المعروضة للاتصال أولا لم تبق حال الانفصال والذات المعروضة للانفصال لم تكن حاصلا فممنوع ودعوى الضرورة فيما خالف فيه جم غفير من العقلاء غير مسموعة بل هو من قبيل اشتباه العارض بالمعروض ثم ان سلمنا ذلك لكن لا نسلم انه لا يجوز ان يكون التفريق اعداما للجسم وايجادا لجسمين آخرين عن كتم العدم ودعوى الضرورة ممنوعة كيف وقد ذهب اليه جمع من أساطين القدماء كافلاطون وغيره وأما ان الهيولى لا تخلو عن الصورة فالحجة التى اعتمد عليها أبو على هو انه لو وجدت الهيولى بدون الصورة لكانت حال كونها مجردة عن الصورة اما ذات وضع أى مشار اليها بالاشارة الحسية أو لا فان كان الاول يلزم أن تكون الهيولى جسما أى صورة جسمية لانها الجسم فى بادئ الرأى لامتناع الجوهر الفرد وما فى حكمه وان كان الثانى ولا شك أنها قابلة للصورة الجسمية اذ الكلام فى هيولى الاجسام فاذا حصلت فيها الصورة الجسمية فاما ان تحصل فى جميع الاحياز أو لا تحصل فى شئ منها أو تحصل فى بعضها دون بعض والاولان باطلان لان الهيولى المنضمة الى الجسمية الحالة فيها جسم وكل جسم لا بد له من حيز ولا يمكن أن يكون جسم واحد فى زمان واحد فى مكانين أو أكثر وكذا الاخير أيضا باطل لان الهيولى على ذلك التقدير نسبتها الى جميع

علم

الاحياز على السوية وكذا نسبة الصورة الجسمية فانها تقتضى تحيزا مطلقا لا معينا فحصولها فى بعض الأحياز دون بعض تخصيص بلا مخصص (لا يقال) يجوز أن يكون هناك صورة نوعية تحصل فى الهيولى مع حلول الصورة الجسمية فيها فتخصصها بحيز معين (لانا نقول) الكلام فى المواضع الجزئية كمواضع أجزاء الارض فان كل جزء منها انما هو فى موضع جزئى والصورة النوعية وان عينت موضعا كليا الا أن نسبتها الى جميع أجزاء ذلك الموضع الكلى على السوية فحصولها فى بعضها دون بعض تخصيص بلا مخصص (والجواب) انا نختار انها غير مشار اليها بالاشارة الحسية (قوله) فاذا حصلت فيها الصورة فاما ان تحصل فى جميع الاحياز أولا تحصل فى شئ منها أو تحصل فى البعض دون البعض (قلنا) نختار الاول ولا نسلم لزوم كون الجسم الواحد فى زمان واحد فى مكانين أو أكثر لجواز ان تكون الهيولى الخالية عن جميع الصور هيولى جميع الاجسام وليس قبل ثبوت الجسمية الممتدة فى الاقطار أحياز متعددة حتى يقال ان حصولها فى بعضها دون بعض تخصيص بلا مخصص بل حصول الاحياز مع حصول الابعاد فيجوز ان يحصل جميع الابعاد مع هيولاتها معا فيحصل جميع الاجسام فى جميع الاحياز وتخصيص الانواع لاحيازها المعينة بسبب صورة نوعية لحقها مع الصور الجسمية وخصصها باحيازها المعينة (قوله) الكلام فى المواضع الجزئية لا يفيد شيأ لانه ان أراد ان المطلوب أمر يخصص كل واحد من الاجزاء المفروضة للعنصر الكلى بواحد واحد من أجزاء حيز الكل (قلنا) تلك الاجزاء مفروضة فيه لا موجودة حتى يكون لها حيز ويطلب لاختصاصها باحيازها مخصص وان أراد ان المقصود أمر يخصص الاجزاء الحاصلة بالفعل لاحيازها فذلك يخصص الدليل بهيولى أجزاء العناصر الكلية فاللازم من الدليل حينئذ ان لا يجوز خلو هيولى اجزاء العناصر عن الصورة الجسمية والمدعى هو امتناع الخلو مطلقا ويمكن دفعه أيضا بانه يجوز ان تقارن للهيولى صورة أخرى تخصصها باحد

علم بالذات وبالمعية وهو الاضافة والاضافة غير الذات فالعلم بالاضافة غير العلم بالذات بالدليل الذى ذكرناه وهو انه لا يمكن أن يتوهم العلم بالذات دون العلم بالذات لان الذات واحدة (الوجه الثانى) ان قولهم ان الكل معلوم له بالقصد الثانى كلام غير معقول فانه مهما كان علمه محيطا بغيره كما يحيط بذاته كان له معلومان متغايران وكان له علم بهما وتعدد المعلوم وتغايره يوجب تعدد العلم اذ يعقل أحد المعلومين المنفصل عن الآخر فى الوهم فلا يكون العلم بأحدهما عين العلم بالآخر اذ لو كان العلم بأحدهما عين العلم بالآخر لتعذر تقدير وجود أحدهما دون الآخر وليس ثم آخر مهما كان الكل واحدا فهذا لا يختلف بان يعبر عنه بالقصد الثانى ثم ليت شعرى كيف يقدم على نفى الكثرة من يقول انه لا يعزب عن علمه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض الا أنه يعرف الكل بنوع كلى والكليات المعلومة له لا تتناهى فيكون العلم المتعلق بها مع كثرتها وتغايرها واحدا من كل وجه وقد خالف ابن سينا فى هذا غيره من الفلاسفة الذين ذهبوا الى أنه لا يعلم الا نفسه احترازا عن لزوم الكثرة فكيف شاركهم فى نفى الكثرة ثم باينهم فى اثبات العلم بالغير ولما استحيا أن يقول ان الله تعالى لا يعلم شيأ أصلا فى الدنيا والآخرة وانما يعلم نفسه فقط وأما غيره فيعرفه ويعرف أيضا نفسه وغيره فيكون غيره أشرف منه فى العلم فيترك هذا حياء من هذا المذهب واستنكافا منه ثم لم يستحى من الاصرار على نفى الكثرة من كل وجه وزعم ان علمه بنفسه وبغيره بل وبجميع الاشياء هو ذاته من غير مزيد وهو عين التناقض الذى استحيا منه سائر الفلاسفة لظهور التناقض فيه فى أول النظر فاذن ليس ينفك فريق منهم عن خزى فى مذهبه وهكذا يفعل الله بمن ضل عن سبيله وظن ان الامور الالهية يستولى على كنهها بنظره وتخيله (فان قيل) اذا ثبت انه يعرف نفسه مبدأ على سبيل الاضافة فالعلم بالمضاف واحد اذ من عرف الابن عرفه بمعرفة واحدة وفيه العلم بالاب وبالابوة والبنوة ضمنا فيكثر المعلوم ويتحد العلم فكذلك هو يعلم ذاته مبدأ لغيره فيتحد العلم وان تعدد المعلوم ثم اذا عقل هذا فى معلول واحد واضافته اليه ولم يوجب ذلك كثرة فالزيادة فيما لا يوجب جنسه كثرة لا توجب كثرة وكذلك من يعلم الشئ ويعلم علمه بالشئ فانه يعلمه بذلك العلم وكل علم هو علم بنفسه وبمعلومه فيتعدد المعلوم ويتحد العلم ويدل عليه أيضا انكم ترون معلومات الله تعالى لا نهاية لها وعلمه واحد ولا تصفونه بعلوم لا نهاية لاعدادها فان كان تعدد المعلوم يوجب تعدد ذات العلم فليكن فى ذات الله تعالى علوم لا نهاية لاعدادها وهذا محال (قلنا) مهما كان العلم واحدا من كل وجه لم يتصور تعلقه بمعلومين بل يقتضى ذلك كثرة ما على ما هو وضع الفلاسفة واصطلاحهم فى تقدير الكثرة حتى بالغوا فقالوا لو كان للاول ماهية موصوفة بالوجود لكان ذلك كثرة فلم يعقلوا شيأ واحدا له حقيقة ثم يوصف بالوجود بل زعموا أن الوجود مضاف الى الحقيقة وهو غيره فيقتضى كثرة فعلى هذا الوجه لا يمكن تقدير علم يتعلق بمعلومات كثيرة الا ويلزم فيه نوع كثرة أجل وأبلغ من اللازم فى تقدير وجود مضاف الى ماهية (وأما العلم بالابن وكذا سائر المضافات) ففيه كثرة اذ لا بد من العلم بذات الابن وذات الاب وهما علمان وعلم ثالث وهو الاضافة نعم هذا الثالث مضمن بالعلمين السابقين اذ هما من شرطه وضرورته والا فما لم يعلم المضاف أولا لا تعلم الاضافة فهى علوم متعددة بعضها مشروط بالبعض

المواضع الجزئية أو تتصف الهيولى في حال تجردها بأوصاف متعاقبة يقتضي أحدها تخصصها بأحد المواضع الجزئية بعد حلول الصورة فيها (فإن قيل) الهيولى الموصوفة بتلك الأوصاف إن تخصصت بحيز معين وحصلت فيه فهي غير مجردة وإن لم تتخصص فنسبتها مع الأوصاف إلى جميع المواضع واحدة (قلنا) نختار الشق الثاني ونمنع كون نسبتها مع تلك الأوصاف إلى جميع المواضع واحدة ولم لا يجوز أن يقال تلك الصفات لا تخصص الهيولى بوضع ولا تحصلها في موضع بل تعدها للوضع معين وحصول في موضع معين حتى إذا انتهت السلسلة إلى الصفة الأخيرة تم استعدادها للحصول في موضع معين مع حلول الصورة الجسمية فيها هذا كله إذا جرينا معهم على قانونهم من نفي الفاعل المختار وأما على أصلنا فلا حاجة إلى ما ذكر بل نقول في الجسمية إذا حلت في الهيولى تخصصت بحيز معين بإرادة الفاعل المختار الذي أوجد الجسمية فيها باختياره (وأما) أن كل حادث فهو مسبوق بالمادة فلهم في ذلك طريقان الأول أنهم قالوا كل حادث فهو قبل وجوده ممكن وإلا لزم الانقلاب وليس الإمكان شيئا معقولا بنفسه يكون وجوده لا في موضوع بل هو أمر إضافي يكون للشيء بالقياس إلى وجوده والأمور الإضافية أعراض والأعراض لا توجد إلا في موضوعاتها فلا بد لإمكان الحادث قبل وجود الحادث من محل يقوم به وليس ذلك المحل نفس ذلك الحادث إذ لا يتصور كونه محلا للشيء قبل وجود الحادث ولا أمرا لا تعلق له بالحادث أصلا إذ ما لا تعلق له به أصلا لا يصح كونه محلا لإمكانه قطعا بل أمرا متعلقا به إذا كان منفصلا عنه ومباينا له في الوجود كالفاعل مثلا لأن صفة الشيء لا تقوم بمباينه فتعين أن ذلك المحل أمر متصل به اتصالا تاما حتى يصح قيام إمكانه به وهو المادة (والجواب عنه) أن يقال قولكم كل حادث فهو قبل حدوثه ممكن إن أريد به أنه قبل وجوده في الخارج أو في الذهن متصف بالإمكان ممنوع (قولكم) وإلا لزم الانقلاب (قلنا) إنما يلزم الانقلاب لو كان المحل ثابتا في الجملة ولم يتصف بالإمكان حينئذ يلزم

وكذلك إذا علم الأول ذاته مضافا إلى سائر الأجناس والأنواع بكونه مبدأ لها افتقر إلى أن يعلم ذاته وآحاد الأجناس وأن يعلم إضافة نفسه بالمبدئية إليها وإلا لم يعقل كون الإضافة معلومة له وأما قولهم من علم شيئا علم كونه عالما بذلك بعينه فيكون المعلوم متحدا فإنما علم واحد وليس كذلك بل يعلم كونه عالما بعلم آخر وينتهي إلى علم يغفل عنه ولا يعلمه ولا نقول يتسلسل إلى غير نهاية بل ينقطع على علم متعلق بمعلومه وهو غافل عن وجود العلم لا عن وجود المعلوم كالذي يعلم السواد وهو في حال علمه مستغرق النفس بمعلومه الذي هو سواد وغافل عن علمه بالسواد وليس ملتفتا إليه فإن التفت إليه افتقر إلى علم آخر إلى أن ينقطع التفاته وأما قولهم إن هذا ينقلب عليكم في معلومات الله تعالى فإنها غير متناهية والعلم عندكم واحد فنقول نحن لم نخض في هذا الكتاب خوض الممهدين بل خوض الهادمين المعترضين ولذلك سمينا الكتاب تهافت الفلاسفة لا تمهيد الحق فليس يلزمنا هذا الجواب (فإن قيل) إنما لا يلزمكم مذهب فرقة معينة من الفرق فأما ما ينقلب على كافة الخلق ويستوي الأقدام في إشكاله فلا يجوز لكم إيراده وهذا الإشكال منقلب عليكم ولا محيص لأحد من الفرق عنه (قلنا) بل المقصود تعجيزكم عن دعواكم معرفة حقائق الأمور بالبراهين القطعية وتشكيككم في دعاويكم وإذا ظهر عجزكم ففي الناس من يذهب إلى أن حقائق الأمور الإلهية لا تنال بنظر العقل بل ليس في قوة البشر الاطلاع عليها ولذلك قال صاحب الشرع صلوات الله عليه (تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا في ذات الله) فما إنكاركم على هذه الفرقة المعتقدة صدق الرسول بدليل المعجزة المقتصرة في قضية العقل على إثبات ذات المرسل المحترزة عن النظر في الصفات بنظر العقل المتبعة صاحب الشرع فيما أتى به من صفات الله تعالى المقتفية أثره في إطلاق العالم والمريد والقادر والحي والمنتهية عن إطلاق ما لم يؤذن المعترفة بالعجز عن درك حقيقته وإنما إنكاركم عليهم نسبتهم إلى الجهل بمسالك البراهين ووجه ترتيب المقدمات على أشكال المقاييس ودعواكم أنا قد عرفنا ذلك بمسالك عقلية وقد بان عجزكم وتهافت مسالككم وافتضاحكم في دعوى معرفتكم وهو المقصود من هذا البيان فأين من يدعي أن براهين الإلهيات قاطعة كبراهين الهندسيات (فإن قيل) هذا الإشكال إنما يلزم على ابن سينا حيث زعم أن الأول يعلم غيره فأما المحققون من الفلاسفة فقد اتفقوا على أنه لا يعلم إلا نفسه فيندفع هذا الإشكال (فنقول) ناهيكم خزيا بهذا المذهب ولولا أنه في غاية الركاكة لما استنكف المتأخرون عن نصرته ونحن ننبه على وجه الخزي فيه فإن فيه تفضيل معلوله عليه إذ الملك والإنسان وكل واحد من العقلاء يعرف نفسه ومبدأه ويعرف غيره والأول لا يعرف إلا نفسه فهو ناقص بالإضافة إلى آحاد الناس فضلا عن الملائكة بل البهيمة مع شعورها بنفسها تعرف أمورا أخر سواها ولا شك في أن العلم شرف وأن عدمه نقصان فأين قولهم إنه عاشق ومعشوق لأن له البهاء الأكمل والجمال الأتم وأي جمال لوجود بسيط لا ماهية له ولا حقيقة ولا خبر له بما يجري في العالم ولا بما يلزم ذاته ويصدر منه وأي نقصان في عالم الله يزيد على هذا (وليتعجب العاقل) من طائفة يتعمقون في المعقولات بزعمهم ثم ينتهي آخر نظرهم إلى أن رب الأرباب ومسبب الأسباب لا علم له أصلا بما يجري في العالم وأي فرق بينه وبين الميت إلا في علمه بنفسه وأي كمال في علمه بنفسه مع جهله بغيره وهذا مذهب تغني صورته في الافتضاح عن الإطناب والإيضاح (ثم يقال لهؤلاء) لم تتخلصون عن الكثرة مع اقتحام هذه المخازي أيضا (فأما قول

علمه

اتصافه بالوجوب أو الامتناع لضرورة الحصر وأما اذا لم يكن ثابتا لا في الذهن ولا في الخارج فلا يلزم من عدم اتصافه بالامكان اتصافه
اما بالوجوب أو الامتناع لان ثبوت الوصف للموصوف فرع ثبوت الموصوف في نفسه فاذا لم يكن الموصوف ثابتا بوجه من الوجوه
يصح سلب كل واحد من الثلاثة عنه والانحصار فيها بالنسبة الى ما هو ثابت في الجملة (وان أريد) انه عند وجوده في الذهن وقبل
وجوده في الخارج ممكن (قلنا) مسلم ولكن حينئذ امكانه قائم بذلك الموجود في الذهن فان الامكان من الاعتبارات العقلية
التي لا وجود لها في الخارج
والا لزم التسلسل فجاز
قيامها بما هو موجود
في الذهن (لا يقال) اذا لم
يكن الحادث قبل وجوده
في الذهن وفي الخارج
ممكنا لم يكن الامكان
لازما لماهيته (لانا نقول)
معنى كون الامكان لازما
لماهية الممكن هو انه كلما
تحقق الملزوم في الذهن
أو في الخارج كان اللازم
ثابتا له مع امتناع أن
لا يكون ثابتا له لا أنه يكون
ثابتا له سواء كان الملزوم
متحققا أو لا فانه باطل عند
ضرورة العقل ولا يقال
الامكان عبارة عن عدم
اقتضاء الوجود والعدم
وهو أمر سلبي (فقولنا)
الحادث ممكن موجبة
سالبة المحمول ولا اعتبار
لعدم حرف السلب في
اللفظ والموجبة السالبة
المحمول تساوي السالبة في
عدم اقتضاء ثبوت الموضوع
فلو لم يكن الحادث قبل
ثبوته في الخارج أو الذهن
ممكنا لم يكن عدم امكانه ثابتا
لعدم ثبوته في الخارج أو
الذهن لان عدم ثبوته في
شيء منهما لا يقتضي انتفاء
هذا المعنى السلبي عنه كما عرفت بل لا انتفاء هذا المعنى السلبي عنه في نفس الامر فيلزم امتناعه وأيضا حال وجوده وهو باطل (لانا
نقول) لو كان الامكان عبارة عن مجرد ما ذكر من المعنى السلبي لكان الممتنع حال عدم ثبوته في الذهن ممكنا لاتصافه حينئذ بهذا السلب
اذ عند انتفائه عن الذهن لا يوصف باقتضاء العدم لان الاقتضاء وصف ثبوتي يقتضي ثبوت الموصوف في الجملة فيكون متصفا
بعدم اقتضاء العدم ولا خفاء في اتصافه بعدم اقتضاء الوجود أيضا فيكون متصفا بعدم اقتضائهما فيلزم أن يكون ممكنا فاذن الامكان

علمه بذاته عين ذاته أو غيره (فان قلتم) انه غيره فقد جاءت الكثرة (وان قلتم) انه عينه فما الفصل بينكم
وبين قائل ان علم الانسان بذاته عين ذاته وهو حماقة اذ يعقل وجود ذاته في حالة هو فيها غافل عن ذاته ثم
تزول غفلته ويتنبه لذاته فيكون شعوره بذاته غير ذاته لا محالة (وان قلتم) ان الانسان قد يخلو عن العلم
بذاته فيطرأ عليه فيكون غيره لا محالة (فنقول) الغيرية لا تعرف بالطريان والمقارنة فان عين الشيء
لا يجوز أن يطرأ على الشيء وغير الشيء اذا قارن الشيء لم يصر هو هو ولم يخرج عن كونه غيرا فبأن كان
الاول لم يزل عالما بذاته لا يدل على أن علمه بذاته غير ذاته ويتسع الوهم بتقدير الذات ثم طريان الشعور ولو
كان هو الذات بعينه لما تصور هذا الوهم (فان قيل) ذاته عقل وعلم وليس له ذات ثم علم قائم به (قلنا)
الحماقة ظاهرة في هذا الكلام فان العلم صفة وعرض يستدعي موصوفا وقول القائل هو في ذاته عقل
وعلم كقوله هو قدرة وارادة وهو قائم بنفسه ولو قيل به فهو كقول القائل في سواد وبياض انه قائم بنفسه
وفي كمية وتربيع وتثليث انه قائم بنفسه وكذا في كل الاعراض وبالطريق الذي يستحيل ان تقوم صفات
الاجسام بنفسها دون جسم هو غير الصفات بعين ذلك الطريق يعلم أن صفات الاحياء من العلم والحياة
والقدرة والارادة أيضا لا تقوم بنفسها وانما تقوم بذات فالحياة تقوم بذات فيكون حياته بها وكذلك
سائر الصفات فاذن لم يقنعوا بسلب الاول سائر الصفات ولا بسلبه الحقيقة والماهية حتى سلبوه أيضا
القيام بنفسه وردوه الى حقائق الاعراض والصفات التي لا قوام لها بنفسها على انا سنبين بعده هذا
عجزهم عن اقامة الدليل على كونه عالما بنفسه وبغيره في مسئلة مقررة (مسئلة) في ابطال قولهم ان
الاول لا يجوز أن يشارك غيره في جنس ويفارقه بفصل وانه لا يتطرق اليه انقسام في حق العقل بالجنس
والفصل وقد اتفقوا على هذا وبنوا عليه انه اذا لم يشارك غيره بمعنى جنسي انه لم ينفصل عنه بمعنى فصلي
فلم يكن له حد اذ الحد ينتظم من الجنس والفصل وما لا تركيب فيه فلا حد له وهذا نوع من التركيب
وزعموا أن قول القائل انه يساوي المعلول الاول في كونه موجودا وجوهرا وعلة لغيره ويباينه بشيء
آخر لا محالة فليس هذا مشاركة في الجنس بل هو مشاركة في لازم عام وفرق بين الجنس واللازم في الحقيقة
وان لم يفترقا في العموم على ما عرف في المنطق فان الجنس الذاتي هو العام المقول في جواب ما هو ويدخل
في ماهية الشيء المحدود ويكون مقوما لذاته فكون الانسان حيا داخل في ماهية الانسان أعني الحيوانية
وكان جنسا وكونه مولودا ومخلوقا لازم له لا يفارقه قط ولكنه ليس داخلا في الماهية وان كان لازما عاما
ويعرف ذلك في المنطق معرفة لا يتمارى فيها وزعموا أن الوجود لا يدخل قط في ماهية بل هو مضاف الى
الماهية اما لازما لا يفارق كالسماء أو واردا بعد ان لم يكن كالاشياء الحادثة فالمشاركة في الوجود ليست
مشاركة في الجنس وأما مشاركته في كونه علة لغيره كسائر العلل فهي مشاركة في اضافة لازمة لا تدخل
أيضا في الماهية فان المبدئية والوجود لا يقوم واحد منهما الذات بل يلزمان الذات بعد تقوم الذات
باجزاء ماهيته فليس المشاركة فيه الا مشاركة في لازم تبع الذات لزومه لا في جنس ولذلك لا تحد
الاشياء الا بالمقومات فان حدت باللوازم كان ذلك رسما للتمييز لا لتصوير حقيقة الشيء فلا يقال في حد
المثلث انه الذي تساوي زواياه القائمتين وان كان لازما عاما لكل مثلث بل يقال انه شكل يحيط به ثلاثة
أضلاع وكذلك المشاركة في كونه جوهرا فان معنى كونه جوهرا انه موجود لا في موضوع والموجود

ليس هذا المعنى السلبي بل هو قابلية الوجود والعدم نظرا الى ذاته ويكون هذا السلب لازما لهذا المعنى الوجودي نعبر عنه بهذا ثم ان
الشيخ أورد في الشفاء تفصيلا يتوهم انه يندفع به ماذكرنا من الجواب وهو ان الامكان انما هو بالقياس الى الوجود والوجود على ضربين
وجود بالذات كوجود الجسم في نفسه ووجود بالعرض كوجود الجسم الابيض أما الامكان بالقياس الى وجود بالعرض فهو
يكون للشيء بالقياس الى وجود شيء آخر له أو بالقياس الى صيرورته موجودا آخر كما يقال الجسم يمكن أن يوجد أبيض أو
يوجد له البياض أو يقال
الماء يمكن أن يصير هواء
والمادة يمكن أن توجد لها
الصورة وجميع هذه
الامكانات محتاجة الى
موضوع موجود معها
وهو محلها اذ لابد أن يوجد
الشيء حتى يمكن ان يكون
شيأ آخر وأما الامكان
بالقياس الى وجود بالذات
فيكون للشيء بالقياس الى
وجوده في نفسه ولا يخلو
اما ان يوجد ذلك الشيء في
موضوع أو مادة أو مع مادة
كالبياض والصورة
والنفس ولاشك ان هذه
الامكانات أيضا محتاجة
الى موضوع يكون حامل
امكان وجود ذلك الشيء
لان الممكن بهذه الامكانات
كان قبل وجوده ممكنا ان
يوجد لكنه لا يوجد الا
في غيره كالعرض
والصورة أو مع غيره
كالنفس فلما أمكن قبل
حدوثه ان يوجد قائما بغيره
أو مع غيره ولا يتصور
امكان وجوده قائما بغيره
أو مع غيره الا اذا وجد
ذلك الغير فانه لو كان
معدوما لاستحال قيامه به
أو معه فذلك الغير الموجود
مع امكان وجوده بالعرض يكون حامل ذلك الامكان واما ان يكون ذلك الشيء لا
موجودا في موضوع أو مادة أو مع مادة بل يكون قائما بنفسه لا علاقة له بشيء من الموضوع والمادة ومثل هذا الشيء لا يجوز ان يكون
حادثا لانه لو كان حادثا لكان مسبوقا بامكان لا محالة لاستحالة الانقلاب وامكانه لا يمكن ان يتعلق بموضوع دون موضوع اذ لا علاقة له
بشيء فيلزم ان يكون امكانه جوهرا قائما بنفسه وذلك معلوم البطلان لان الجوهر من حيث ماهيته لا يكون مضافا الى الغير والامكان

ليس بجنس فبأن يضاف اليه أمر سلبي وهو انه لا في موضوع فلا يصير جنسا مقوما بل لو أضيف اليه
ايجابه وقيل موجود في موضوع لم يصر جنسا في العرض وهذا الآن من عرف الجوهر بحده الذي هو
كالرسم له وهو انه موجود لا في موضوع فليس يعرف كونه موجودا فضلا عن أن يعرف انه موضوع
أو لا في موضوع بل معنى قولنا في رسم الجوهر انه الموجود لا في موضوع أي انه حقيقة ما اذا وجد
وجد لا في موضوع ولسنا نعني به انه موجود بالفعل حالة التحديد فليس المشاركة فيه مشاركة في الجنس
بل المشاركة في مقومات الماهية هي المشاركة في الجنس المحوج الى تعيين الماهية بعده بالفصل
وليس للاول ماهية سوى الوجود الواجب فالوجود الواجب طبيعة حقيقية وماهية في نفسه هو له لا
لغيره واذا لم يكن وجوب الوجود الا له لم يشاركه غيره فلم ينفصل عنه بفصل نوعي فلم يكن له حد فهذا
تفهيم مذهبهم والكلام عليه من وجهين مطالبة وابطال (أما المطالبة) فهي ان يقال هذا حكاية
المذهب فبم عرفتم استحالة ذلك في حق الاول حتى يبنى عليه نفي الاثنينية اذ قلتم ان الثاني ينبغي ان
يشاركه في شيء ويباينه في شيء والذي فيه ما يشارك به وما يباين به فهو مركب والمركب محال (فنقول) هذا
النوع من التركيب من أين عرفتم استحالته ولا دليل عليه الا قولهم المحكي عنهم في نفي الصفات وهو أن
المركب من الجنس والفصل مجتمع من أجزاء فان كان يصح لواحد من الاجزاء أو الجملة وجود دون الآخر
فهو واجب الوجود دون ما عداه وان كان لا يصح للاجزاء دون المجتمع ولا للمجتمع دون الاجزاء فالكل
معلول محتاج وقد تكلمنا عليه في الصفات وبينا أن ذلك ليس بمحال في قطع تسلسل العلل والبرهان
لم يدل الا على قطع التسلسل فاما العظائم التي اخترعوها في لزوم اتصاف واجب الوجود بها فلم يدل عليها
دليل فان كان واجب الوجود ما وصفوه به وهو أن لا يكون فيه كثرة ولا يحتاج في قوامه الى غيره فلا
دليل اذن على اثبات واجب الوجود وانما الدليل دل على قطع التسلسل فقط وهذا قد فرغنا منه في
الصفات وهو في هذا النوع أظهر فان انقسام الشيء الى الجنس والفصل ليس كانقسام الموصوف الى
ذات وصفة فان الصفة غير الذات والذات غير الصفة والنوع ليس غير الجنس من كل وجه فمهما
ذكرنا النوع فقد ذكرنا الجنس وزيادة واذا ذكرنا الانسان فلم نذكر الا الحيوان مع زيادة نطق فقول
القائل ان الانسانية هل تستغني عن الحيوانية كقوله ان الانسانية هل تستغني عن نفسها اذا انضم
اليها شيء آخر فهذا أبعد عن الكثرة من الصفة والموصوف ومن أي وجه يستحيل أن تقطع تسلسل
المعلولات على علتين احداهما علة السموات والاخرى علة العناصر أو احداهما علة العقول والاخرى
علة الاجسام كلها ويكون بينهما مباينة ومفارقة في المعنى كما بين الحمرة والحرارة في محل واحد فانهما
يتباينان بالمعنى من غير أن نفرض في الحمرة تركيبا جنسيا وفصليا بحيث يقبل الانفصال بل ان كان فيه
كثرة فهو نوع كثرة لا يقدح في وحدة الذات فمن أي وجه يستحيل هذا في العلل وبهذا يتبين عجزهم عن
نفي الهين صانعين (فان قيل) انما يستحيل هذا من حيث ان ما به المباينة بين الذاتين ان كان شرطا في
وجوب الوجود فينبغي ان يوجد لكل واجب وجود فلا يتباينان وان لم يكن هذا شرطا ولا الآخر شرطا
وكل ما لا يشترط في وجوب الوجود فوجوده مستغن عنه ويتم وجوب الوجود بغيره (قلنا) هذا كما
ذكرتموه في الصفات وقد تكلمنا عليه ومنشأ التلبيس في جميع ذلك في لفظ واجب الوجود فليطرح فانا

مضاف ولما تبين ان مثـل ذلك الشئ لا يكون حادثا فهو ان كان موجودا كان دائم الذات وان لم يكن موجودا كان ممتنع الوجود ولا
يخفى عليك أنه اطناب لا فائدة فيـه ورجوع بالآخرة الى أن ما لا يكون موجودا فى موضوع أو مادة أو مع مادة لا يجوز أن يكون حادثا
لكونه ممكنا قبـل وجوده وامتناع قيام امكانه بنفسه وبذلك الحادث قبل وجوده وقد عرفت ما فيه (وأيضا) لقائل أن يقول قوله
وجميع هذه الامكانات محتاجة الى موضوع موجود معها مسلم (قوله اذ لا بد أن يوجد الشئ حتى يمكن أن يكون
شيأ آخر) غير مسـلم ولم
لا يكفى امكان الشئ فى
امكان أن يكون شيأ آخر
وأى حاجـة فى ذلك الى
وجوده وما ذكره الحكيم
المحقق نصير الدين الطوسى
من ان الامكان وان كان
أمرا عقليا لكنـه متعلق
بشئ خارجى فمـن حيث
تعلقه بالشئ الخارجى يدل
عـلى وجود ذلك الشئ فى
الخارج وهو موضوعـه
فيرد عليـه أن الامكان
المتعلـق بالشئ الخارجى
هو امكان وجـود شئ فى
آخر أو مع آخر وأما امكان
وجود الشئ فى نفسه فهو
لا يتعلق بالشئ الخارجى
فجاز أن يكون الحادث شيأ
لا يتعلق بآخر لا بالحلول
فيـه ولا بجعـله آلة
لاستكماله فلا يثبت كونه
مسبوقا بالمادة وان تثبت
عما نقل عن الشيخ من ان
ما لا تعلق له بشئ مـن
الموضوع والمادة لا يكون
حادثا وقـد عرفت ضعفه
(وأيضا) معـنى تعلق
الامكان بالشئ الخارجى
هو تعلق امكان وجود
شئ فى آخر أو مع شئ آخر
بذلك الآخر ولا خفاء فى
ان هـذا التعلق لا يستلزم وجود ذلك الآخر بل يكفيه امكان وجوده فليتأمل (الطريق الثانى) قالوا الممكن أن كان امكانه الذاتى كافيا
فى فيضان وجوده عن واجب الوجود لذاته وحده كامكان العقل الاول أو مع شرط قديم كامكان العقل الثانى مثـلا يدوم بدوام سببه
لان المبـدأ تام فى فاعليته لا قصور فى فيضه ولا بخل هناك وقد فرضنا ان امكانه الذاتى كاف فى فيضان الوجود منه أو منه مع ما لزمه فلو
اختص وجوده بحـين دون حين لزم تخلف المعلول عن علته التامة وان لم يكن كافيا توقف فيضان الوجود عليه من المبدأ القديم على

لا نسلم ان الدليل يدل على واجب الوجود ان لم يكن المراد به موجود الا فاعل له قديم وان كان المراد هذا
فلنترك لفظ واجب الوجود ولنبين ان موجودا لا علة له ولا فاعل يستحيل فيه التعدد والتباين ولا يقوم
دليل فى قولهم ان ذلك هـل هو شرط فى أن لا يكون له علة وهو هوس فان ما لا علة له قد بينا انه لا يعلل
بكونه لا علة له حتى يطلب شرطه اذ هو كقول القائل ان السوادية هل هى شرط فى كون اللون لونا فان
كانت شرطا فلم كانت الحمرة ويقال أما فى حقيقته فلا يشترط واحد منهما أعنى ثبوت حقيقة اللونيـة فى
العقل وأما فى وجوده فالشرط أحدهما لا بعينه أى لا يمكن جنس فى الوجود الا وله فصل فكذلك من
يثبت علتين ويقطع التسلسل لهما فيقول يتباينان بفصول وأحد الفصول شرط الوجود لا محالة ولكن
لا على التعيين (فان قيل) هذا يجوز فى اللون فان له وجودا مضافا الى الماهيـة زائدا على الماهية ولا
يجوز فى واجب الوجود اذ ليس له الا وجوب الوجود وليس ماهية يضاف الوجود اليها وكما أن فصـل
السواد وفصل الحمرة لا يشترط للونية فى كونها لونية انما يشترط فى وجودها الحاصل لعلة فكذلك ينبغى
ان لا يشترط فى الوجود الواجب فان الوجود الواجب للاول كاللونية للون لا كالوجود المضاف الى اللونية
(قلنا) لا نسلم أن له حقيقة موصوفة بالوجود على ما سنبينه فى المسئلة التى بعد هذه وقولهم انه وجود بلا
ماهية خارج عن المعقول ورجع حاصل الكلام الى انهم بنوا نفى التثنيـة على نفى التركيب الجنسى
والفصلى ثم بنوا ذلك على نفى الماهية وراء الوجود فمهما أبطلنا الاخير الذى هو أساس الاساس بطل
عليهم الكل وهو بنيان ضعيف الثبوت قريب من بيت العنكبوت (المسلك الثانى الالزام) وهو ان
نقول ان لم يكن الوجود والجوهرية والمبدئية جنسا لانه ليس مقولا فى جواب ما هو فالاول عندكم عقل
مجرد كما أن سائر العقول التى هى المبادى للوجود المسمى بالملائكة عندهـم التى هى معـلولات للاول
عقول مجردة عن المواد فهـذه الحقيقـة تشمل الاول ومعـلوله الاول فان الموجود الاول أيضا بسـيط
لا تركيب فى ذاته الا من حيث لوازمه وهما مشتركان فى ان كل واحد منهما عقل مجرد عن المادة وهـذه
حقيقة جنسية فليست العقلية المجردة للذات من اللوازم بل هى الماهية وهذه الماهية مشتركة بين الاول
وسائر العقول فان لم تباينها بشئ آخر فقد عقلتم الاثنينية من غير مباينة وان باينتها فما به المباينة غير ما به
المشاركة العقلية والمشاركة فيها مشاركة فى الحقيقة فان الاول عقل نفسه وعقل غيره عند من يرى ذلك
من حيث انه فى ذاته عقل مجرد عن المادة وكذا المعلول الاول وهو العقل الاول الذى أبدعه الله من غير
واسطة مشارك فى هذا المعنى والدليل عليه أن العقول التى هى معلولات أنواع مختلفة وانما اشتركت فى
العقلية وافتراقها بفصول سوى ذلك وكذلك الاول شارك جميعها فى العقلية فهم فيه بين نقض القاعدة
أو المصير الى ان العقلية ليست مقومة للذات وكلاهما محال عندهم ﴿مسئلة﴾ فى ابطال قولهم ان وجود
الاول بسيط أى هو وجود محض ولا ماهية ولا حقيقة يضاف الوجود اليها بل الوجود الواجب له كالماهية
لغيره والكلام عليه من وجهين (الاول) المطالبة بالدليل فنقول بم عرفتم ذلك بالضرورة أو النظر
وليس بضرورى فلا بد من ذكر طريق النظر (فان قيل) انه لو كان له ماهية لكان الوجود مضافا اليها
وتابعا لها ولازما لها والتابع معلول فيكون الوجود الواجب معلولا وهو متناقض فنقول هذا رجوع الى
منبع التلبيس فى اطلاق لفظ الوجود الواجب فانا نقول له حقيقة وماهية وتلك الحقيقة موجودة أى

شرائط حادثة حتى تستعد الماهية لقبول الوجود من واجب الوجود فكان لمثل هذا الممكن امكانان أحدهما الامكان الذاتي اللازم لماهيته والثاني الاستعداد التام الذي يحصل له عند وجود الشرائط وارتفاع الموانع وتلك الشرائط الحادثة لابد أن يكون كل منها مسبوقا بآخر سبقا زمانيا لا الى نهاية اذ لو لم يكن كذلك بل انتهت الى حادث لا يكون مسبوقا بحادث آخر سبقا زمانيا فلا يخلو من ان تكون العلة التامة لذلك الحادث قديمة أو حادثة وعلى الاول لزم انقلاب الحادث قديما وعلى الثاني يكون اللامسبوق بحادث مسبوقا به هذا خلف وبحسب تلك الحوادث تحصل حالات مقربة لذلك الممكن من الوجود متفاوتة بالقرب والبعد وهي الاستعدادات وتلك الاستعدادات المتفاوتة بالقرب والبعد لا تكون معدومة لامتناع التفاوت بالقرب والبعد في المعدوم فهي موجودة ولا يجوز ان تكون قائمة بذلك الممكن لانه لم يوجد بعد بل تكون قائمة بوجود آخر وذلك الوجود اما أن يكون له تعلق بذلك الحادث بان يوجد فيه أو معه أولا (والثاني) ضروري البطلان فتعين الاول وهو المعنى بالمادة (فان قلت) لم لا يجوز أن تكون تلك الحوادث المقربة لذلك الممكن الى الوجود امورا قائمة بنفسها لا تعلق لها بالمحل أصلا ويكون اختصاصها بحادث دون حادث بسبب خصوصيات تلك الحوادث المتعاقبة الى حد معين من حدود تلك السلسلة (قلت) لانه لا يتصور قرب المعدوم من الوجود على مراتب مختلفة غير متناهية حال كونه معدوما الا اذا كان هناك أمر يتعلق وجوده اما بان يوجد فيه أو معه فالاجسام وتوارد عليه حالات غير متناهية مهيئة لوجوده وهي المسماة بالاستعدادات لان القرب بالحقيقة صفة لذلك المحل فان المحل هو الذي يقرب من وجود الحال فيه على تلك المراتب هذا غاية ما قيل في هذا المقام (والجواب) ان ما ذكر بناء على نفي القادر المختار والقول بان المبدأ موجب عام الفيض بالنسبة الى جميع الممكنات فلا يختص ايجاده ببعض دون بعض الا لاختلاف استعدادات القوابل

ليست معدومة منفية ووجودها مضاف اليها وان أحبوا أن يسموه تابعا ولازما فلا مشاحة في الاسامي بعد ان يعرف انه لا فاعل للوجود بل لم يزل هذا الوجود قديما من غير علة فاعلية فان عنوا بالتابع المعلول انه علة فاعلية فليس كذلك وان عنوا به غيره فهو مسلم ولا استحالة فيه اذ الدليل لم يدل الا على قطع تسلسل العلل وقطعه بحقيقة موجودة وماهية ثابتة ممكن فليس يحتاج فيه الى سلب الماهية (فان قيل) فتكون الماهية سببا للوجود الذي هو تابع له فيكون الوجود معلولا ومفعولا (قلنا) الماهية في الاشياء الحادثة لا تكون سببا للوجود فكيف في القديم ان عنوا بالسبب الفاعل له وان عنوا به وجها آخر وهو انه لا يستغني عنه فليكن كذلك فلا استحالة فيه انما الاستحالة في تسلسل العلل فان انقطع فقد اندفعت الاستحالة وما عدا ذلك لم تعرف استحالته فلابد من برهان على استحالته وكل براهينهم تحكمات مبناها على أخذ لفظ واجب الوجود بمعنى أن له لوازم ونسلم ان الدليل قد دل على واجب الوجود بالنعت الذي وصفوه وليس كذلك كما سبق وعلى الجملة دليلهم هذا يرجع الى دليل نفي الصفات ونفي الانقسام الجنسي والفصلي الا انه أغمض وأضعف لان هذه الكثرة لا ترجع الا الى مجرد اللفظ والا فالعقل يتسع لتقدير ماهية واحدة موجودة وهم يقولون كل ماهية موجودة متكثرة اذ فيها ماهية ووجود وهذا غاية الضلال فان الموجود الواحد معقول بكل حال ولا موجود الا وله حقيقة ووجود الحقيقة لا ينفي الوحدة (المسلك الثاني) هو ان يقول وجود بلا ماهية ولا حقيقة غير معقول وكما لا يعقل عدما مرسلا الا بالاضافة الى موجود يقدر عدمه فلا يعقل وجودا مرسلا الا بالاضافة الى حقيقة معينة لا سيما اذا تعين ذاتا واحدة فكيف يتعين واحد متميز عن غيره بالمعنى ولا حقيقة له فان نفي الماهية نفي الحقيقة واذا نفي حقيقة الموجود لم يعقل الوجود فكانهم قالوا وجود ولا موجود وهو متناقض ويدل عليه انه لو كان هذا معقولا لجاز أن يكون في المعلولات وجود لا حقيقة له يشارك الاول في كونه لا حقيقة ولا ماهية له ويباينه في ان له علة والاول لا علة له فلم لا يتصور هذا في المعقولات وهل له سبب الا انه غير معقول في نفسه وكما لا يعقل في نفسه فبأن ينفي علته لا يصير معقولا وما لا يعقل فبأن يقدر له علة لا يخرج عن كونه معقولا والتناهي الى هذا الحد غاية ظلماتهم فقد ظنوا أنهم ينزهون فيما يقولون فانتهى كلامهم الى النفي المجرد فان نفي الماهية نفي للحقيقة ولا يبقى مع نفي الحقيقة الا لفظ الوجود ولا مسمى له أصلا اذا لم يضف الى ماهية (فان قيل) حقيقته انه واجب وهو الماهية (قلنا) ولا معنى للواجب الا نفي العلة وهو سلب لا يتقوم به حقيقة ذات ونفي العلة عن الحقيقة لازم للحقيقة فلتكن الحقيقة معقولة حتى توصف بانها لا علة لها ولا يتصور عدمها اذ لا معنى للواجب الا هذا على ان الوجوب ان زاد على الوجود فقد جاءت الكثرة وان لم يزد فكيف يكون هو الماهية والوجود ليس بماهية فكذا ما لا يزيد عليه (مسئلة) في تعجيزهم عن اقامة الدليل على ان الاول ليس بجسم (فنقول) هذا انما يستقيم لمن يرى ان الجسم حادث من حيث انه لا يخلو عن الحوادث وكل حادث فيفتقر الى محدث واما انتم اذا عقلتم جسما قديما لا أول لوجوده مع انه لا يخلو عن الحوادث فلم يمتنع ان يكون الاول جسما اما الشمس واما الفلك الاقصى واما غيره (فان قيل) لان الجسم لا يكون الا مركبا منقسما الى جزأين بالكمية والى الهيولى والصورة بالقسمة المعنوية والى أوصاف يختص بها لا محالة حتى يباين سائر الاجسام والا

وهو ممنوع بل المبتدأ المختار يفعل ما يشاء بمجرد ارادته من غير سبق استعداد على انا لا نسلم أنه يحصل بحسب تلك الشروط الحادثة حالات موجودة مقربة لذلك الممكن من الوجود بل الحاصل قرب ذلك الممكن من الوجود ولا نسلم أنه موجود في الخارج حتى يحتاج الى محل موجود بل هو أمر اعتباري لا تحقق له في الاعيان ويتصف ذلك الممكن حال عدمه في الخارج اذا وجد في الذهن وأما اذا لم يوجد في الذهن أيضا فحينئذ لا موصوف ولا اتصاف وكون القرب متفاوتا لا يدل على ثبوته في الخارج وكم من معدومات خارجية تتصف بالتفاوت ولا نسلم أيضا أنه لا يتصور قرب المعدوم من الوجود على مراتب مختلفة حال كونه معدوما الا اذا كان هناك أمر يتعلق وجوده به بل المحتاج الى المحل هو قرب المعدوم المتعلق بالمحل وأما ما لا تعلق له بالمحل أصلا فهو حال كونه معدوما في الخارج وفي الذهن لا يتصف بالقرب الى الوجود لان ما لا ثبوت له بوجه امتنع اتصافه بوصف ثبوتي حقيقيا كان أو اعتباريا وأما حال وجوده في الذهن فقربه قائم به من غير تعلق بالمحل أصلا اذ ليس موجودا في الخارج حتى يحتاج الى محل موجود فيه (اذا عرفت هذا) فلنرجع الى ما كنا بصدده وهو الجواب عن استدلالهم الرابع على قدم العالم (فنقول) أولا لا نسلم أن كل حادث مسبوق بالمادة وما ذكر من الطريقين على ثبوته فقد عرفت فساده ولا نسلم أيضا وجود الهيولى وما ذكروا من الدليل عليه فقد تبين ضعفه ولو سلم وجودها فلا نسلم أنها لا تخلو عن الصورة حتى يثبت قدم الجسم وما استدلوا عليه فقد مر أنه غير تام

(الفصل الثالث في ابطال قولهم في أبدية العالم) والادلة الاربعة التي ذكرت في الازلية جارية ههنا أيضا بادنى تغيير وتصرف فيها وكذا الاجوبة ومعتمدهم في هذه المسألة أيضا تلك الشبه (تقريرالاول) ان جميع ما لا بد منه للباري تعالى في ايجاد العالم حاصل له في الازل لما مر فلو عدم العالم لكان اما مع بقاء الذات على ما كان عليه في الازل فيلزم تخلف المعلول عن العلة وهو ظاهر الاستحالة أو بدون

فالاجسام متساوية في انها أجسام وواجب الوجود واحد لا يقبل القسمة بهذه الوجوه (قلنا) وقد أبطلنا هذا عليكم وبينا انه لا دليل لكم عليه سوى ان المجتمع اذا افتقر بعض أجزائه الى البعض كان معلولا وقد تكلمنا عليه وبينا انه اذا لم يبعد تقدير موجود لا موجد له لم يبعد تقدير مركب لا مركب له وتقدير موجودات لا موجد لها اذ نفي العدد والتثنية بنيتموه على نفي التركيب ونفي التركيب على نفي الماهية سوى الوجود وما هو الاساس الاخير فقد استأصلناه وبينا تحكمكم فيه (فان قيل) الجسم ان لم تكن له نفس لا يكون فاعلا وان كان له نفس فنفسه علة فلا يكون الجسم أولا (قلنا) نفسنا ليست علة لوجود جسمنا ولا نفس الفلك بمجردها علة لوجود جسمه عندكم بل هما يوجدان بعلة سواهما فاذا جاز وجودهما قديمين جاز أن لا يكون لهما علة (فان قيل) كيف اتفق اجتماع النفس والجسم (قلنا) هو كقول القائل كيف اتفق وجود الاول فيقال هذا سؤال عن حادث فاما ما لم يزل موجودا فلا يقال كيف اتفق فكذلك الجسم ونفسه اذا لم يزل كل واحد موجودا لم يبعد ان يكون صانعا (فان قيل) لان الجسم من حيث انه جسم لا يخلق غيره والنفس المتعلقة بالجسم لا تفعل الا بواسطة الجسم ولا يكون الجسم واسطة للنفس في خلق الاجسام ولا في ابداع النفوس وأشياء لا تناسب الاجسام (قلنا) ولم لا يجوز أن يكون في النفوس نفس تختص بخاصة تتهيأ بها لان توجد الاجسام وغير الاجسام منها فاستحالة ذلك لا تعرف ضرورة ولا برهان يدل عليه الا أنا لم نشاهده من هذه الاجسام المشاهدة وعدم المشاهدة لا يدل على الاستحالة فقد أضافوا الى الموجود الاول ما لا يضاف الى موجود أصلا ولم نشاهده من غيره وعدم المشاهدة من غيره لا يدل على استحالته منه فكذا في نفس الجسم والجسم (فان قيل) الفلك الاقصى أو الشمس أو ما قدر من الاجسام فهو متقدر بمقدار يجوز ان يزيد عليه وينقص منه فيفتقر اختصاصه بذلك المقدار الجائز الى مخصص يخصصه فلا يكون أولا (قلنا) بم تنكرون على من يقول ان ذلك الجسم يكون على مقدار يجب أن يكون عليه لنظام الكل ولو كان أصغر منه أو أكبر لم يجز كما انكم قلتم المعلول الاول يفيض الجرم الاقصى منه متقدرا بمقدار وسائر المقادير بالنسبة الى ذات المعلول الاول متساوية ولكن تعين بعض المقادير لكون النظام متعلقا به فوجب المقدار الذي وقع ولم يجز خلافه فكذا اذا قدر غير معلول بل لو أثبتوا غيره في المعلول الاول الذي هو علة الجرم الاقصى عندهم مبدأ للتخصيص مثل ارادته مثلا لم ينقطع السؤال اذ يقال ولم أراد هذا المقدار دون غيره كما ألزموه على المسلمين في اضافتهم الاشياء الى الارادة القديمة وقد قلبنا عليهم ذلك في تعيين جهة حركة السماء وفي تعيين نقطتي القطبين فاذا بان انهم مضطرون الى تجويز تمييز الشيء عن مثله في الوقوع بعلة فتجويزه بغير علة كتجويزه بعلة اذ لا فرق بين أن يتوجه السؤال في نفس الشيء فيقال لم اختص بهذا القدر وبين أن يتوجه في العلة فيقال ولم خصصته بهذا القدر عن مثله فان أمكن دفع السؤال عن العلة بان هذا المقدار ليس مثل غيره اذ النظام مرتبط به دون غيره أمكن دفع السؤال عن نفس الشيء ولم يفتقر الى علة وهذا لا مخرج عنه فان هذا المقدار المعين الواقع ان كان مثل الذي لم يقع فالسؤال متوجه انه كيف ميز الشيء عن مثله خصوصا على أصلهم وهم ينكرون الارادة المميزة وان لم يكن مثلا له فلا يثبت الجواز بل يقال وقع كذلك قديما كما وقعت العلة القديمة بزعمهم وليستمد الناظر في هذا الكلام مما أوردناه لهم من توجيه السؤال في الارادة القديمة وقلبناه ذلك

بقائه على ما كان عليه في الازل فيلزم تغيره وهو أيضا مستحيل (وجوابه) ان ما ذكر انما هو على تقدير كون المبدأ موجبا وأما اذا كان مختارا فيجوز أن يقال ان من جملة ما لابد منه في ايجاد العالم تعلق ارادته في الازل بوجوده في الوقت المعين وبعد انقضاء ذلك الوقت لاتبقى علته التامة فينعدم العالم ولا يلزم تغير الواجب لان تغير الوقت الذي هو أمر وهمي لايوجب تغيره (أو يقال) من جملة ما لابد منه في ايجاد العالم هو تعلق ارادته فيما لايزال

بايجاده اما بان يمنع لزوم التسلسل بناء على ان الفاعل بالاختيار اذا اوجد شيأ باختياره لايحتاج في تعلق ارادته الى أمر غير ذاته يرجح ذلك التعلق كما مر تقريره واما بان يلتزم التسلسل في التعلقات ويمنع بطلانه اما لانها أمور اعتبارية أو لانها يجوز ان تكون متعاقبة ثم ينقطع ذلك التعلق فينعدم العالم لزوال علته التامة ولا يلزم من تغير التعلق تغير في ذاته لانه من الاضافة الغير اللازمة كمعيته مع الحادث المعين (وتقرير الثاني) انه لو عدم الزمان بعد وجوده لكان عدمه بعد وجوده بعدية يمتنع أن يجامع معها البعد القبل والبعدية التي كذلك لاتكون الا بالزمان فيكون الزمان موجودا حين ما فرض معدوما هذا خلف واذا كان الزمان لايجوز عليه أن يعدم بعد وجوده وهو مقدار الحركة كانت الحركة أيضا لاتنعدم بعد وجوده فيكون محلها أعني الجسم أيضا لاينعدم وهو المطلوب وجوابه ظاهر مما قدمناه (وتقرير الثالث) ان العالم ممكن الوجود أبدا والا لزم الانقلاب ولو لم يكن أبديا لزم ترك الجود الذي هو افاضة الوجود عليه مع استحقاقه له وذلك لايليق بالجواد المطلق وجوابه ما أسلفناه من منع امتناع ترك الجود (وتقرير الرابع) ان كل ما عدم بعد وجوده فهو ممكن بعد الوجود لاستحالة الانقلاب ولا يجوز قيام امكانه حينئذ بنفسه لانه أمر اضافي ولا بذلك المعدوم لامتناع قيام الموجود بالمعدوم ولا بما لاتعلق له بذلك الممكن ولا بما يتعلق به اذا كان منفصلا عنه مباينا له في الوجود فتعين قيامه بما يتصل به اتصالا تاما وهو المادة وهي مستلزمة

وحاصل

عليهم في نقطة القطب وجهة حركة الفلك وتبين بهذا ان من لا يصدق بحدوث الاجسام فلا يقدر على اقامة دليل على ان الاول ليس بجسم أصلا (مسئلة) في تعجيزهم عن اقامة الدليل على ان للعالم صانعا وعلة (فنقول) من ذهب الى أن كل جسم فهو حادث لانه لايخلو عن الحوادث عقل مذهبهم في قولهم انه يفتقر الى صانع وعلة وأما أنتم فما الذي يمنعكم من مذهب الدهرية وهو ان العالم قديم كذلك ولا علة له ولا صانع وانما العلة للحوادث وليس يحدث في العالم جسم ولا ينعدم جسم وانما تحدث الصور والاعراض فان الاجسام هي السموات وهي قديمة والعناصر الاربعة التي هي حشو فلك القمر وأجسامها وموادها قديمة وانما تتبدل عليها الصور بالامتزاجات والاستحالة وتحدث النفوس الانسانية والنباتية فهذه الحوادث تنتهي عللها الى الحركة الدورية والحركة الدورية قديمة ومصدرها النفس قديمة للفلك فاذن لا علة للعالم ولا صانع لاجسامه بل هو كما هو عليه لم يزل قديما كذلك بلا علة أعني الاجسام فما معنى قولهم ان هذه الاجسام وجودها بعلة وهي قديمة (فان قيل) كل ما لا علة له فهو واجب الوجود وقد ذكرنا من صفات واجب الوجود ما تبين به ان الجسم لا يكون واجب الوجود (قلنا) وقد بينا فساد ما ادعيتموه من صفات واجب الوجود وأن البرهان لايدل الا على قطع السلسلة وقد انقطع عند الدهري في أول الامر اذ يقول لا علة للاجسام وأما الصور والاعراض فبعضها علة للبعض الى أن تنتهي الى الحركة الدورية وهي بعضها سبب للبعض كما هو مذهب الفلاسفة وينقطع تسلسلها بها ومن تأمل ما ذكرناه علم عجز كل من يعتقد قدم الاجسام عن دعوى علة لها ولزمه الدهر والالحاد كما صرح به فريق وهم الذين وفوا بمقتضى نظر هؤلاء (فان قيل) الدليل عليه ان هذه الاجسام اما أن تكون واجبة الوجود وهو محال واما أن تكون ممكنة وكل ممكن مفتقر الى علة (قلنا) لايفهم لفظ واجب الوجود وممكن الوجود فكل تلبيساتهم مخبأة في هاتين اللفظتين فلنعدل الى المفهوم وهو نفي العلة واثباتها فكأنهم يقولون هذه الاجسام لها علة أم لا علة لها فيقول الدهري لا علة لها فما المستنكر اذا عنى بالامكان هذا فنقول انه واجب وليس بممكن وقولهم ان الجسم لايمكن أن يكون واجبا تحكم لا أصل له (فان قيل) لاينكر ان الجسم له أجزاء وان الجملة انما تتقوم بالاجزاء وان الاجزاء تكون سابقة على الذات في الجملة (قلنا) وليكن كذلك فالجملة تقومت بالاجزاء واجتماعها ولا علة للاجزاء ولا لاجتماعها بل هي قديمة كذلك بلا علة فاعلية فلا يمكنهم رد هذا الا بما ذكروه من لزوم نفي الكثرة عن الموجود الاول وقد أبطلناه عليهم ولا سبيل لهم سواه فبان ان من لا يعتقد حدوث الاجسام فلا أصل لاعتقاده في الصانع أصلا (مسئلة) في تعجيز من يرى منهم ان الاول يعلم غيره ويعلم الانواع والاجناس بنوع كلي (فنقول) اما المسلمون لما انحصر عندهم الوجود في حادث وقديم ولم يكن عندهم قديم الا الله وصفاته وكان ما عداه حادثا من جهته بارادته حصلت عندهم مقدمة ضرورية في علمه وان المراد بالضرورة لابد وأن يكون معلوما للمريد فبنوا عليه ان الكل معلوم له لان الكل مراد له وحادث بارادته فلا كائن الا وهو حادث بارادته ولم يبق الا ذاته ومهما ثبت انه مريد عالم بما أراده فهو حي بالضرورة وكل حي يعرف غيره فهو بأن يعرف ذاته أولى فصار الكل عندهم معلوما لله تعالى وعرفوا بهذا الطريق بعد أن بان لهم انه مريد لاحداث العالم فاما أنتم فاذا زعمتم ان العالم قديم لم يحدث بارادته فمن أين عرفتم انه يعرف غير ذاته فلابد من الدليل عليه

للصورة والمركب منهما جسم فيلزم وجود العالم حين مافرض معدوما هذا خلف (وجوابه) ان الامكان أمر اعتبارى لايستدعى محلا موجودا فى الخارج وتحقيقه ماقدمناه دليتذكر (ونقل عنهم) فى هذه المسئلة دليلان آخران (أحدهما) مانسب الى جالينوس وهو أنه قال لو كانت الشمس تقبل الانعدام لكان يلحقها ذبول على طول الزمان ولو كان يلحقها ذبول لظهر فيها فى مدة الارصاد المتوالية التى بينها دهور طويلة فلو كانت الشمس تقبل الانعدام لظهر فيها ذبول فى مدة الارصاد المتوالية التى بينها مدة طويلة والتالى

وحاصل ماذكره ابن سينا فى تحقيق ذلك فى ادراك كلامه يرجع الى فنين (الفن الاول) ان الاول موجود لافى مادة وكل موجود لافى مادة فهو عقل محض وكل ماهو عقل محض فجميع المعقولات مكشوفة له فان المانع عن درك الاشياء كلها التعلق بالمادة والاشتغال بها ونفس الآدمى مشغولة بتدبير المادة أى البدن واذا انقطع شغله بالموت ولم يكن قد تدنس بالشهوات البدنية والصفات الرذيلة المتعدية اليه من الامور الطبيعية انكشفت له حقائق المعقولات كلها ولذلك قضى بان الملائكة كلهم يعرفون جميع المعقولات ولايشذ عنهم شئ لانهم أيضا عقول مجردة لافى مادة فنقول قولكم ان الاول موجود لافى مادة ان كان المعنى به انه ليس بجسم ولا منطبع فى جسم بل هو قائم بنفسه من غير تحيز واختصاص بجهة فهو مسلم فيبقى قولكم وماهذه صفته فهو عقل مجرد فماذا تعنى بالعقل ان عنيت بالعقل انه يعقل سائر الاشياء فهذا نفس المطلوب وموضع النزاع فكيف اخذته فى مقدمات قياس المطلوب وان عنيت به غيره وهو انه يعقل نفسه فربما يسلم لك اخوانك من الفلاسفة ذلك ولكن يرجع حاصله الى أن مايعقل نفسه يعقل غيره فيقال ولم ادعيت هذا وليس بضرورى وقد انفرد به ابن سينا عن سائر الفلاسفة فكيف تدعيه ضروريا وان كان نظريا فما البرهان عليه (فان قيل) لان المانع من درك الاشياء المادة ولا مانع (فنقول) نسلم أنها مانع ولا نسلم انها المانع فقط وينتظم قياسهم على شكل القياس الشرطى وهو أن يقال ان كان هذا فى المادة فهو لايعقل الاشياء ولكنه ليس فى المادة فاذن يعقل الاشياء فهذا استثناء نقيض المقدم واستثناء نقيض المقدم غير منتج بالاتفاق وهو كقول القائل ان كان هذا انسانا فهو حيوان لكنه ليس بانسان فاذن ليس بحيوان فهذا لايلزم اذ ربما لايكون انسانا ويكون فرسا فيكون حيوانا نعم استثناء نقيض المقدم ينتج نقيض التالى على ماذكر فى المنطق بشرط وهو ثبوت انعكاس التالى على المقدم وذلك بالحصر وهو كقولهم ان كانت الشمس طالعة فالنهار موجود لكن الشمس ليست بطالعة فالنهار غير موجود لان وجود النهار لاسبب له سوى طلوع الشمس فكان أحدهما منعكسا على الآخر وبيان هذه الاوضاع والالفاظ يفهم فى كتاب معيار العلم الذى صنفناه مضموما الى هذا الكتاب (فان قيل) فنحن ندعى التعاكس وهو ان المانع محصور فى المادة فلا مانع سواها (قلنا) وهذا تحكم فما الدليل عليه (الفن الثانى) قوله وانا وان لم نقل ان الاول مريد للاحداث وان الكل حادث حدوثا زمانيا فانا نقول انه فعله وقد وجد منه الا انه لم يزل بصفة الفاعلين فلم يزل فاعلا فلا نفارق غيرنا الا فى المقدار وأما فى أصل الفعل فلا واذا وجب كون الفاعل عالما بالاتفاق بفعله فالكل عندنا من فعله (والجواب) من وجهين (أحدهما) ان الفعل قسمان ارادى كفعل الحيوان والانسان وطبيعى كفعل الشمس فى الاضاءة والنار فى التسخين والماء فى التبريد وانما يلزم العلم بالفعل فى الفعل الارادى كما فى الصناعات البشرية فاما الفعل الطبيعى فلا وعندكم أن الله تعالى فعل العالم بطريق اللزوم عن ذاته بالطبع والاضطرار لابطريق الارادة والاختيار بل لزم الكل بذاته كما يلزم النور بالشمس وكما لاقدرة للشمس على كف النور ولا للنار على كف التسخين فلا قدرة للاول على الكف عن افعاله تعالى عن قولهم علوا كبيرا وهذا النمط وان تجوز فى تسميته فعلا فلا يقتضى علما للفاعل أصلا (فان قيل) بين الامرين فرق وهو ان صدور الكل عن ذاته بسبب علمه بالكل فتمثيل النظام الكلى هو سبب فيضان الكلى ولا مبدأ له سوى العلم بالكل والعلم بالكل عين ذاته

باطل فالمقدم مثله أما بطلان التالى فلان الارصاد الدالة على مقدارها منذ آلاف سنين لم تدل الا على هذا المقدار (وجوابه) أن نمنع الشرطية القائلة بانه لو كانت تقبل الانعدام لكان يلحقها ذبول ولم لا يجوز أن ينعدم بعض الاشياء من غير ذبول ولو سلمت فلا نسلم الشرطية القائلة بانه لو لحقها ذبول لظهر فيها فى مدة الارصاد وان كل ما يلحقها ذبول لا يلزم أن يلحقها فى جميع الاوقات لجواز أن يلحقها عند اشرافها على الانعدام والفساد وأما قبل ذلك فتبقى على مقدارها الاول ولو سلم لحوقها فى جميع الاوقات فلم لا يجوز أن يكون الذبول فى القلة بحيث لايدرك فى تلك المدة الطويلة لان مقدارها لم يعرف الا بالتقريب فلا يدرك تفاوت ما نقص بالذبول لقلته (الثانى) والظاهر انه شبهة كلامية لافلسفية كل قائم بنفسه يكون وجوده لافى محل لاينعدم بعد وجوده سواء كان قديما أو حادثا لان كل ما ينعدم بعد الوجود فلابد أن يكون له سبب معدم لان اختصاص عدمه بذلك الوقت المقدر دون ماقبله أو بعده لو وقع لا لمؤثر لكان الممكن واقعا لا لمؤثر وهو ضرورى الاستحالة وذلك السبب لايجوز أن يكون نفسه لان ذاته لو كانت مقتضية لعدمه لوجب أن لا توجد ابتداء لان مايقتضيه ذات الشئ من حيث هو لايمكن مفارقته ولا طرو ضده كما ذهب اليه المعتزلة من ان الفناء ضد للعالم يخلقه تعالى لافى محل فينعدم العالم دفعة وينعدم الفناء المخلوق بنفسه لان الفناء ليس أمرا من شأنه الوجود حتى يقدر خلقه ولو سلم فلم ينعدم بنفسه

من غير عدم ولو كان كذلك لم يوجد ابتداء لاقتضاء ذاته عدمه وأيضا لو خلق في ذات العالم بان يحل فيه كان مجتمعا معه ولو في لحظة فلا يكون ضدا له فلا يفنيه ولو خلق لا في ذات العالم ولا في محل فمن أين يضاد وجوده وجود العالم وأيضا التضاد حاصل من الجانبين وكل واحد منهما قابل للعدم فليس انتفاؤه بذلك الضد أولى من انتفاء ذلك الضد به ولا زوال الشرط لانا ننقل الكلام الى ذلك الشرط الزائل فيكون زواله أيضا بزوال شرطه وهلم جرا فيلزم وجود أمور غير متناهية بعضها شرط لبعض (لا يقال) هذا لا يدفع ما ذهب اليه الاشاعرة من ان الاعراض لا تبقى زمانين ومن جملتها ما هو شرط بقاء الجواهر لا وجودها فاذا لم يخلق الله تعالى ذلك العرض بعد فنائه بنفسه تنعدم الاجسام أيضا لان المشاهدة شاهدة ببقاء الاعراض فانكار بقائها قدح في الضروريات فلا حاجة الى دليل لدفعه ولا ارادة القديم المختار لانه اذا لم يكن مريدا لعدمه ثم صار مريدا فقد تغير ولزم أن لا يكون المبدأ القديم وارادته على نعت واحد في جميع الاحوال ولان الفاعل بالارادة لا بد له من أثر يصدر عنه والعدم نفي محض لا يصلح أثرا له بل ولا لفاعل أصلا (وأجيب) بمنع أن السبب لا يكون نفسه (قوله لان ذاته لو اقتضت عدمه لم يوجد ابتداء) ممنوع لجواز اقتضاء ذاته عدمه في زمان بشرط وجوده في زمان سابق عليه واستحالته ممنوعة ولو سلم ولا نسلم انه لا يجوز طرو ضده (قوله) أولا الفناء ليس أمرا يقدر خلقه (قلنا) المقصود تشبيه ذلك العرض بالفناء في مجرد كونه منافيا للبقاء لا أن ذلك الضد هو نفس الفناء (قوله) ثانيا ولم يعدم بنفسه (قلنا) قد عرفت جوابه وقوله ثالثا لو خلق في ذات العالم كان مجتمعا معه ولو في لحظة فلا يكون ضدا له قلنا ليس المراد بالضد ما هو المصطلح حتى يمتنع الاجتماع ولو في لحظة بل ما ينافي البقاء (وقوله) التضاد حاصل من الجانبين فليس انتفاؤه بذلك الضد أولى من انتفاء الضد به (قلنا) ممنوع لجواز أن يكون انتفاؤه بضده أولى بقرب الضد من السبب وبعده عنه (وفيه نظر) لان كل ممكن

فلو لم يكن له علم بالكل لما وجد منه الكل بخلاف النور من الشمس (قلنا) وفي هذا خالفك اخوانك فانهم قالوا ذاته تعالى ذات يلزم منها الكل على ترتيبه بالطبع والاضطرار لا من حيث انه عالم بها فما المحيل لهذا المذهب مهما وافقتهم على نفي الارادة وكما لم يشترط علم الشمس بالنور للزوم النور بل يتبعها النور ضرورة فلنقدر ذلك في الاول ولا مانع منه (الوجه الثاني) هو انه ان سلم ان صدور الشيء من الفاعل يقتضي العلم أيضا بالصادر فعندهم فعل الله واحد وهو المعلول الاول الذي هو عقل بسيط فينبغي أن لا يكون عالما الا به والمعلول الاول يكون عالما أيضا بما صدر منه فقط فان الكل لم يوجد من الله تعالى دفعة بل بالواسطة والتولد واللزوم فالذي يصدر مما يصدر منه لا ينبغي ان يكون معلوما له ولم يصدر منه الا شيء واحد بل هذا لا يلزم في الفعل الارادي فكيف في الطبيعي فان حركة الحجر من فوق جبل قد تكون بتحريك ارادي يوجب العلم باصل الحركة ولا يوجب العلم بما يتولد منه بواسطته من مصادمته وكسره غيره فهذا أيضا لا جواب له عنه (فان قيل) فلو قضينا بانه لا يعرف الا نفسه لكان ذلك في غاية الشناعة فان غيره يعرف نفسه ويعرف غيره فيكون في الشرف فوقه وكيف يكون المعلول أشرف من العلة (قلنا) فهذه الشناعة لازمة من مقالة الفلاسفة في نفي الارادة ونفي حدوث العالم فيجب ارتكابها كما ارتكب سائر الفلاسفة أو لا بد من ترك الفلسفة والاعتراف بان العالم حادث بالارادة (ثم يقال) بم تنكر على من قال من الفلاسفة ان ذلك ليس بزيادة شرف فان العلم انما احتاج اليه غيره ليستفيد كمالا فانه في ذاته قاصر والانسان يشرف بالمعقولات اما ليطلع على مصالحه في العواقب في الدنيا والآخرة واما لتكميل ذاته المظلمة الناقصة وكذا سائر المخلوقات واما ذات الله فمستغنية عن التكميل بل لو قدر له علم يكمل به لكان ذاته من حيث ذاته ناقصا وهذا كما قلت في السمع والبصر وفي العلم بالجزئيات الداخلة تحت الزمان فانك وافقت سائر الفلاسفة بان الله تعالى منزه عنه وان المتغيرات الداخلة في الزمان المنقسمة الى ما كان ويكون لا يعرفها الاول لان ذلك يوجب تغيرا في ذاته وتأثيرا ولم يكن في سلب ذلك عنه نقصان بل هو كمال وانما النقصان في الحواس والحاجة اليها ولولا نقصان الآدمي لما احتاج الى حواس لتحرسه عما يتعرض للتغير به وكذلك العلم بالحوادث الجزئية زعمتم انه نقصان فاذا كنا نعرف الحوادث كلها وندرك المحسوسات كلها والاول لا يعرف شيئا من الجزئيات ولا يدرك شيئا من المحسوسات ولا يكون ذلك نقصانا فالعلم بالكليات العقلية أيضا يجوز ان يثبت لغيره ولا يثبت له ولا يكون فيه نقصان أيضا وهذا لا مخرج منه

(مسئلة) في تعجيزهم عن اقامة الدليل على ان الاول يعرف ذاته أيضا (فنقول) المسلمون لما عرفوا حدوث العالم بارادته استدلوا بالارادة على العلم ثم بالارادة والعلم جميعا على الحياة ثم بالحياة على ان كل حي يشعر بنفسه وهو حي فيعرف أيضا ذاته فكان هذا منهجا معقولا في غاية المتانة فاما انتم فاذا نفيتم الارادة والاحداث وزعمتم ان ما يصدر منه يصدر باللزوم على سبيل الضرورة والطبع فاي بعد في ان تكون ذاته ذاتا من شأنها أن يوجد منها المعلول الاول فقط ثم يلزم من المعلول الاول المعلول الثاني الى تمام ترتيب الموجودات ولكنه مع ذلك لا يشعر بذاته كالنار يلزم منها السخونة والشمس يلزم منها النور ولا يعرف واحد منهما ذاته كما لا يعرف غيره بل يعرف ذاته ويعرف ما يصدر منه فيعرف غيره وقد بينا من مذهبهم انه لا يعرف غيره وألزمنا من خالفهم في ذلك موافقتهم بحكم وضعهم واذا لم يعرف غيره

موجود لابد له من سبب يقارنه فى الوجود ويدوم بدوامه ويزول بزواله فهما فى مقارنة السبب سواء فلا معنى لتقدم أحدهما من السبب وقرب الآخر منه وان أريد السبب المعد فعدم تأثير قربه وبعده فى قوة السبب وضعفه ضرورى ولو سلم أنه لا يجوز أن يكون السبب طريان الضد فلا نسلم أنه لا يجوز أن يكون زوال الشرط (قوله) لانا ننقل الكلام اليه فيلزم التسلسل (قلنا) ممنوع ولم لا يجوز أن يكون ذلك الشرط الزائل عرضا لا بعينه من أعراض متعددة من الاعراض التي لا تبقى بذاتها كدورات معدودة من الحركات مثلا فيكون كل واحد من تلك الاعراض المتعددة بدلا عن الآخر فيستمر وجود ذلك الشيء باستمرار شرطه مادام تتبادل تلك الاعراض فاذا انتهت الى ما لا بدل عنه كالدورة الاخيرة من تلك الدورات المتعددة فقد زال ما هو الشرط وزال ما هو المشروط به (فان قيل) ما ذكر انما يصح فى الامور التي لا تقوم تلك الحركات بها وأما فيما قامت به تلك الحركة فلا يجوز اشتراطه بها لان الحركة موقوفة فى وجودها على محلها فلو اشترط محلها بها لزم الدور (فهذا الجواب) انما يدفع امتناع العدم عن بعض الامور القائمة بنفسها لا عن جميعها (قلنا) لا نسلم لزوم الدور اذ احتياج تلك الاعراض المتبادلة الى محلها فى وجودها لا فى بقائها العدم بقائها واحتياج محلها اليها فى بقائها لا فى وجودها ثم ان سلمنا بطلان جميع ما ذكر قلنا السبب لعدم ارادة الفاعل المختار (قوله) أولا اذا لم يكن مريدا أولا ثم صار مريدا فقد تغير (قلنا) الارادة واحدة ولها تعلقات متعددة بحسب تعدد المرادات فاللازم تغير فى التعلق لا فى الصفة القديمة ولا استحالة فيه وأيضا يجوز أن تكون الارادة فى الازل متعلقة بوجوده فى وقت وبعدمه فى وقت آخر ولا يلزم التغير أصلا وقوله ثانيا الفاعل بالارادة لا بد له من أثر يصدر عنه والعدم نفى محض لا يصلح أثرا له (قلنا) لا نسلم أن العدم المتجدد لا يصلح أن يكون أثرا للفاعل المختار وانما ذلك فى العدم المستمر وأما العدم الحادث فقد يجوز أن يكون أثرا كما يجوز أن يكون متجددا بعد ما لم يتجدد

لم يعلم ان لا يعرف نفسه (فان قيل) كل من لا يعرف نفسه فهو ميت وكيف يكون الاول ميتا (قلت) فقد لزمكم ذلك على مساق مذهبكم اذ لا فصل بينكم وبين من قال كل من لا يفعل بارادة وقدرة واختيار ولا يسمع ولا يبصر فهو ميت ومن لا يعرف غيره فهو ميت فان جاز ان يكون الاول خاليا عن هذه الصفات كلها فاى حاجة به الى ان يعرف ذاته فان عادوا الى ان كل برىء من المادة عقل بذاته فيعقل نفسه فقد بينا ان ذلك تحكم لا برهان عليه (فان قيل) البرهان عليه ان الموجود ينقسم الى حى والى ميت والحى أقدم وأشرف من الميت والاول أقدم وأشرف فليكن حيا وكل حى يشعر بذاته اذ يستحيل ان يكون فى معلولاته الحى وهو لا يكون حيا (قلنا) هذه طلمات (فانا نقول) لم يستحيل ان يلزم ممن لا يعرف نفسه من يعرف نفسه بالوسائط الكثيرة أو بغير واسطة فان كان المحيل لذلك كون المعلول أشرف من العلة فلم يستحيل ان يكون المعلول أشرف من العلة وليس هذا بديهيا ثم تنكرون ان شرفه فى ان وجود الكل تابع لذاته لا فى علمه (الدليل عليه) أن غيره ربما عرف أشياء سوى ذاته ويرى ويسمع وهو لا يرى ولا يسمع ولو قال قائل الموجود ينقسم الى البصير والاعمى والعالم والجاهل فليكن البصير أقدم وليكن الاول بصيرا وعالما بالاشياء لكنكم تنكرون ذلك وتقولون ليس الشرف فى البصر والعلم بالاشياء بل فى الاستغناء عن البصر والعلم وكون الذات بحيث يوجد منه الكل الذى فيه العلماء وذو والابصار وكذلك لا شرف فى معرفة الذات فى كونه مبدأ الذوات العارفة وهذا شرف مخصوص به فبالضرورة يضطرون الى نفى علمه أيضا بذاته اذ لا يدل على شيء من ذلك سوى الارادة ولا يدل على الارادة سوى حدوث العالم وبفساد ذلك يفسد هذا كله على من يأخذ هذه الامور من نظر العقل فجميع ما ذكروه من صفات الاول أو نفوه لا حجة لهم عليه الا تخمينات وظنون تستنكف الفقهاء منها فى الظنيات ولا غرو لو حار العقل فى الصفات الالهية ولا عجب انما العجب من عجبهم بانفسهم وبأدلتهم ومن اعتقادهم انهم عرفوا هذه الامور بمعرفة يقينية مع ما فيها من الخبط والخبال

﴿مسألة﴾ فى ابطال قولهم ان الله تعالى عن قولهم لا يعلم الجزئيات المنقسمة بانقسام الزمان الى الآن والى ما كان وما يكون وقد اتفقوا على ذلك وان من ذهب منهم الى انه لا يعلم الا نفسه ولا يخفى هذا من مذهبه ومن ذهب منهم الى انه يعلم غيره وهو الذى اختاره ابن سينا فقد زعم انه يعلم الاشياء علما كليا لا يدخل تحت الزمان ولا يختلف بالماضى والمستقبل والآن ومع ذلك زعم انه لا يعزب عن علمه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض الا انه يعلم الجزئيات بنوع كلى ولا بد أولا من فهم مذهبهم ثم الاشتغال بالاعتراض وتبيين هذا المثال وهو ان الشمس مثلا تنكسف بعد ان لم تكن منكسفة ثم تنجلى فيحصل لها ثلاثة أحوال أعنى الكسوف حالة هو فيها معدوم منتظر الوجود أى سيكون وحالة هو فيها موجود أى هو كائن وحالة ثالثة هو فيها معدوم ولكنه كان من قبل (ولنا بازاء هذه الاحوال الثلاثة علوم مختلفة) فانا نعلم أولا ان الكسوف معدوم وسيكون وثانيا أنه كائن وثالثا انه كان وليس كائنا الآن وهذه العلوم الثلاثة متعددة ومختلفة وتعاقبها على المحل يوجب تغير الذات العالمة فانه لو علم بعد الانجلاء ان الكسوف موجود الآن كان جهلا لا علما ولو علم عند وجوده انه معدوم كان جاهلا فبعض هذه لا يقوم مقام بعض فزعموا ان الله تعالى لا يختلف حاله فى هذه الاحوال الثلاثة فانه يؤدى الى التغير وما لم تختلف حاله لم يتصور أن يعلم هذه الامور الثلاثة

وأيضا فمعنى استناد العدم الى ارادة القادر هو أنه لم تتعلق ارادته بالوجود فلم يحصل الوجود لا أنه أراد العدم ففعله هذا ثم ان هذا الدليل منقوض بالاعراض والصور الحالة فى المواد فانها تنعدم اتفاقا مع جريان الدليل فيها (لا يقال) لا انعدام هناك أصلا بل يطرأ أضدادها على محالها (لانا نقول) لاشك انها قبل طريان اضدادها موجودة فى محالها فعند طريان اضدادها ان بقيت على ما كانت عليه من الوجود يلزم اجتماع الضدين والا يلزم انعدامها وأيضا من الاعراض ما لا ضد له كالحركة فانها لا ضد لها بل التقابل بينها وبين السكون عندهم من تقابل العدم والملكة فلا يصح العذر المذكور فيها

﴿الفصل الرابع فى ابطال قولهم الواحد الحقيقى لا يصدر عنه الا الواحد﴾

قالوا الفاعل اذا كان واحدا فى ذاته ولم تكن له صفة حقيقية ولا اعتبارية ولم يكن فعله بآلة ولا بشرط وهو المعنى بالواحد من جميع الوجوه لا يجوز أن يصدر عنه أكثر من واحد وزبدة ما احتجوا عليه هو ان العلة الموجدة للمعلول يجب أن تكون موجودة قبل المعلول قبلية بالذات ويجب أن تكون لها خصوصية مع معلولها المعين ليست مع غيره اذ لولاها لم يكن اقتضاؤها لهذا المعلول أولى من اقتضائها لما عداه فلا يتصور صدوره عنها فاذا كانت العلة الموحدة ذاتا بسيطة لا تكثر فيها بوجه من الوجوه فلا شك أن تلك الخصوصية انما تكون بحسب الذات لان المفروض ان لا مدخل فى العلية لغير الذات البسيطة التى لا تكثر فيها بوجه من الوجوه فاذا فرض لها معلول آخر كانت العلة بحسب ذاتها واحد خصوصية معه ليست مع غيره أصلا والا لا يمكن أن يكون لها معلول آخر والا لزم أن تكون خصوصيتها بحسب ذاتها مع الثانى أيضا ولا يكون لها مع شئ من المعلولين خصوصية ليست لها مع غيره ولا تكون علة لشئ منهما هذا خلف (لا يقال) يجوز أن تكون خصوصيتها مع المعلول الاول بحسب ذاتها غير خصوصيتها مع المعلول الثانى بحسبها فيكون لها مع كل من المعلولين خصوصية ليست لها مع

والعلم يتبع المعلوم فاذا تغير المعلوم تغير العلم واذا تغير العلم فقد تغير العالم لا محالة والتغير على الله تعالى محال ومع هذا زعم انه يعلم الكسوف وجميع صفاته وعوارضه ولكن علما هو يتصف به فى الازل والابد ولا يختلف مثل ان يعلم مثلا ان الشمس موجودة وان القمر موجود وانهما حصلا منه بواسطة الملائكة التى سموها باصطلاحهم عقولا مجردة ويعلم انهما يتحركان حركات دورية ويعلم أن بين فلكيهما تقاطعا على نقطتين هما الرأس والذنب وانهما يجتمعان فى بعض الاحوال فى العقدتين فتنكسف الشمس أى يحول جرم القمر بينها وبين أعين الناظرين فتستتر الشمس عن الاعين وانه اذا جاوز العقدة مثلا بمقدار كذا وهو سنة مثلا فانها تنكسف مرة أخرى وان ذلك الانكساف يكون فى جميعها أو ثلثها أو نصفها وانها تمكث ساعة أو ساعتين وهكذا الى جميع أحوال الكسوف وعوارضه فلا يعزب عن علمه شئ ولكن علمه بهذا قبل الكسوف وحالة الكسوف وبعد الانجلاء على وتيرة واحدة لا يختلف ولا يوجب تغيرا فى ذاته وكذا علمه بجميع الحوادث فانها انما تحدث باسباب وتلك الاسباب لها أسباب أخر الى ان تنتهى الى الحركة الدورية السماوية وسبب الحركة الدورية نفس السموات وسبب تحريك النفس التشوق الى التشبه بالله تعالى والملائكة المقربين فالكل معلوم له أى هو منكشف له انكشافا واحدا متناسبا لا يؤثر فيه الزمان ومع هذا فحالة الكسوف لا يقال انه يعلم ان الكسوف موجود الآن ولا يعلم بعده انه انجلى الآن وكل ما يجب فى تعريفه الاضافة الى الزمان ولا يتصور ان يعلمه لانه يوجب التغير هذا فيما ينقسم بالزمان وكذا مذهبهم فيما ينقسم بالمادة والمكان كاشخاص الناس والحيوانات فانهم يقولون لا يعلم عوارض زيد وعمرو وخالد وانما يعلم الانسان المطلق بعلم كلى ويعلم عوارضه وخواصه وانه ينبغى ان يكون بدنه مركبا من اعضاء بعضها للبطش وبعضها للمشى وبعضها للادراك وبعضها زوج وبعضها فرد وان قواه ينبغى ان تكون مبثوثة فى أجزائه وهلم جرا الى كل صفة فى داخل الآدمى وباطنه وكل ما هو من لواحقه وصفاته ولوازمه حتى لا يعزب عن علمه شئ ويعلمه كليا فاما شخص زيد فانما يتميز عن شخص عمرو للحس لا للعقل فان عماد التمييز الاشارة الى جهة معينة والعقل يعقل الجهة المطلقة الكلية والمكان الكلى فاما قولنا هذا وهذا فهو اشارة الى نسبة خاصة لذلك المحسوس الى الحاس بكونه منه على قرب أو بعد أو جهة معينة وذلك يستحيل فى حقه وهذه قاعدة اعتقدوها واستأصلوا بها الشرائع بالكلية اذ مضمونها ان زيدا مثلا لو أطاع الله تعالى أو عصاه لم يكن الله عالما بما يتجدد من أحواله لانه لا يعرف زيدا بعينه فانه شخص وافعاله حادثة بعد ان لم تكن واذا لم يعرف الشخص لم يعرف أحواله وأفعاله بل لا يعلم كفر زيد ولا اسلامه وانما يعلم كفر الانسان واسلامه مطلقا كليا لا مخصوصا بالاشخاص بل يلزم ان يقال تحدى محمد صلى الله عليه وسلم بالنبوة وهو لم يعرف فى تلك الحالة انه تحدى بها وكذلك الحال مع كل نبى معين وانه انما يعلم أن من الناس من يتحدى بالنبوة وان صفة أولئك كذا وكذا فاما النبى المعين بشخصه فلا يعرفه فان ذلك يعرف بالحس والاحوال الصادرة منه لا يعرفها لانها أحوال تنقسم بانقسام الزمان من شخص معين ويوجب ادراكها على اختلافها تغيرا فهذا ما أردنا أن نذكره من نقل مذهبهم أولا ومن تفهيمه ثانيا ثم من القبائح اللازمة عليه ثالثا فلنذكر الآن خيالهم ووجه بطلانه (وخيالهم) ان هذه أحوال ثلاثة مختلفة والمختلفات اذا تعاقبت على محل

الآخر فتكون علة الكل منهما (لانا نقول) لما فرض ذات العلة واحدة من جميع الوجوه لم يتصور أن تكون بحسب ذاتها لها خصوصيتان يترتب عليهما عليتان بل لابد في ذات العلة من تعدد ولو بحسب الاعتبار حتى يتصور تعدد الخصوصية بحسبهما فيها (وجوابه) أنا لا نسلم أنه يجب أن يكون للعلة خصوصية مع معلولها المعين ليست مع غيره بل اللازم أن تكون لها خصوصية مع كل ما هو معلول لها لا تكون تلك الخصوصية لما لا يكون معلولا لها والا لم يكن اقتضاؤها لمعلولها أولى من اقتضائها ما عداه وأما انه يجب أن تكون لها خصوصية مع معلولها المعين لا تكون تلك الخصوصية لغير ذلك المعلول المعين أصلا فلا دلالة عليه وما ذكره من أنه لولاها لم يكن اقتضاؤها لهذا المعلول أولى من اقتضائها ما عداه ان أريد به أنه لولا الخصوصية المختصة بالمعلول المعين لم يكن اقتضاؤها لهذا المعلول أولى من اقتضائها لما عداه مما ليس معلولا لها فلا نسلم الملازمة وانما تتم لو لم يكن لها خصوصية معه أصلا وهو ممنوع لجواز أن لا تكون لها خصوصية مختصة به ومع ذلك يكون لها خصوصية مع أمور متعددة مختصة بها من جملتها ذلك المعلول المعين وبحسبها يكون اقتضاؤها له أولى من اقتضائها لما ليس معلولا لها وبسببها يصدر عنها ذلك المعلول مع سائر معلولاتها دون ما سواها وان أريد به لولا الخصوصية المختصة بالمعلول المعين لم يكن اقتضاؤها لهذا المعلول أولى من اقتضائها لما عداه مما هو معلول لها فالملازمة مسلمة وبطلان التالي ممنوع (فانا نقول) لا أولوية بل كما يقتضي هذا المعلول يقتضي ما سواه مما هو معلول لها فيصدر عنها جميع ما هو معلول لها بحسب تلك الخصوصية (فان قلت) نحن نعلم بالضرورة ان ذات العلة اذا كانت واحدة من جميع الوجوه وكان لها خصوصية واحدة مع أمور متعددة كان نسبتها اليها واحدة ولا يكون لواحد منها من العلة ما ليس للآخر بل بحسب تساويها في جميع ما لها من العلة فلا تكون أشياء متعددة بل شيأ واحدا (قلت) تمايز الحقائق المختلفة بذاتها لا بعوارضها

واحد أو حدث فيه تغير الاستحالة فان كان حالة الكسوف عالما بانه سيكون كما كان قبله فهو جاهل لا عالم وان كان عالما بانه كائن قبل ذلك كان عالما بانه ليس بكائن وانه سيكون فقد اختلف علمه فاختلفت حالته فلزم التغير اذ لا معنى للتغير الا اختلاف العالم فان من لم يعلم شيأ ثم علمه فقد تغير ومن لم يكن له علم بانه كائن ثم حصل حالة الوجود فقد تغير وحققوا هذا بان الاحوال ثلاثة حالة هي اضافة محضة ككونك يمينا وشمالا فان هذا الا يرجع الى وصف ذاتي بل هو اضافة محضة فان تحول الشيء الذي كان على يمينك الى شمالك تغيرت اضافتك ولم تتغير ذاتك بحال وهذا تبدل اضافة على الذات وليس بتبدل الذات ومن هذا القبيل اذا كنت قادرا على تحريك أجسام حاضرة بين يديك فانعدمت الاجسام أو انعدم بعضها لم تتغير قوتك الغريزية ولا قدرتك لان القدرة قدرة على تحريك الجسم المطلق أولا ثم على المعين ثانيا من حيث انه جسم فلم تكن اضافة القدرة الى الجسم المعين وصفا ذاتيا بل اضافة محضة فعدمها يوجب زوال الاضافة لا تغيرا في حال القادر الثالث تغير في الذات وهو ان لا يكون عالما فيعلم أو لا يكون قادرا فيقدر فهذا تغير وتغير المعلوم يوجب تغير العلم فان حقيقة ذات العلم تدخل فيه الاضافة الى المعلوم الخاص اذ حقيقة العلم المعين تعلقه بذلك المعلوم المعين على ما هو عليه فتعلقه به على وجه آخر علم آخر بالضرورة فتعاقبه يوجب اختلاف حال العالم ولا يمكن ان يقال ان للذات علما واحدا فيصير العلم بالكون بعد كونه علما بانه سيكون ثم هو يصير علما بانه كان بعد ان كان علما بانه كائن فالعلم واحد متشابه الاحوال وقد تبدلت عليه الاضافة اذ الاضافة في العلم حقيقة ذات العلم فتبدلها يوجب تبدل ذات العلم يلزم منه التغير وهو محال على الله تعالى (والاعتراض) عليه من وجهين (أحدهما) ان يقال بم تنكرون على من يقول ان الله تعالى له علم واحد بوجود الكسوف مثلا في وقت معين وذلك العلم قبل وجوده علم بانه سيكون وهو بعينه عند الوجود علم بالكون وهو بعينه بعد الانجلاء علم بالانقضاء وان هذه الاختلافات ترجع الى اضافات لا توجب تبدلا في ذات العلم ولا توجب تغيرا في ذات العالم وان ذلك ينزل منزلة الاضافة المحضة فان الشخص الواحد يكون على يمينك ثم يرجع الى قدامك ثم الى شمالك فتتعاقب عليك الاضافات والمتغير ذلك الشخص المتنقل دونك وهكذا ينبغي ان يفهم الحال في علم الله تعالى فانا نسلم انه يعلم الاشياء بعلم واحد في الازل والابد والحال لا يتغير وغرضهم نفي التغير وهو متفق عليه (وقولهم) من ضرورة اثبات العلم بالكون الآن والانقضاء بعده تغير فليس يسلم فمن أين عرفوا ذلك بل لو خلق الله لنا علما بقدوم زيد غدا عند طلوع الشمس وأدام هذا العلم ولم يخلق لنا علما آخر ولا غفلة عن هذا العلم لكنا نعلم عند طلوع الشمس بمجرد العلم السابق بقدومه الآن وبعده بانه قدم من قبل وكان ذلك العلم الواحد الباقي كافيا في الاحاطة بهذه الاحوال الثلاثة فبقي قولهم ان الاضافة الى المعلوم المعين داخلة في حقيقته ومهما اختلفت الاضافة اختلف الشيء الذي الاضافة ذاتية له ومهما حصل الاختلاف والتعاقب فقد حصل التغير فنقول ان صح هذا فاسلكوا مسلك اخوانكم من الفلاسفة حيث قالوا انه لا يعلم الا نفسه وان علمه بذاته عين ذاته لانه لو علم الانسان المطلق والحيوان المطلق والجماد المطلق وهذه مختلفات لا محالة فالاضافات اليها تختلف لا محالة فلا يصلح العلم الواحد لان يكون علما بالمختلفات لان المضاف مختلف فالاضافة مختلفة والاضافة الى المعلوم ذاتية للعلم ويوجب ذلك تعددا واختلافا لا تعددا فقط مع

فهي لا تحتاج في تكثيرها وتمايزها الى العلة بل العارض لها من العلة الوجود وهو أمر واحد وانما يتمايز بتمايز القوابل وتعددها الا من جهة العلة فلا يلزم من تساويها في جميع ما لها من العلة أن لا تكون أشياء متعددة (نعم) تمايز أفراد نوع واحد لا يكون الا بعوارض مختلفة الحقائق والا احتاجت تلك الحقائق في ان تخالف ويتمايز بعضها عن بعض الى عوارض أخرى وهلم جرا فيلزم التسلسل فلو صدر عن الواحد الحقيقي أفراد نوع واحد لم يفض عليها عن علتها الواحدة تلك العوارض المخالفة الحقائق فلا يتميز بعضها

عن بعض فلا تكون متعددة (فان قلت) الحكم بان الواحد لا يصدر عنه الا الواحد بديهي يحتاج فيه الى نوع تنبيه لازالة ما فيها من الخفاء وانما كثرت مدافعة الناس فيه لاغفالهم معنى الوحدة الحقيقية فما ذكر في صورة الاحتجاج ليس الا تنبيها لا تقدح فيه المناقشة (قلت) هذا الحكم قد خالف فيه أهل الملل على كثرتهم وتفاوت طبقاتهم فكيف يسمع فيه دعوى البديهة وقد يجاب عن الاحتجاج المذكور أيضا بان السلوب والاضافات اما أن تخل بالوحدة الحقيقية أولا فان كان الاول بطل ما فرعوا على هذه المسئلة من أن المبدأ الاول لا يصح أن يصدر عنه أمور متعددة لكونه يسلب عنه أشياء كثيرة وتحصل له جهة كثرة بهذا الاعتبار فيصح بها أن يكون مصدرا لامور متعددة وان كان الثاني فيجوز أن يكون للذات البسيطة باعتبار سلب خصوصية مع معلولها المعين لا تكون تلك الخصوصية مع معلولها الآخر وباعتبار سلب آخر خصوصية أخرى مع معلوله المعين الآخر لا تكون يكون

هذه الخصوصية مع المعلول الاول ويصدر عنها باعتبار تينك الخصوصيتين ذانك المعلولان من غير لزوم محذور (لا يقال) لا يجوز أن تكون خصوصية العلة مع معلولها باعتبار أمر عدمي منضم الى تلك العلة والا يلزم أن يكون للعدم دخل في وجود المعلول وهو باطل بالضرورة والاعدام التي يتوهم كونها شروطا كعدم الغيم للقصار في تبييض الثوب مثلا ليست بشروط بل هي كاشفة عن شروط

التماثل اذ المتماثلات ما يسد بعضها مسد البعض والعلم بالحيوان لا يسد مسد العلم بالجماد والعلم بالبياض لا يسد مسد العلم بالسواد فهما مختلفان (ثم هذه الانواع والاجناس والعوارض الكلية لا نهاية لها) وهي مختلفة والعلوم المختلفة تنطوي تحت علم واحد ثم ذلك العلم هو ذات العالم من غير مزيد وليت شعري كيف يستجيز العاقل من نفسه ان يحيل الاتحاد في العلم بالشئ الواحد المنقسمة أحواله الى الماضي والمستقبل والآن وهو لا يحيل الاتحاد في العلم المتعلق بجميع الاجناس والانواع المختلفة والاختلاف والتباعد بين الاجناس والانواع المتباعدة أشد من الاختلاف الواقع بين أحوال الشئ الواحد المنقسم بانقسام الزمان فاذا لم يوجب ذلك تعددا واختلافا كيف يوجب هذا تعددا واختلافا ومهما ثبت بالبرهان ان اختلاف الازمان دون اختلاف الاجناس والانواع وان ذلك لم يوجب التعدد والاختلاف فهذا أيضا لا يوجب الاختلاف واذا لم يوجب الاختلاف جاز الاحاطة بالكل بعلم واحد دائم في الازل والابد ولا يوجب ذلك تغيرا في ذات العالم (الاعتراض الثاني) هو ان يقال وما المانع على أصلكم من أن يعلم هذه الامور الجزئية وان كان يتغير وهلا اعتقدتم ان هذا النوع من التغير لا يستحيل عليه كما ذهب جهم من المعتزلة الى أن علومه بالحوادث حادثة وكما اعتقد الكرامية من عند آخرهم انه محل الحوادث ولم ينكر جماهير أهل الحق عليهم الا من حيث ان التغير لا يخلو عن التغير وما لا يخلو عن التغير والحوادث فهو حادث وليس بقديم وأما أنتم فمذهبكم ان العالم قديم وانه لا يخلو عن التغير واذا عقلتم قديما متغيرا فلا مانع لكم من هذا الاعتقاد (فان قيل) انما أحلنا ذلك لان العلم الحادث في ذاته لا يخلو اما أن يحدث من جهته أو من جهة غيره وباطل ان يحدث منه فانا بينا ان القديم لا يصدر منه حادث ولا يصير فاعلا بعد ان لم يكن فاعلا فانه يوجب تغيرا وقد قررناه في مسئلة حدوث العالم وان حصل ذلك في ذاته من جهة غيره فكيف يكون غيره مؤثرا فيه ومغيرا له حتى تتغير أحواله على سبيل التسخير والاضطرار من جهة غيره (قلنا) كل واحد من القسمين غير محال على أصلكم أما قولكم انه يستحيل ان يصدر من القديم حادث فقد أبطلناه في تلك المسئلة كيف وعندكم يستحيل أن يصدر من القديم حادث هو أول الحوادث فشرط استحالته كونه أولا فهذه الحوادث ليست لها أسباب حادثة الى غير نهاية بل تنتهي الى واسطة الحركة الدورية الى شئ قديم هو نفس الفلك وحياته فالنفس الفلكية قديمة والحركة الدورية تحدث منها وكل جزء من أجزاء الحركة يحدث وينقضي وما بعده متجدد لا محالة فاذن الحوادث صادرة من القديم عندكم ولكن اذا تشابهت أحوال القديم تشابه فيضان الحوادث منه على الدوام كما يتشابه أحوال الحركة لما ان كانت تصدر من قديم متشابه الاحوال فاستبان ان كل فريق منهم معترف بانه يجوز صدور حادث من قديم اذا كانت تصدر على التناسب والدوام فلتكن العلوم الحادثة من هذا القبيل (وأما القسم الثاني) وهو صدور هذا العلم فيه من غيره (فنقول) ولم يستحيل ذلك عندكم وليس فيه الا ثلاثة أمور (أحدها) التغير وقد بينا لزومه على أصلكم (والثاني) كون الغير سببا لتغير المتغير وهو ليس بمحال عندكم فليكن حدوث الشئ سببا لحدوث العلم به كما انكم تقولون تمثل الشخص المتلون بازاء الحدقة الباصرة سبب لانطباع مثل ذلك الشخص في الطبقة الجليدية من الحدقة عند توسط الهواء المشف بين الحدقة والمبصر فاذا جاز ان يكون حدوث الحوادث سببا لانطباع الصورة في الحدقة وهو معنى الابصار فلم يستحيل ان

يكون حدوث الحوادث سببا لحصول علم الاول بها فان القوة الباصرة كما انها مستعدة للادراك ويكون حصول الشخص المتلون مع ارتفاع الحواجز سببا لحصول الادراك فلتكن ذات المبدا الاول عندكم مستعدة لقبول العلم ويخرج من القوة الى الفعل بوجود ذلك الحادث فان كان فيه تغير القديم فالقديم المتغير عندكم مستحيل وان زعمتم ان ذلك يستحيل في واجب الوجود فليس لكم على اثبات واجب الوجود دليل الا قطع سلسلة العلل والمعلولات كما سبق وقد بينا ان قطع التسلسل ممكن بقديم متغير (والامر الثالث) الذي يتضمنه هذا هو كون القديم متغيرا بغيره وان ذلك يوجب التسخير واستيلاء التغير عليه فيقال ولم يستحيل عندكم هذا وهو ان يكون هو سببا لحدوث الحوادث بوسائط ثم يكون حدوث الحوادث سببا لحصول العلم له بها وكانه هو السبب في تحصيل العلم لنفسه ولكن بالوسائط وقولكم ان ذلك يشبه التسخير فليكن كذلك فانه لائق باصلكم اذ زعمتم ان ما يصدر من الله تعالى يصدر على سبيل اللزوم والطبع ولا قدرة له على ان لا يفعل وهذا ايضا يشبه نوعا من التسخير ويشير الى انه كالمضطر فيما يصدر منه (وان قيل) ان ذلك ليس باضطرار لان كماله في ان يكون مصدرا لجميع الاشياء فهذا ليس بتسخير فان كماله في ان يعلم جميع الاشياء ولو حصل لنا علم مقارن لكل حادث لكان ذلك كمالا لنا لا نقصانا وتسخيرا فليكن كذلك في حقه والله أعلم (مسئلة) في تعجيزهم عن اقامة الدليل على ان السماء حيوان مطيع لله تعالى بحركته الدورية (وقد قالوا) ان السماء حيوان وان له نفسا نسبتها الى بدن السماء كنسبة نفوسنا الى أبداننا وكما أن أبداننا تتحرك بالارادة نحو أغراضنا بتحريك النفس فكذا السموات وان غرض السموات بحركتها الدورية عبادة رب العالمين على وجه سنذكره (ومذهبهم في هذه المسئلة) مما لا ينكر امكانه ولا يدعى استحالته فان الله تعالى قادر على ان يخلق الحياة في كل جسم فلا كبر الجسم يمنع من كونه حيا ولا كونه مستديرا فان الشكل المخصوص ليس شرطا للحياة اذ الحيوانات مع اختلاف أشكالها مشتركة في قبول الحياة ولكنا ندعي عجزهم عن معرفة ذلك بدليل العقل وان هذا ان كان صحيحا فلا يطلع عليه الا الانبياء بالهام من الله أو وحي وقياس العقل ليس يدل عليه نعم لا يبعد ان يتعرف مثل ذلك بدليل ان وجد الدليل وساعد (ولكنا نقول) ما أوردوه دليلا لا يصلح الا لافادة ظن فاما ان يفيد قطعا فلا (وخيالهم فيه) ان قالوا السماء متحركة وهذه مقدمة حسية وكل جسم متحرك فله محرك وهذه مقدمة عقلية اذ لو كان الجسم يتحرك لكونه جسما لكان كل جسم متحركا وكل متحرك فاما ان يكون منبعثا عن ذات المحرك كالطبيعة في حركة الحجر الى أسفل والارادة في حركة الحيوان مع القدرة واما ان يكون المحرك خارجا ولكن يحرك على طريق القسر كرفع الحجر الى فوق وكل ما يتحرك لمعنى في ذاته فاما ان لا يشعر ذلك الشيء بالحركة ونحن نسميه طبيعة كحركة الحجر الى أسفل واما ان يشعر به ونحن نسميه اراديا ونفسانيا فصارت الحركة بهذه التقسيمات الحاصرة الدائرة بين النفي والاثبات اما قسرية واما طبيعية واما ارادية واذا بطل القسمان تعين الثالث ولا يمكن ان يكون قسريا لان المحرك القاسر اما جسم آخر يتحرك بالارادة أو بالقسر وينتهي لا محالة الى ارادة ومهما ثبت في أجسام السموات متحرك بالارادة فقد حصل الغرض فاي فائدة في وضع حركات قسرية وبالآخرة لا بد من الرجوع الى الارادة واما أن يقال يتحرك بالقسر والله تعالى هو المحرك بغير واسطة وهو محال

هي أمور وجودية كوقوع شعاع الشمس على الثوب للقصار (لانا نقول) المعلوم بالبديهة هو أن الفاعل الموجد للشيء لا بد وأن يكون موجودا حتى يفيد الوجود لان كل ما يتوقف عليه وجود شيء لا بد وأن يكون موجودا فان العقل لا ينقبض عن نحو يتوقف تأثير المؤثر على أمر عدمي (فان قلت) نختار الشق الاول وهو ان السلب مخل بالوحدة الحقيقية لانه يقتضي ثبوت المسلوب فثبوت السلب انما يكون باعتبار وجود المسلوب معه وهو بهذا الاعتبار لا يكون واحدا حقيقيا ولا يلزم منه بطلان ما فرعوا على هذه القاعدة لان المبدأ الاول علة لجميع ما عداه فيتقدم عليه فلا يكون في مرتبة ايجاد المعلول الاول لا ذهنا ولا خارجا مسلوب حتى يسلب عنه وتحصل باعتباره كثرة تكون منشأ الصدور الكثير وأما بعد صدور المعلول الاول فلا نزاع في صدور معلول آخر عنه باعتباره (قلت) لا نسلم أن السلب يستدعي ثبوت المسلوب بل تعقل السلب يستدعي تعقل المسلوب وأما نفس السلب أعني انتفاء شيء عن شيء فلا يستدعي ثبوت المسلوب أصلا لا في الذهن ولا في الخارج فلو حصل باعتباره كثرة يكون للمبدا الاول في مرتبة ايجاد المعلول الاول جهة كثرة يصلح باعتبارها لان يكون مصدرا للكثرة فلا يصح التفريع وقد يحتج لهذا المطلوب بانه لو صدر عن الواحد الحقيقي (ا) و (ب) لزم صدق قولنا صدر عنه (ا) ولم يصدر عنه (ا) من جهة واحدة وانه محال لاستحالة صدق المتناقضين أما صدق الاول فظاهر وأما صدق الثاني فلانه لما صدر عنه (ب) الذي هو غير (ا) صدق انه لم يصدر عنه (ا) فيصدق حينئذ انه صدر عنه (ا) ولم يصدر عنه (ا) وأما انهما من جهة واحدة فلان الكلام في الواحد الحقيقي الذي لا تعدد جهة فيه أصلا وهذا الوجه هو الذي كتب الشيخ الرئيس الى تلميذه بهمنيار لما طالبه منه البرهان على هذا المطلوب (وجوابه) انا لا نسلم انه اذا صدر عنه (ب) الذي هو غير (ا) صدق انه لم يصدر (ا) بل اللازم انه صدر عنه ما ليس (ا) وهو لا يناقض قولنا صدر عنه (ا) وقال الامام الرازي

رحمه الله والعجب ممن يفنى عمره فى تعليم الآلة العاصمة من الغلط وتعلمها ثم اذا جاء الى هذا المطلب الاشرف أعرض عن استعمالها حتى يقع فى غلط يضحك منه الصبيان (وقد تقرر هذا الاستدلال) بانه لو صدر عن الواحد الحقيقى اثنان كـ(ا) و (ب) مثلا فمن حيث انه يجب عنه (ا) لا يجب عنه (ب) لما مر من ان العلة لها مع معلولها المعين خصوصية لا تكون تلك الخصوصية مع معلولها الآخر باعتبارها يصدر عنه ذلك المعلول المعين فلو وجب عنه (ب) الكان وجوب (ب) عنه من الحيثية التى وجب (ا) اذ لا تعدد حيثية فيه لان الكلام فى الواحد الحقيقى فيلزم التناقض لانه من حيث انه يجب عنه (ا) وجب (ب) وقد ثبت أنه من حيث انه يجب عنه (ا) لا يجب (ب) وهو تناقض وقد عرفت فيما سبق ما فى المقدمة القائلة بان للعلة مع معلولها المعين خصوصية لا تكون تلك الخصوصية مع معلولها الآخر فتذكر (وقد تقرر) بانه لو صدر عن الواحد الحقيقى اثنان كـ(ا) و (ب) مثلا لزم اجتماع النقيضين لان عدم صدور (ا) صادق على صدور (ب) الذى ليس (ا) ضرورة عدم صدق صدور (ا) على صدور (ب) ولو لم يصدق عدم صدور (ا) أيضا ارتفع النقيضان وقد اجتمع فى الواحد الحقيقى صدور (ا) وعدم صدور (ا) وهما نقيضان واذا لم يكن المصدر واحدا حقيقيا كان صدور (ا) عنه من جهة وعدم صدوره من جهة أخرى وعند اختلاف الجهتين لا تناقض وفساده ظاهر لان اجتماع النقيضين الذى هو محال هو أن يصدق على شئ واحد نقيضان ويحملا عليه بطريق حمل المواطأة كان يصدق مثلا على واحد انه صدر عنه (ا) ولم يصدر عنه (ا) لان يوجدا فيه ويحملا عليه بالاشتقاق كـ(ا) فيما نحن فيه فانه وجد فى الواحد صدور (ا) وعدم صدور (ا) الذى هو صدور ما ليس (ا) ولا يلزم منه صدق قولنا صدر عنه (ا) ولم يصدر عنه (ا) كالاصفر الحلو الذى توجد فيه الصفرة واللاصفرة التى هى الحلاوة (لا يقال) اذا ثبت للواحد صدور (ا) وعدم

لانه لو تحرك به من حيث انه جسم وانه خالقه للزم أن يتحرك كل جسم فلا بد وان تختص الحركة بصفة بها يتميز عن غيره من الاجسام وتلك الصفة هى المحرك القريب اما بالارادة أو الطبع ولا يمكن ان يقال ان الله تعالى يحرك بالارادة لان ارادته تناسب الاجسام نسبة واحدة فلم استعد هذا الجسم على الخصوص لان يراد تحريكه دون غيره ولا يمكن ان يكون ذلك جزافا فان ذلك محال كما سبق فى مسئلة حدوث العالم واذا ثبت ان هذا الجسم ينبغى أن يكون فيه صفة هى مبدأ الحركة بطل القسم الاول وهو تقدير الحركة القسرية فينبغى ان يقال هى طبيعية وهو غير ممكن لان الطبيعة بمجردها قط الا تكون سببا للحركة لان معنى الحركة هرب من مكان وطلب لمكان آخر فالمكان الذى فيه الجسم ان كان ملائما له فلا يتحرك عنه ولهذا لا يتحرك زق مملوء من الهواء على وجه الماء الى أسفل واذا غمس فى الماء تحرك الى وجه الماء فانه وجد المكان الملائم فسكن والطبيعة قائمة ولكن ان نقل الى مكان لا يلائمه هرب منه الى الملائم كما هرب المملوء بالهواء من وسط الماء الى حيز الهواء والحركة الدورية لا يتصور ان تكون طبيعية لان كل موضع وان فرض الهرب منه فهو عائد اليه والمهروب عنه بالطبع لا يكون مطلوبا بالطبع ولذلك لا ينصرف زق مملوء من الهواء الى باطن الماء ولا الحجر ينصرف بعد الاستقرار على الارض فيعود الى الهواء فلم يبق الا القسم الثالث وهى الحركة الارادية (الاعتراض) هو انا نقول نحن نقدر ثلاث احتمالات سوى مذهبكم لا برهان على بطلانها (الاول) ان تقدر حركة السماء قهرا لجسم آخر مريد لتحريكها يديرها على الدوام وذلك الجسم المحرك لا يكون كرة ولا يكون محيطا فلا يكون سماء فيبطل قولهم ان حركة السماء ارادية وان السماء حيوان وهذا الذى ذكرناه ممكن وليس فى دفعه الا مجرد استبعاد (الثانى) هو ان يقال الحركة قسرية ومبدؤها ارادة الله فانا نقول حركة الجسم الى أسفل أيضا قسرية تحدث بخلق الله الحركة فيه وكذا القول فى سائر حركات الاجسام التى ليست حيوانية فيبقى استبعادهم أن الارادة لم اختصت به وسائر الاجسام تشاركها فى الجسمية فقد بينا ان الارادة القديمة من شأنها تخصيص الشئ عن مثله وانهم مضطرون الى اثبات صفة هذا شأنها فى تعيين جهة الحركة الدورية وفى تعيين موضع القطبية والنقطة (والقول الوجيز) ان ما استبعدوه فى اختصاص الجسم بتعلق الارادة به من غير تميز بصفة ينقلب عليهم فى تميزه بتلك الصفة (فانا نقول) ولم تميز جسم السماء بتلك الصفة التى بها فارق غيره من الاجسام وسائر الاجسام أيضا أجسام فلم حصل فيه ما لم يحصل فى غيره وان علل ذلك بصفة أخرى توجه السؤال فى الصفة الاخرى وهكذا يتسلسل الى غير نهاية فتضطرون بالآخرة الى التحكم فى الارادة وان فى المبادى ما يميز الشئ عن مثله ويخصصه بصفة عن أمثاله (الثالث) هو أن يسلم ان السماء اختص بصفة تلك الصفة مبدأ الحركة كما اعتقدوه فى هوى الحجر الى أسفل الا انه لا يشعر به كالحجر وقولهم ان المطلوب بالطبع لا يكون مهروبا عنه بالطبع فتلبيس لانه ليس ثم أماكن متفاصلة بالعدد عندهم بل الجسم واحد والحركة الدورية واحدة فلا للجسم جزء بالفعل ولا للحركة جزء بالفعل وانما يتجزأ بالوهم وليست تلك الحركة لطلب المكان ولا للهرب من المكان فيمكن ان يخلق جسم وفى ذاته معنى يقتضى حركة دورية وتكون الحركة نفسها مقتضى ذلك المعنى لا أن مقتضى الحركة طلب المكان ثم تكون الحركة للوصول اليه (وقولكم ان كل حركة فهى اطلب مكان أو هرب منه) ان كان ضروريا

صدور (ا) لزم أن يصدق قولنا صدر عنه (ا) وعدم عنه صدور (ا) لان ثبوت مأخذ الاشتقاق للشئ يوجب صدق المشتق عليه فقد اجتمع في الواحد الحقيقي نقيضان بطريق حمل المواطأة (لانا نقول) عدم صدور (ا) قد يطلق ويراد به ما ليس صدور (ا) وهو معنى غير صدور (ا) واللازم من عدم صدق صدور (ا) على صدور (ب) صدق هذا المعنى عليه لانه لازم لنقيضه وقد يطلق ويراد به انتفاء صدور (ا) وهو أخص من المعنى الاول لان ما ليس صدور (ا) يصدق عليه وعلى غيره من المفهومات كالانسان والفرس وغيرهما والصادق على صدور (ب) هو المعنى الاول لا الثاني لان صدور (ب) ليس انتفاء صدور (ا) بل غير صدور (ا) وثبوت عدم صدور (ا) بالمعنى الاول للشئ لا يستلزم صدق قولنا عدم عنه صدور (ا) لان العدم بذلك المعنى ليس مأخذ اشتقاق له بل مأخذ اشتقاقه هو العدم بالمعنى الثاني وقد عرفت ان العدم بالمعنى الاول أعم منه بالمعنى الثاني وثبوت العام للشئ لا يستلزم ثبوت الخاص له نعم اذا ثبت هذا المفهوم في ضمن انتفاء صدور (ا) الذي هو أخص يلزم أن يصدق قولنا عدم عنه صدور (ا) لثبوت مأخذه له فان أريد في الاستدلال بعدم صدور (ا) المعنى الاول فصدقه على صدور (ب) وثبوته للصادر مسلم لكنه لا يستلزم صدق قولنا عدم عنه صدور (ا) لانه ليس مأخذ اشتقاق له فلا يلزم اجتماع النقيضين في الشئ الواحد بطريق حمل المواطأة وان أريد المعنى الثاني فصدقه على صدور (ب) وثبوته للصادر ممنوع (لا يقال) انتفاء صدور (ا) نقيض لصدور (ا) ولا شك انه لا يصدق صدور (ا) على صدور (ب) فلو لم يصدق عليه نقيضه أيضا لزم ارتفاع النقيضين وهو محال (لانا نقول) لا نسلم ان انتفاء صدور (ا) نقيض لمفهوم صدور (ا) بل نقيضه مفهوم ما ليس صدور (ا) وانتفاء صدور (ا) أخص من مفهوم ما ليس صدور (ا) وصدق الاعم على الشئ لا يستلزم صدق الاخص عليه (الفصل الخامس في ابطال قولهم في كيفية صدور العالم عن المبدا) قالوا الممكن اما عرض أو جوهر

فكانكم جعلتم طلب المكان مقتضى الطبع وجعلتم الحركة غير مقصودة في نفسها بل وسيلة اليه (ونحن) نقول لا يبعد أن تكون الحركة نفس المقتضى لا لطلب مكان فما الذي يحيل ذلك فاستبان أن ما ذكروه ان ظن أنه أغلب من احتمال آخر فلا يتيقن انتفاء غيره قطعا فالحكم على السماء بأنه حيوان تحكم محض لا مستند له (مسئلة) في ابطال ما ذكروه من الغرض المحرك للسماء وقد قالوا ان السماء مطيع لله بحركته ومتقرب اليه لان كل حركة بالارادة فهي لغرض اذ لا يتصور ان يصدر الفعل والحركة من حيوان الا اذا كان الفعل أولى به من الترك والا لو استوى الفعل والترك لما تصور الفعل ثم التقرب الى الله ليس معناه طلب الرضا والحذر من السخط فان الله تعالى يتقدس عن السخط والرضا وان أطلقت هذه الالفاظ فعلى سبيل المجاز يكنى بها عن ارادة العقاب وارادة الثواب ولا يجوز أن يكون التقرب بطلب القرب منه في المكان فانه محال فلا يبقى الا طلب القرب في الصفات فان الوجود الاكمل وجوده وكل وجود فبالاضافة الى وجوده ناقص وللنقصان درجات وتفاوت فالملك أقرب اليه صفة لا مكانا وهو المراد بالملائكة المقربين أي الجواهر العقلية التي لا تتغير ولا تستحيل ولا تفنى وتعلم الاشياء على ما هي عليه والانسان كلما ازداد قربا من الملك في الصفات ازداد قربا من الله تعالى ومنتهى طبقة الآدميين التشبه بالملائكة واذا ثبت ان هذا معنى التقرب الى الله وانه يرجع الى طلب القرب منه في الصفات وذلك للآدمي بان يعلم حقائق الاشياء وبان يبقى بقاء مؤبدا على أكمل أحواله الممكنة له فان البقاء على الكمال الاقصى هو لله والملائكة المقربون كل ما يمكن لهم من الكمال فهو حاضر معهم في الوجود اذ ليس فيهم شئ بالقوة حتى يخرج الى الفعل فاذن كمالهم في الغاية القصوى بالاضافة الى ما سوى الله تعالى والملائكة السماوية هي عبارة عن النفوس المحركة للسموات وفيها ما هو بالقوة وكمالاتها منقسمة الى ما هو بالفعل كالشكل الكري والهيئة وذلك حاضر والى ما هو بالقوة وهو الهيئة في الوضع والاين وما من وضع معين الا وهو ممكن له ولكن ليست له سائر الاوضاع بالفعل فان الجمع بين جميعها غير ممكن فلما لم يمكن استيفاء آحاد الاوضاع على الدوام قصد استيفاءها بالنوع فلا يزال يطلب وضعا بعد وضع وأينا بعد أين ولا ينقطع قط هذا الامكان فلا تنقطع هذه الحركات وانما قصده التشبه بالمبدا الاول في نيل الكمال الاقصى على حسب الامكان في حقه وهو معنى طاعة الملائكة السماوية لله وقد حصل لها التشبه من وجهين (أحدهما) استيفاء كل وضع ممكن له بالنوع وهو المقصود بالقصد الاول (والثاني) ما يترتب على حركته من اختلاف النسب في التثليث والتربيع والمقارنة والمقابلة واختلاف الطوالع بالنسبة الى الارض فيفيض منه الخير على ما تحت فلك القمر ويحصل منه هذه الحوادث كلها فهذا وجه استكمال النفس السماوية وكل نفس عاقلة فشوقه الى الاستكمال بذاتها (والاعتراض على هذا) هو ان في مقدمات هذا الكلام ما يمكن النزاع فيه ولكنا لا نطول به فنعود الى الغرض الذي عينتموه أخيرا ونبطله من وجهين (أحدهما) ان طلب الاستكمال بالكون في كل أين يمكن أن يكون حماقة لا طاعة وما هذا الا كانسان لم يكن له شغل وقد كفي المؤنة في شهواته وحاجاته فقام وهو يدور في بلد أو بيت وهو يزعم انه يتقرب الى الله تعالى وأنه يستكمل بان يحصل لنفسه الكون في كل مكان أمكن وزعم ان الكون في الاماكن ممكن له ولست أقدر على الجمع بينها بالعدد فأستوفيها بالنوع وان فيه استكمالا وتقربا فتسفه عقله فيه ويحمل على الحماقة ويقال الانتقال من حيز الى حيز ومن مكان

والجوهر ان كان حالا فى جوهر آخر فصورة وان كان محلا فهيولى وان كان مركبا منهما فجسم والا فان كان متعلقا بالجسم تعلق التدبير والتصرف فنفس والا فعقل ولا يجوز أن يكون الصادر الاول من المبدا الاول عرضا لان العرض مشروط فى وجوده بالجوهر فلو كان معلولا أول لكان علة أو شرطا لوجود الجوهر فيلزم الدور ولا جسما لانه مركب من المادة والصورة فلو كان معلولا أول لزم صدور الكثير من الواحد الحقيقى وهو محال ٦٠ ولا مادة لان المعلول الاول يجب أن يكون علة ومؤثرا فيما بعده والمادة ليس لها صلاحية التأثير بل من شأنها القبول فقط وأيضا لو كانت المادة هى المعلول الاول لكانت متقدمة بالوجود على الصورة وهو محال لان الصورة شريكة علة الهيولى عندهم ولا صورة لان فاعليتها موقوفة على تشخصها لانها لا يتصور كونها فاعلة لوجود شىء فى الخارج الا بعد كونها موجودة فيه ولا وجود فى الخارج الا للتشخصات وتشخصها موقوف على المادة لما تقرر عندهم من أن المادة علة قابلية لتشخص الصورة فلو كان المعلول الاول هو الصورة لزم تقدمها بالتشخص على المادة لكونها فاعلة لها اما بواسطة أو بغير واسطة ولا نفسا لان فعلها يتوقف على الآلة المحتاجة الى المادة فلو كان المعلول الاول نفسا لكانت سابقة فى تأثيرها على المادة ضرورة كون المادة معلولة لها حينئذ اما بواسطة أو بلا واسطة فيدور وتعين أن يكون المعلول الاول هو العقل وهو وان كان أمرا بسيطا فى ذاته لكن له ماهية ووجود وامكان نظرا الى ذاته
اليه
بالقياس الى الوجود ووجوب نظرا الى مبدئه وتعقل لذاته وتعقل لمبدئه فصدر عنه بهذه الاعتبارات جرم الفلك الاقصى ونفسه والعقل الثانى وهكذا صدر من العقل الثانى عقل ونفس وفلك الى آخر ما ثبت بالبرهان من وجود الافلاك وصدر عن العقل الاخير الذى هو العقل الفعال هيولى العالم العنصرى يفاض عليها من الاجرام السماوية اما عن أربعة اجرام واما عن عدة

الى مكان ليس كما لا يعتد به أو يتشوق اليه ولا فرق بين ما ذكر وه وبين هذا (والثانى) هو انا نقول ماذكرتموه من الغرض حاصل بالحركة المغربية فلم كانت الحركة الاولى مشرقية وهلا كانت حركات الكل الى جهة واحدة وان كان فى اختلافها غرض فهلا اختلفت بالعكس فكانت التى هى مشرقية مغربية والتى هى مغربية مشرقية فان كل ماذكر وه من حصول الحوادث باختلاف الحركات من التثليثات والتسديسات وغيرها يحصل بعكسه وكذا ماذكروه من استيفاء الاوضاع والاينيون كيف ومن الممكن لها الحركات الى الجهة الاخرى فما لها لا تتحرك مرة من جانب ومرة من جانب استيفاء لما يمكن لها ان كان فى استيفاء كل ممكن كمال فدل ان هذه خيالات لا حاصل لها وان اسرار ملكوت السموات لا يطلع عليها بامثال هذه الخيالات وانما يطلع الله عليه أنبياءه وأولياءه على سبيل الالهام لا على سبيل الاستدلال ولذلك عجز الفلاسفة من عند آخرهم عن بيان السبب فى جهة الحركة واختيارها وقال بعضهم لما كان استكمالها يحصل بالحركة من أى جهة كانت وكان انتظام الحوادث الارضية يستدعى اختلاف حركات وتعيين جهات كان الداعى لها الى أصل الحركة التقرب الى الله والداعى الى جهة الحركة افاضته الخير على العالم السفلى وهذا باطل من وجهين (أحدهما) ان ذلك ان أمكن ان يحيل فليقض بان مقتضى طبعه السكون احترازا عن الحركة والتغير وهو التشبه بالله تعالى على التحقيق فانه مقدس عن التغير والحركة تغير ولكنه اختار الحركة لافاضة الخير لانه كان ينتفع به غيره وليس يثقل عليه الحركة وليست تتعبه فما المانع من هذا الخيال (والثانى) ان الحوادث تبتنى على اختلاف النسب المتولدة من اختلاف جهات الحركات فلتكن الحركة الاولى مغربية وما عداها مشرقية وقد يحصل به الاختلاف ويحصل به تفاوت النسب فلم تعينت جهة واحدة وهذه الاختلافات لا تستدعى الا أصل الاختلاف وأما جهة بعينها فليست بأولى من نقيضها فى هذا الغرض (مسئلة) فى ابطال قولهم ان نفوس السموات مطلعة على جميع الجزئيات الحادثة فى هذا العالم وان المراد باللوح المحفوظ نفوس السموات وان انتقاش جزئيات العالم فيها يضاهى انتقاش المحفوظات فى القوة الحافظة المودعة فى دماغ الانسان لا أنه جسم صلب عريض مكتوب عليه الاشياء كما يكتبه الصبيان فى اللوح لان تلك الكتابة تستدعى كثرتها اتساع المكتوب عليه واذا لم يكن للمكتوب نهاية لم يكن للمكتوب عليه نهاية ولا يتصور جسم لا نهاية له ولا يمكن خطوط لا نهاية لها على جسم ولا يمكن تعريف أشياء لا نهاية لها بخطوط معدودة (وقد زعموا) ان الملائكة السماوية هى نفوس السموات وان الملائكة الكروبيين المقربين هى العقول المجردة التى هى جواهر قائمة بانفسها لا تتحيز ولا تتصرف فى الاجسام فان هذه الصور الجزئية تفيض على النفوس السماوية منها وهى أشرف من الملائكة السماوية لانها مفيدة وهذه مستفيدة والمفيد أشرف من المستفيد ولذلك عبر عن الاشرف بالقلم فقال تعالى علم بالقلم لانه كالنقاش المفيد مثل المعلم وشبه المستفيد باللوح هذا مذهبهم (والنزاع) فى هذه المسئلة يخالف النزاع فيما قبلها فان ما ذكروه من قبل ليس محالا اذ منتهاه كون السماء حيوانا متحركا بالغرض وهو ممكن (أما هذه) فترجع الى اثبات علم المخلوقات بالجزئيات التى لا نهاية لها وهذا ربما يعتقد استحالته فنطالبهم بالدليل عليه فانه تحكم فى نفسه (وقد استدلوا فيه) بان قالوا ثبت أن الحركة الدورية ارادية والارادة تتبع المراد والمراد الكلى لا يتوجه

منحصرة فى أربع حاصل عن كل واحدة منها تهيئها لقبول صور العناصر المختلفة بتفصيل ما يلى جهة المركز منها الى جهة المحيط الى أن ينفصل حشو الفلك الاخير الى أربع كرات مختلفة الصور فالت الصور من واهبها وهو العقل الفعال بمعاونة الاجرام السماوية لانها لما كانت الاجسام العنصرية قابلة لجميع أنواع التغير بخلاف الاجرام السماوية لم يمكن أن يكون سبب وجودها عقلا محضا لاستحالة كون الثابت علة تامة للمتغير لامتناع التخلف عن العلة التامة بل وجب أن يكون ما هو سببها القريب مشتملا على نوع من التغير لكن ليس هناك شئ يشمل التغير والحركة الا الاجرام السماوية فوجب أن يكون للاجرام السماوية دخل فى ايجادها ثم يحصل امتزاج العناصر واختلاطها على ضروب مختلفة وفنون شتى بسبب حركات تحصل فيها من البرودة والحرارة الفائضة من الاجرام السماوية بسبب اختلاف نسبها من العنصريات فان الشمس اذا حاذت لموضع من الارض اقتضت اضاءة ذلك الموضع وبتوسط الضوء تسخينها وبتوسط السخونة تحلحلها الجسم المتسخن أو اصعاده وبسبب التحلحل أو الصعود اخراجه من موضعه الطبيعى وبسبب الخروج من موضعه امتزاجه بغيره وبعد حصول الامتزاجات تحدث المزاجات المختلفة وتستعد بحسب قربها وبعدها من الاعتدال لقبول الصور المعدنية والنفوس النباتية والحيوانية الناطقية وتفيض تلك الصور والنفوس عليها من العقل الفعال (والاعتراض عليه أن يقال) لا نسلم أنه لا يجوز أن يكون الصادر الاول جسما (قولهم) لانه مركب من المادة والصورة (قلنا) ممنوع ولم لا يجوز أن يكون أمرا بسيطا ممتدا فى الاقطار كما هو رأى أفلاطون وما ذكروا من الدليل على تركبه منهما فقد عرفت ضعفه ولو سلم انه مركب منهما فلا نسلم امتناع صدور الكثير عن الواحد وما ذكروه من الدليل عليه فقد عرفت ضعفه ولو سلم فلا نسلم انه لا يجوز أن يكون الصادر الاول المادة (قوله) لان المعلول الاول يجب أن يكون مؤثرا فيما بعده ممنوع اذ الدليل الدال على ان الواحد

اليه الارادة الكلية والارادة الكلية لا يصدر منها شئ فان كل موجود بالفعل معين جزئى والارادة الكلية نسبتها الى آحاد الجزئيات على وتيرة واحدة فلا يصدر عنها الا جزئى بل لا بد من ارادة جزئية للحركة المعينة وللفلك بكل حركة جزئية معينة من نقطة الى نقطة معينة ارادة جزئية لتلك الحركة وله لا محالة تصور لتلك الحركات الجزئية بقوة جسمانية اذ الجزئية لا تدرك الا بالقوى الجسمانية فان كل ارادة فمن ضرورتها تصور لذلك المراد أى علم به سواء كان جزئيا أو كليا ومهما كان للفلك تصور لجزئيات الحركات واحاطة بها أحاط لا محالة بما يلزم منها من اختلاف النسب مع الارض من كون بعض أجزائه طالعة وبعضها غاربة وبعضها فى وسط السماء فوق قوم وتحت قدم قوم وكذلك يعلم ما يلزم من اختلاف النسب التى تتجدد بالحركة من التثليث والتسديس والمقابلة والمقارنة الى غير ذلك من الحوادث السماوية اما بغير واسطة واما بواسطة واحدة واما بوسائط كثيرة ثم على الجملة فكل حادث فله سبب حادث الى أن ينقطع التسلسل بالارتقاء الى الحركة السماوية التى بعضها سبب للبعض فاذن الاسباب والمسببات فى سلسلتها تنتهى الى الحركة الجزئية السماوية فالمتصور للحركة متصور للوازمها ولوازم لوازمها الى آخر السلسلة وبهذا يطلع على ما يحدث فان كل ما يحدث فحدوثه واجب عن علته مهما تحققت العلة ونحن انما لا نعلم ما يقع فى المستقبل لانا لا نعلم جميع أسبابها ولو علمنا جميع الاسباب لعلمنا المسببات فانا مهما علمنا أن النار ستلتقى بالقطن مثلا فى وقت معين فنعلم احتراقا فى القطن ومهما علمنا ان شخصا سيأكل فنعلم انه سيشبع واذا علمنا ان شخصا سيخطى الموضع الفلانى الذى فيه كنز مغطى بشئ خفيف اذا مشى عليه الماشى تعثر رجله بالكنز وعرفه فنعلم انه سيستغنى بوجود الكنز ولكن هذه الاسباب لا نعلمها وربما نعلم بعضها فيقع لنا حدس بوقوع المسبب فان عرفنا أغلبها أو أكثرها حصل لنا ظن ظاهر بالوقوع فلو حصل لنا العلم بجميع الاسباب لحصل بجميع المسببات الا أن السماويات كثيرة ثم لها اختلاط بالحوادث الارضية وليس فى القوة البشرية الاطلاع عليها ونفوس السموات مطلعة عليها لاطلاعها على السبب الاول ولوازمها ولوازم لوازمها ولهذا زعموا أنه يرى النائم فى نومه ما يكون فى المستقبل وذلك باتصاله باللوح المحفوظ ومطالعته ومهما اطلع على شئ ربما بقى ذلك الشئ بعينه فى حفظه وربما تسارعت القوة المخيلة الى محاكاتها فان من غريزتها محاكاة الاشياء بامثلة تناسبها بعض المناسبة أو الانتقال منها الى أضدادها فينمحى المدرك الحقيقى عن الحفظ ويبقى مثال الخيال فى الحفظ فيحتاج الى تعبير ما يمثل الخيال كتمثيل الرجل بشجرة والزوجة بخف والخادم ببعض أوانى الدار وحافظ مال البر والصدقات بالمدرفان البذر سبب للسراج الذى هو سبب الضياء وعلم التعبير يتشعب عن هذا الاصل (وزعموا) أن الاتصال بتلك النفوس مبذول اذ ليس ثم حجاب ولكنا فى يقظتنا مشغولون بما توردها الحواس والشهوات علينا فاشتغالنا بهذه الامور الحسية صرفنا عنه واذا سقط عنا فى النوم بعض اشتغال الحواس ظهر به استعداد للاتصال (وزعموا) أن النبى أيضا يطلع على الغيب بهذا الطريق أيضا الا أن القوة النفسية النبوية قد تقوى قوة لا تستغرقها الحواس الظاهرة فلا جرم يرى هو فى اليقظة ما يراه غيره فى المنام ثم القوة الخيالية تمثل له أيضا ما رآه وربما بقى الشئ بعينه فى ذكره وربما بقى مثاله فيفتقر مثل هذا الوحى الى التأويل كما يفتقر مثل ذلك المنام الى التعبير ولولا أن جميع الكائنات ثابتة فى اللوح

لا يصدر عنه الا الواحد على تقدير تمامه انما يدل على انه لا يصدر عنه الا الواحد عند عدم شرط أو واسطة فحينئذ يجوز أن تكون الصورة صادرة عن المبدأ الاول وتكون الهيولى شرطا لوجودها (فان قلت) الصورة شريكة لعلة الهيولى فلو كانت الهيولى شرطا أو واسطة لزم الدور (قلت) الشريكة لعلة الهيولى هى الصورة المطلقة لا المعينة عندهم فيجوز أن تكون الهيولى واسطة فى صدور المعينة والمطلقة شريكة لعلة الهيولى من غير لزوم دور وفيه نظر ولو سلم فلم لا يجوز أن يكون الصادر الاول صورة ولا تكون مؤثرة فى وجود الهيولى بل تكون واسطة فيه لانك قد عرفت آنفا أن المعلول الاول لا يلزم أن يكون فاعلا لما عداه ثم لو فرض كون الصورة مؤثرة فى وجود الهيولى لا يلزم كونها متقدمة بالتشخص على الهيولى لان غاية ما لزم مما ذكره أن تكون التشخص لازما للوجود لا أن يكون الوجود موقوفا على التشخص وتقدم الملزوم بالذات على الشئ لا يستلزم تقدم اللازم عليه ولو سلم فلم لا يجوز أن يكون الصادر الاول نفسا فانه وان سلم أن فعلها وتأثيرها مشروطا بالمادة فلا نسلم أن كونها واسطة مشروط بها وكون وجودها مشروطا بوجود الجسم ممنوع ثم ان سلمنا استحالة جميع ما ذكر لكن لا يلزم من انتفاء كون الصادر الاول أحد هذه الامور الاربعة أن يكون عقلا لم لا يجوز أن يكون صفة من صفات المبدأ الاول ثم يصدر المعلول الثانى عن تلك الصفة أو عن الذات بواسطة تلك الصفة فان قالوا يلزم كون الشئ الواحد قابلا لشئ وفاعلا له وهو غير جائز (قلنا) سيجئ الكلام فيه ان شاء الله تعالى ثم انهم جعلوا الامور الاعتبارية منشأ لصدور الكثرة عن الواحد كما كان العقل الاول ووجوده فاذا جاز ذلك فالمبدأ الاول فيه من السلوب والاضافات ما لا يحصى فلم لا يجوز أن يكون مبدأ للكثرة بحسبها (وأجاب عنه الحكيم المحقق نصير الدين الطوسى) بان السلب والاضافة لا يكونان الا بعد ثبوت الغير ضرورة استدعاء السلب مسلوبا والاضافة منسوبا فلو توقف ثبوت

المحفوظ لما عرف الانبياء الغيب فى يقظة ولا منام لكن جف القلم بما هو كائن الى يوم القيامة ومعناه هذا الذى ذكرناه (فهذا) ما أردنا أن نورده ليفهم مذهبهم (والجواب) أن نقول بم تنكرون على من يقول ان النبى يعرف الغيب لتعريف الله عز وجل على سبيل الابتداء وكذا من يرى فى المنام فانما يعرفه بتعريف الله أو تعريف ملك من الملائكة ولا يحتاج الى شئ مما ذكرتموه فلا دليل فى هذا ولا دليل لكم فى ورود الشرع باللوح والقلم فان أهل الشرع لم يفهموا من اللوح والقلم هذا المعنى قطعا فلا متمسك به فى الشرعيات بقى التمسك بمسالك العقول وما ذكرتموه وان اعترف بامكانه مهما لم يشترط نفى النهاية عن هذه المعلومات فلا يعرف وجوده ولا يتحقق كونه وانما السبيل فيه أن يتعرف من الشرع لا من العقل (وأما ما ذكرتموه من الدليل العقلى أولا) فمبنى على مقدمات كثيرة لسنا نطول بابطالها ولكنا ننازع فى ثلاث مقدمات منها (المقدمة الاولى) قولكم ان حركة السماء ارادية وقد فرغنا من هذه المسئلة وابطال دعواكم فيها (المقدمة الثانية) قولكم انه يفتقر الى تصور جزئى للحركات الجزئية فغير مسلم بل ليس ثم جزء عندكم فى الجسم فانه شئ واحد وانما تجزأ بالوهم ولا فى الحركة فانها واحدة بالاتصال فيكفى تشوقها الى استيفاء الآيات الممكنة لها كما ذكروه ويكفيها التصور الكلى والارادة الكلية ولنمثل للارادة الكلية والجزئية مثالا ليفهم غرضهم فاذا كان للانسان غرض كلى فى أن يحج بيت الله تعالى مثلا فهذه الارادة الكلية لا تصدر منها الحركة لان الحركة تقع جزئية فى جهة مخصوصة بمقدار مخصوص بل لا بد فى الحركة الارادية من ارادة جزئية ولا يزال يتجدد للانسان فى توجهه الى البيت تصور بعد تصور للمكان الذى يتخطاه والجهة التى يسلكها ويتبع كل تصور جزئى ارادة جزئية للحركة الى المحل الموصول اليه بالحركة فهذا ما أرادوا بالارادة الجزئية التابعة للتصورات الجزئية وهو مسلم فى الحج لان الجهات متعددة فى التوجه الى مكة والمسافة غير متعينة فيفتقر تعين مكان عن مكان وجهة عن جهة الى ارادة أخرى جزئية وأما الحركة السماوية فلها جهة واحدة فان الكرة انما تتحرك على نفسها وفى حيزها لا تجاوزه والحركة مرادة وليس ثمة الا وجه واحد وجسم واحد وضرب واحد فهو كهوى الحجر الى أسفل فانه يطلب الارض فى أقرب طريق وأقرب الطريق الخط المستقيم الذى هو عمود على الارض فتعين الخط المستقيم ولم يفتقر فيه الى تجدد سبب حادث سوى الطبيعة الكلية الطالبة للمركز مع تجدد القرب والبعد والوصول الى حد الصدود عنه فكذلك يكفى فى تلك الحركة الارادة الكلية ولا تفتقر الى مزيد فهذه مقدمة تحكموا بوضعها (المقدمة الثالثة) وهى التحكم البعيد جدا قولهم انه اذا تصور الحركات الجزئية تصور أيضا توابعها ولوازمها وهذا هوس محض كقول القائل ان الانسان اذا تحرك وعرف حركته ينبغى أن يعرف ما يلزم من حركته موازاة ومجاورة وهو نسبته الى الاجسام التى فوقه وتحته وحواليه واذا مشى فى شمس فينبغى أن يعلم المواضع التى يقع عليها ظله والمواضع التى لا يقع عليها وما يحصل من ظله من البرودة بقطع الشعاع فى تلك المواضع وما يحصل من الانضغاط لاجزاء الارض تحت قدمه وما يحصل من التفرق فيها وما يحصل فى اخلاطه بالباطن من الاستحالة له بسبب الحركة الى الحرارة وما يستحيل من أجزائه وهلم جرا الى جميع الحوادث فى بدنه وفى غيره من بدنه مما الحركة علة فيه أو شرط أو مهيئ ومعد وهو هوس لا يقبله عاقل ولا يغتر به الا جاهل والى

هذا يرجع هذا التحكم على أنا نقول هذه الجزئيات المفصلة المعلومة لنفس الملك هي الموجودة في الحال أو يضاف اليها ما يتوقع كونها في الاستقبال فان قصرتموه على الموجود في الحال بطل اطلاعه على الغيب اطلاع الانبياء في اليقظة وسائر الخلق في النوم على ما سيكون في الاستقبال بواسطته ثم بطل مقتضى الدليل فانه يحكم بان من عرف الشئ عرف لوازمه وتوابعه حتى لو عرفنا جميع أسباب الاشياء لعرفنا جميع الحوادث المستقبلة وأسباب جميع الحوادث حاضرة في الحال فانها هي الحركة السماوية ولكن يقتضي المسبب اما بواسطة أو بوسائط كثيرة واذا تعدى الى المستقبل لم يكن له آخر وكيف تعرف تفصيل الجزئيات في الاستقبال الى غير نهاية وكيف يجتمع في نفس مخلوق في حالة واحدة من غير تعاقب علوم جزئية مفصلة لا نهاية لاعدادها ولا غاية لآحادها ومن لم يشهد له عقله باستحالة ذلك فلييأس من عقله فان قلبوا هذا علينا في علم الله تعالى فليس تعلق علم الله تعالى بالاتفاق بمعلوماته على نحو تعلق العلوم التي هي للمخلوقات بل مهما دار نفس الملك بين جنس نفس الانسان كان من قبيل نفس الانسان فانه يشاركه في كونه مدركا للجزئيات بواسطة فان لم يلحق به قطعا كان الغالب على الظن انه من قبيله وان لم يكن غالبا على الظن فهو ممكن والامكان يبطل دعواهم القطع فاقطعوا به (فان قيل) حق النفس الانسانية في جوهرها أن تدرك جميع الاشياء ولكن اشتغالها بنتائج الشهوة والغضب والحرص والحقد والحسد والجوع والالم وبالجملة عوارض البدن وما يورده الحواس عليه اذا أقبلت النفس الانسانية على شئ واحد شغلها عن غيره وأما النفوس الفلكية فنقية عن هذه الصفات لا يعتريها شاغل ولا يستغرقها هم وألم واحساس فعرفت جميع الاشياء (قلنا) وبم عرفتم انها لا شاغل لها وهلا كانت عبادتها واشتياقها الى الاول مستغرقا لها وشاغلا لها عن تصور الجزئيات المفصلة وما الذي يحيل تقدير مانع آخر سوى الغضب والشهوة وهذه الموانع المحسوسة ومن أين عرف انحصار المانع في القدر الذي شاهدناه من أنفسنا وفي العقلاء شواغل من علو الهمة وطلب الرئاسة ما يستحيل تصورها عند الاطفال ولا تعدونها شاغلا ومانعا فمن أين يعرف استحالة ما يقوم مقامها في النفوس الفلكية هذا ما أردنا أن نذكره في العلم الملقب عندهم بالالهي (أما الملقب بالطبيعيات) فهي علوم كثيرة نذكر أقسامها لتعرف ان الشرع ليس يقتضي المنازعة فيها ولا انكارها الا في مواضع ذكرناها وهي منقسمة الى أصول وفروع وأصولها ثمانية أقسام (الاول) نذكر فيه ما يلحق الجسم من حيث انه جسم من الانقسام والحركة والتغير وما يلحق الحركة ويتبعها من الزمان والمكان والخلاء ويشتمل عليه كتاب سمع الكيان (الثاني) يعرف فيه أحوال أقسام العالم التي هي السموات وما في مقعر فلك القمر من العناصر الاربعة وطبائعها وعلة استحقاق كل واحد منها موضعا معينا ويشتمل عليه كتاب السماء والعالم (الثالث) يعرف فيه أحوال الكون والفساد والتولد والتوالد والنشوء والبلى والاستحالات وكيفية استبقاء الانواع على فساد الاشخاص بالحركتين السماويتين الشرقية والغربية ويشتمل عليه كتاب الكون والفساد (الرابع) في الاحوال التي تعرض للعناصر الاربعة من الامتزاجات التي منها تحدث الآثار العلوية من الغيوم والامطار والرعد والبرق والهالة وقوس قزح والصواعق والرياح والزلازل (الخامس) في الجواهر المعدنية (السادس) في أحكام النبات (السابع) في الحيوانات وفيه كتاب طبائع الحيوانات

الغير على السلب أو الاضافة لزم الدور (فان قلت) لم لا يجوز أن يكون ما هو بالقياس الى غير بعد الغير آخر لا الذات الغير حتى يلزم الدور (قلت) فعلى هذا يكون صدور الغير الثاني عن الواجب بواسطة الغير الاول ضرورة أن المتوقف على المتوقف على الشئ متوقف على ذلك الشئ فيكون الغير الاول هو المعلول له ابتداء فان كان صدوره عن ذاته لا باعتبار جهة أخرى فهو المطلوب لان الصادر ابتداء لا يكون بحسب اعتبار اضافة أو سلب وان كان صدوره باعتبار جهة أخرى مقيسة الى غير آخر ينقل الكلام اليه ويلزم التسلسل في العلل والمعلولات أو ينتهي الى ما هو المطلوب وهو أي ما ذكره الحكيم المحقق مردود بانه ان أراد أن الحكم السلبي وتعقل الاضافة لا يكون الا بعد ثبوت المسلوب والمنسوب في الذهن فهو مسلم ولكن لا نسلم انه لو توقف ثبوت الغير على السلب أو الاضافة لزم الدور لان المفروض توقف ثبوت الغير في الخارج على نفس السلب والاضافة وظاهر أنه لا يلزم من توقف تعقلهما على ثبوت الغير في الذهن دور أصلا وان أراد ان نفس السلب أعني الانتفاء ونفس الاضافة يتوقفان على ثبوت المسلوب والمنسوب فهذا وان سلم في الاضافة فلا يسلم في السلب فان انتفاء الشئ عن الشئ لا يتوقف على ثبوت المسلوب عنه لا في الخارج ولا في الذهن فكيف على ثبوت المسلوب على ما تقرر في المنطق من أن صدق السالبة لا يتوقف على وجود ثبوت الموضوع ثم ان المبدأ الاول وان كان وجوده الخاص عين حقيقته عندهم لكن الوجود المطلق عارض لوجوده الخاص فيجوز أن يكون وجوده الخاص الذي هو عين حقيقته من حيث هو مبدأ الامر وباعتبار الوجود المطلق مبدأ الامر الآخر فيحصل باعتباره التكثر في معلول المبدا الاول في الدرجة الاولى من غير اعتبار صدور أمر عنه وذهب بعض المتأخرين من فلاسفة الاسلام الى أن الحيثيات الاعتبارية لا يجوز أن تكون منشأ لصدور الكثرة بل لا بد من أمور موجودة بها تصدر عن المبدأ الواحد كثرة موجودة فلا يصلح الوجود المطلق ولا السلوب ولا الاضافات

لان تكون منشأ الصدور والمعلول وأما الامكان والوجود والوجوب التى عدت جهات فى صدور الكثرة عن المعلول فالمراد منها تعقلها
لانفسها وتعقلات تلك الاشياء أمور موجودة فالمعلول الاول يتعقل مبدأه ووجوده ووجوبه وامكانه فيصدر عنه من حيث هو
معلول وباعتبار هذه الجهات الاربع معلولات أخر بعددها فتحصل من هناك كثرة وأما كيفية صدور هذه الجهات المتكثرة عن
المبدأ الواحد فهو انه صدر من المبدأ الاول العقل الاول ثم صدر منه بتوسط العقل الاول علمه بمبدئه ومبدؤه علة لوجوبه والعلم
بالعلة يستلزم العلم بالمعلول
فصدر عن المبدا الاول
بواسطة علم المعلول الاول
بمبدئه علمه بوجوبه وبواسطة
العلم بالوجوب علمه
بوجوده وهو كما يعلم مبدأه
يعلم ذاته أيضا بل علمه
بذاته هو عين ذاته والامكان
لازم معلول لذاته فعلمه
بذاته يستلزم علمه بامكانه
فيصدر عن الاول بواسطة
العلم بذاته ووجوده العلم
بامكانه ثم يترتب على هذه
العلوم معلولاته التى هى
غير متقررة فى ذاته وهو
جرم الفلك ونفسه والعقل
الثانى وهكذا الى ان
ينتهى سلسلة العقول
ونحن نقول له لم لا يجوز ان
تكون الجهات الاعتبارية
منشأ الصدور الكثير عن
الواحد ومن أين يلزم ان
منشأ كثرة المعلول ليس
الا الامور الموجودة
والضرورة ما شهدت الا
على أن الفاعل فى أمر
موجود لا بد ان يكون
موجودا وأما الامور التى
لها مدخل فى التأثير فما
شهدت ضرورة ولا قامت
حجة على كونها موجودة
فيجوز أن يكون الوجود
المطلق وغيره من السلوب منشأ الصدور الكثرة من المبدا الاول من غير بالكمية
احتياج الى ما ذكرتموه (واعتراض الامام حجة الاسلام الغزالى رحمه الله) على ما ذهبوا اليه فى كيفية صدور الكثرة عن المبدا الواحد
بوجوه (الاول) أن امكان المعلول الاول ان كان عينه لا تنشأ منه كثرة وان كان غيره فمثل ذلك حاصل فى المبدأ الاول وهو وجوب
الوجود فلم لا يكون ذلك منشأ الكثرة (فان قلت) وجوب الوجود هو عين الوجود الذى هو عين ماهية الواجب فلا يكون الوجوب فيه

(الثامن) فى النفس الحيوانية والقوى الدراكة وان نفس الانسان لا تموت بموت البدن وانه جوهر روحانى يستحيل عليه الفناء (وأما فروعها) فسبعة (الاول) الطب ومقصوده معرفة مبادى بدن الانسان وأحواله من الصحة والمرض وأسبابهما ودلائلهما ليدفع المرض ويحفظ الصحة (الثانى) أحكام النجوم وهى تخمين فى الاستدلال من أشكال الكواكب وامتزاجاتها على ما يكون من أحوال العالم والملك والمواليد والسنين (الثالث) علم الفراسة وهو استدلال من الخلق على الاخلاق (الرابع) التعبير وهو استدلال من المتخيلات الحلمية على ما شاهدته النفس من عالم الغيب فخيلته القوة المتخيلة بمثال غيره (الخامس) علم الطلسمات وهو تأليف للقوى السماوية بقوى الاجرام الارضية ليتألف من ذلك قوة تفعل فعلا غريبا فى العالم الارضى (السادس) علم النيرنجات وهو مزج قوى الجواهر الارضية ذوات الخواص لتحدث منه أمور غريبة (السابع) علم الكيمياء ومقصوده تبديل خواص الجواهر المعدنية ليتوصل به الى تحصيل الذهب والفضة بنوع من الحيل وليس يلزم مخالفتهم شرعا فى شئ من هذه العلوم وانما نخالفهم من جملة هذه العلوم فى أربعة مسائل (الاولى) حكمهم بان هذا الاقتران المشاهد فى الوجود بين الاسباب والمسببات اقتران تلازم بالضرورة وليس فى المقدور ولا فى الامكان ايجاد السبب دون المسبب ولا وجود المسبب دون السبب وأثر هذا الخلاف يظهر فى جميع الطبيعيات (والثانية) فى قولهم ان النفوس الانسانية جواهر قائمة بأنفسها ليست منطبعة فى الجسم وان معنى الموت انقطاع علاقتها عن البدن بانقطاع التدبير والا فهو قائم بنفسه فى كل حال وزعموا أن ذلك عرف بالبرهان العقلى (والثالثة) قولهم ان هذه النفوس يستحيل عليها العدم بل هى اذا وجدت فهى أبدية سرمدية لا يتصور فناؤها (الرابعة) قولهم يستحيل رد هذه النفوس الى الاجساد وانما يلزم النزاع فى الاولى من حيث انه ينبنى عليها اثبات المعجزات الخارقة للعادة من قلب العصا ثعبانا واحياء الموتى وشق القمر ومن جعل مجارى العادات لازمة لزوما ضروريا أحال جميع ذلك وأولوا ما فى القرآن من احياء الموتى وقالوا أراد به ازالة موت الجهل بحياة العلم وأولوا تلقف العصا سحر السحرة بابطال الحجة الالهية الظاهرة على يد موسى شبهات المنكرين وأما شق القمر فربما أنكروا وجوده وزعموا انه لم يتواتر ولم يثبت الفلاسفة من المعجزات الخارقة للعادات الا ثلاثة أمور (أحدها) خاصية فى القوة المتخيلة فانهم زعموا أنها اذا استولت وقويت ولم يستغرقها الحواس بالاشتغال اطلعت على اللوح المحفوظ وانطبع فيها صور الجزئيات الكائنة فى المستقبل وذلك فى اليقظة للانبياء ولسائر الناس فى النوم فهذه خاصية النبوة التى هى للقوة المتخيلة (الثانية) خاصية فى القوة العقلية النظرية وهو راجع الى قوة الحدس وهو سرعة الانتقال من معلوم الى معلوم ورب ذكى اذا ذكر له المدلول تنبه للدليل واذا ذكر له الدليل تنبه للمدلول من نفسه وبالجملة اذا خطر له الحد الاوسط تنبه للنتيجة واذا حضر فى ذهنه حد النتيجة خطر بباله الحد الاوسط الجامع بين طرفى النتيجة والناس فى هذا منقسمون فمنهم من يتنبه بنفسه ومنهم من يتنبه بأدنى تنبيه ومنهم من لا يدرك مع التنبيه الا بتعب كثير واذا جاز أن ينتهى طرف النقصان الى من لا حدس له أصلا حتى لا يتهيأ لفهم المعقولات مع التنبيه جاز أن ينتهى طرف القوة والزيادة الى أن يتنبه لكل المعقولات أو لاكثرها وفى أسرع الاوقات وأقربها ويختلف ذلك بالكمية

بالكلية في جميع المطالب أو في بعضها وفي الكيفية حتى يتفاوت في السرعة والقرب فرب نفس مقدسة صافية تستمر حدسها في جميع المعقولات وفي أسرع الأوقات فهي نفس النبي الذي له معجزة من القوة النظرية فلا يحتاج في المعقولات الى معلم بل كأنه قد يتعلم من نفسه وهو الذي وصف بأنه يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور (الثالث) القوة النفسية العملية وقد تنتهي الى حد يتأثر بها الطبيعيات ويتسخر لها ومثاله أن النفس منا اذا توهم شيأ خدمته الأعضاء والقوى التي فيها حركة فتحركت الى الجهة المتخيلة المطلوبة حتى اذا توهم شيأ طيب المذاق تحلبت أشداقه وانتهضت القوة الملعبة فياضة باللعاب من معادنها واذا تصور الوقاع انتهضت القوة فنشرت الآلة بل اذا مشى على جذع ممدود على فضاء طرفاه على حائطين اشتد توهمه الى السقوط فانفعل الجسم بتوهمه وسقط ولو كان ذلك على الارض لمشى عليه ولم يسقط وذلك لان الاجسام والقوى الجسمانية خلقت خادمة مسخرة للنفس ويختلف ذلك باختلاف صفاء النفس وقوتها فلا يبعد أن تبلغ قوة النفس الى حد تخدمه القوة الطبيعية في غير بدنه لان نفسه ليست منطبعة في بدنه الا أن له نوع نزوع وشوق الى تدبيره خلق ذلك في جبلته فاذا جاز أن تطيعه أجزاء بدنه لم يمتنع أن يطيعه غيره فتطلع نفسه الى هبوب ريح أو نزول مطر أو هجوم صاعقة أو تزلزل أرض لتخسف بقوم وذلك موقوف حصوله على حدوث برودة أو سخونة أو حركة في الهواء فيحدث من نفسه تلك السخونة والبرودة ويتولد منه هذه الامور من غير حضور سبب طبيعي ظاهر ويكون ذلك معجزة للنبي ولكنما انما يحصل ذلك في هواء مستعد للقبول ولا ينتهي الى أن ينقلب الخشب حيوانا وينفلق القمر الذي لا يقبل الانخراق فهذا مذهبهم في المعجزات ونحن لا ننكر شيأ مما ذكروه وان ذلك انما يكون للانبياء وانما ننكر اقتصارهم عليه ومنعهم قلب العصا ثعبانا واحياء الموتى وغيره فلزم الخوض في هذه لاثبات المعجزات ولامر آخر وهو نصرة ما أطبق عليه المسلمون من أن الله تعالى قادر على كل شيء فلنخض في المقصود (مسئلة) الاقتران بين ما يعتقد في العادة سببا وما يعتقد مسببا ليس ضروريا عندنا بل كل شيئين ليس هذا ذاك ولا ذاك هذا ولا اثبات أحدهما متضمن لاثبات الآخر ولا نفيه متضمن لنفي الآخر فليس من ضرورة وجود أحدهما وجود الآخر ولا من ضرورة عدم أحدهما عدم الآخر مثل الري والشرب والشبع والاكل والاحتراق ولقاء النار والنور وطلوع الشمس والموت وجز الرقبة والشفاء وشرب الدواء واسهال البطن واستعمال المسهل وهلم جرا الى كل المشاهدات من المقترنات في الطب والنجوم والصناعات والحرف وان اقترانها لما سبق من تقدير الله سبحانه لخلقها على التساوق لا لكونها ضروريا في نفسه غير قابل للفرق بل في المقدور خلق الشبع دون الاكل وخلق الموت دون جز الرقبة وادامة الحياة مع جز الرقبة وهلم جرا الى جميع المقترنات وانكر الفلاسفة امكانه وادعوا استحالته (والنظر في هذه الامور الخارجة عن الحصر يطول) فلنعين مثالا واحدا وهو الاحتراق في القطن مثلا مع ملاقاة النار فانا نجوز وقوع الملاقاة بينهما دون الاحتراق ونجوز حدوث انقلاب القطن رمادا محترقا دون ملاقاة النار وهم ينكرون جوازه (وللكلام في المسئلة) ثلاث مقامات (المقام الاول) أن يدعي الخصم ان فاعل الاحتراق هو النار فقط وهو فاعل بالطبع لا بالاختيار فلا يمكنه الكف عما هو طبعه بعد ملاقاته لمحل قابل له وهذا مما ننكره (بل نقول) فاعل الاحتراق بخلق السواد في

منشأ للكثرة بخلاف الامكان فانه نسبة بين الماهية والوجود فلا يكون عين أحدهما ضرورة أن النسبة مغايرة لكل واحد من المنتسبين وانما كان وجوب الوجود عين الوجود الذي هو عين الماهية اذ لو كان زائدا عليه قائما به كان ممكنا محتاجا الى علة فاعلية فعلته اما الذات فيتقدم الذات بالوجود والوجوب على الوجوب ضرورة تقدم العلة على المعلول بالوجود والوجوب فيلزم تقدم الشيء على نفسه اما غيره فلا يكون المبدأ الاول واجبا لذاته لاستفادته الوجود من غيره (قلت) وجوب الوجود كما يطلق على أمر وجودي هو نفس الذات لما ذكر من الدليل يطلق على معنيين آخرين أحدهما استغناء الوجود عن الغير والآخر اقتضاء الوجود المطلق اقتضاء تاما وكلامنا ليس في المعنى الاول بل في الآخرين ولا يتصور أن يكون شيء منهما نفس المبدأ لان الاقتضاء أمر اعتباري والاستغناء أمر سلبي ولا يكون شيء منهما موجودا خارجيا فلا يحتاج الى علة حتى يلزم ما ذكر من المحذور ولم يجوز أن يكون المبدأ الاول باعتباره سببا لامر غير ما كان سببا له من حيث هو وستسمع ما يتعلق بهذا المقام فيما بعد ان شاء الله تعالى وقد يقال ما ذكر من المعنيين لا يصلح أن يكون منشأ لصدور الكثرة أما الاستغناء فلما أن معناه سلب الاحتياج الى الغير وهو يتوقف على ثبوت الغير ولا يكون جهة لصدور الغير والا يلزم الدور وفيه نظر واما لانه نسبة بينه وبين الغير فيتوقف تحققه على تحقق الغير ولا يكون منشأ لصدور الغير (فان قلت) فيجوز ان يصدر عن المبدأ الاول باعتبار ذاته عقل أول ثم يصدر عن المبدأ أيضا باعتبار استغنائه عنه أمر آخر (قلت) هم لا يدعون بعد تعدد الوجود كثرة الاعتبارات في المبدأ الاول وصدور الكثرة عنه بتلك الاعتبارات وانما نزاعهم في كثرة الاعتبارات فيه وصدور الكثرة عنه بها قبل تعدد الوجود واما اقتضاء الوجود المطلق اقتضاء تاما فلان ما له سلب الاحتياج الى الغير ولا ينفع في التعبير عدم التعرض لحرف السلب اذ الاعتبار للمعاني لا للالفاظ وفيه أيضا نظر (وما ذكره الامام الغزالي رحمه الله)

من أن الوجوب لا يكون عين الوجود اذ يمكن أن ينتفي وجوب الوجود ويثبت الوجود غيره بوجه لان الوجود الذي يدعي كون الوجوب نفسه هو وجوده الخاص المخالف بالحقيقة لسائر الوجودات ولا نسلم انه يمكن اثباته مع نفي الوجوب الذي يمكن اثباته مع نفي الوجوب هو الوجود المطلق (الثاني) أن تعقل مبدئه اما أن يكون عين المعلول الاول أو غيره فان كان عينه فلا كثرة بهذا الاعتبار الا في العبارة وان كان غيره فمثل هذه الكثرة موجودة في المبدأ الاول فانه يعقل ذاته ويعقل غيره فلا يكون واحدا من كل وجه فيجوز أن يكون اعتبار هذه الكثرة مبدأ للكثير وزعم بعضهم ان علم الله تعالى بذاته هو عين ذاته وعلمه بلوازمه منطو في علمه بذاته فيكون راجعا الى ذاته فلا كثرة في المبدأ الاول باعتبار علمه بذاته وبغيره وبينوا كيفية هذا الانطواء بانه يعلم ذاته على ما هي عليه وذاته وجود محض هو ينبوع وجود الماهيات كلها على ترتيبها فان علم نفسه مبدأ لها انطوى علمه بها في علمه بذاته وان لم يعلم نفسه مبدأ لم يعلم نفسه على ما هي عليه وهو محال لانه انما علم ذاته لانها غير غائبة عن ذاته وهو كما هو عليه مكشوف لذاته فالعلم بالكل منطو تحت علمه بذاته ولا يؤدي ذلك الى كثرة في ذاته وفي علمه (قالوا) وان شئت زيادة ايضاح فاعتبر بحال الانسان فان له في العلم ثلاثة أحوال (أحدها) أن يفصل صور المعلومات في نفسه (وثانيها) أن يكون له قوة تفصيلها من غير أن يكون له في نفسه علم حاضر (وثالثها) ان تحضر عنده حالة بسيطة اجمالية هي مبدأ التفاصيل كما اذا علم مسئلة وغفل عنها ثم سئل فانه يحضر الجواب في ذهنه دفعة من غير تفصيل ثم اذا خاض فيه فصله مستمدا من ذلك الامر البسيط الذي حصل له عقيب السؤال وليس في هذه الحالة علوم متعددة بحسب أجزاء الجواب بل علم واحد بسيط منطو فيه العلم باجزاء الجواب وعلم الاول تعالى بالكل من قبيل الحالة الثالثة وهذا الزعم فاسد لان الغير الذي هو معلولات له تعالى لازم لذاته لا مقوم له فكيف يكون العلم به منطويا تحت علمه بذاته بأنا نعلم قطعا أن الانسانية

القطن والتفرق في أجزائه وجعله حراقا أو رمادا هو الله تعالى اما بواسطة الملائكة أو بغير واسطة فاما النار فهي جماد لا فعل لها (فما الدليل) على أنها الفاعل وليس لهم دليل الا مشاهدة حصول الاحتراق عند ملاقاة النار والمشاهدة تدل على الحصول عنده ولا تدل على الحصول به وانه لا علة سواه اذ لا خلاف أن ايجاد الروح والقوى المدركة والمحركة في نطفة الحيوانات ليس يتولد عن الطبائع المحصورة في الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة ولا ان الاب فاعل ابنه بايداع النطفة في الرحم ولا هو فاعل حياته وبصره وسمعه وسائر المعاني التي هي فيه ومعلوم انها موجودة عنده ولم نقل انها موجودة به بل وجودها من جهة الاول اما بغير واسطة واما بواسطة الملائكة الموكلين بهذه الامور الحادثة وهذا مما يقطع به الفلاسفة القائلون بالصانع والكلام معهم فقد تبين ان الموجود عند الشيء لا يدل على انه موجود به (بل نبين) هذا بمثال وهو ان الاكمه لو كان في عينه غشاوة ولم يسمع من الناس الفرق بين الليل والنهار ولو انكشفت الغشاوة عن عينه نهارا وفتح أجفانه فرأى الالوان ظن ان الادراك الحاصل في عينه بصور الالوان فاعله فتح البصر وانه مهما كان بصره سليما ومفتوحا والحجاب مرتفعا والشخص المقابل متلونا فيلزم لا محالة أن يبصر ولا يعقل انه لا يبصر حتى اذا غربت الشمس وأظلم الهواء علم أن نور الشمس هو السبب في انطباع الالوان في بصره فمن أين يأمن الخصم أن يكون في المبادي للوجود علل وأسباب تفيض منها هذه الحوادث عند حصول ملاقاة بينها الا انها ثابتة ليست تنعدم ولا هي أجسام متحركة فتغيب ولو انعدمت أو غابت لادركنا التفرقة وفهمنا ان ثم سببا وراء ما شاهدناه وهذا لا مخرج منه على قياس أصلهم ولهذا اتفق محققوهم على ان هذه الاعراض والحوادث التي تحصل عند وقوع الملاقاة بين الاجسام وعلى الجملة عند اختلاف نسبها انما تفيض من عند واهب الصور وهو ملك أو ملائكة حتى قالوا انطباع صور الالوان في العين يحصل من جهة واهب الصور وانما طلوع الشمس والحدقة السليمة والجسم المتلون معدات ومهيئات لقبول المحل هذه الصورة وطردوا هذا في كل حادث وبهذا يبطل دعوى من يدعي أن النار هي الفاعلة للاحراق والخبز هو الفاعل للشبع والدواء هو الفاعل للصحة الى غير ذلك من الاسباب (المقام الثاني) مع من يسلم ان هذه الحوادث تفيض من مبادي الحوادث ولكن الاستعداد لقبول الصور يحصل بهذه الاسباب المشاهدة الحاضرة الا أن تلك المبادي أيضا تصدر الاشياء عنها باللزوم والطبع لا على سبيل التروي والاختيار كصدور النور من الشمس وانما افترقت المحال في القبول لاختلاف استعدادها فان الجسم الصقيل يقبل شعاع الشمس ويرده حتى يستضيء به موضع آخر والمدر لا يقبل والهواء لا يمنع نفوذ نوره والحجر يمنع وبعض الاشياء يلين بالشمس وبعضها يتصلب وبعضها يبيض كثوب القصار وبعضها يسود كوجهه والمبدأ واحد والآثار مختلفة لاختلاف الاستعدادات في المحل فكذا مبادي الوجود فياضة بما هو صادر منها لا منع عندها ولا بخل وانما التقصير من القوابل واذا كان كذلك فمهما فرضنا النار بصفتها وفرضنا قطنتين متماثلتين لاقتا النار على وتيرة واحدة فكيف يتصور ان تحترق احداهما دون الاخرى وليس ثم اختيار وعن هذا المعنى أنكروا وقوع ابراهيم صلى الله على نبينا وعليه وسلم في النار مع عدم الاحتراق وبقاء النار نارا اذ زعموا ان ذلك لا يمكن الا بسلب الحرارة من النار وذلك يخرجه من كونه نارا

والضاحكية مثلا لما كانا متغايرين وجب أن يكون العلم باحدهما غير العلم بالآخر وغير منطو تحته بخلاف الانسانية والناطقية فما ذكر
من الحالة الثالثة فالمنطوي فيها تحت ذلك الامر البسيط هو أجزاء الجواب لا لوازمه فان المركب اذا علم بحقيقته حصل في الذهن صورة
واحدة مركبة من صور متعددة بحسب الاجزاء والعقل حينئذ متوجه قصدا الى ذلك المركب دون أجزائه فانها مع حصول صورها
في العقل كالمخزون المعرض عنه الذي لا يلتفت اليه فاذا توجه العقل اليها وفصلها صارت مخطرة بالبال ملحوظة قصدا
منكشفا بعضها عن بعض انكشافا تاما لم يكن ذلك الانكشاف حاصلا له في الحالة الاولى مع حصول صور الاجزاء في الحالتين معا (فان قيل) معلولات الاول وان كانت لازمة له غير مقومة لذاته الا أنها داخلة في مفهوم كون الذات مبدأ للغير والمقصود أن علم الاول بكونه مبدأ للغير منطو تحته العلم بالغير وعلمه بكونه مبدأ للغير علم اجمالي كعلمنا بالمسئلة التي علمناها قبل ثم غفلنا عنه ثم سئلنا فانه كما يحصل لنا عقيب السؤال حالة بسيطة هي علم بالمسئلة وينطوي تحته العلم باجزائها كذلك علمه تعالى بكونه مبدأ للغير (قلنا) فحينئذ يمتنع كون العلم بكونه مبدأ للغير نفس الذات وان كان العلم بحقيقة الذات هو عينها فان المبدئية اضافة لازمة لها بالقياس الى الغير والعلم بالاضافة غير العلم بالمضاف وما هو نفس الذات هو العلم بذات المضاف ولو كان العلم بالمبدئية عين العلم بالذات لكان علم العقل الاول بكونه معلولا
للاول وعلمه لما عداه عين علمه بذاته وعلمه بذاته عين ذاته ولا تحصل له باعتبار علمه بمبدئه جهة كثرة وتعددها يصلح أن يكون منشأ
للكثرة (هذا) ثم اعلم ان الحكماء منهم من زعم انه تعالى لا يعلم غيره وعلمه بذاته هو عين ذاته بخلاف المعلول الاول فانه يعلم ذاته
وغيره وعلمه بذاته وان كان عين ذاته لكن علمه بغيره غير ذاته فيكون تعقل الغير جهة كثرة فيه يصدر باعتباره منه أمر غير ما يصدر عنه
من حيث هو بخلاف المبدا الاول اذ هو لا يعقل الغير فالسؤال الثاني ساقط عنهم الا أنه لا اعتداد بهم ولا بمذهبهم وليس كلامنا معهم

أو يقلب ذات ابراهيم وبدنه حجرا أو شيئا لا يؤثر فيه النار ولا هذا ممكن ولا ذاك (والجواب) له مسلكان
(الاول) أن نقول لا نسلم ان المبادي ليست تفعل بالاختيار وأن الله لا يفعل بالارادة وقد فرغنا من
ابطال دعواهم في ذلك في مسئلة حدوث العالم واذا ثبت أن الفاعل يخلق الاحتراق بارادته عند ملاقاة
القطنة النار أمكن في العقل أن لا يخلق مع وجود الملاقاة (فان قيل) فهذا يجر الى ارتكاب محالات
شنيعة فانه اذا أنكر لزوم المسببات عن أسبابها وأضيف الى ارادة مخترعها ولم يكن للارادة أيضا منهج
مخصوص متعين بل أمكن تفننه وتنوعه فليجوز كل واحد منا أن يكون بين يديه سباع ضارية ونيران
مشتعلة وجبال راسية وأعداء مستعدة بالاسلحة لقتله وهو لا يراها لان الله تعالى ليس يخلق الرؤية
له ومن وضع كتابا في بيته فليجوز أن يكون قد انقلب عند رجوعه الى بيته غلاما أمرد عاقلا
متصرفا أو انقلب حيوانا أو لو ترك غلاما في بيته فليجوز انقلابه كلبا أو ترك الرماد فليجوز انقلابه مسكا
وانقلاب الحجر ذهبا والذهب حجرا واذا سئل عن شيء من هذا فينبغي ان يقول لا أدري ما في البيت الآن
وانما القدر الذي أعلمه اني تركت في البيت كتابا ولعله الآن فرس وقد لطخ بيت الكتب ببوله وروثه
أو اني تركت في البيت جرة من الماء ولعلها انقلبت شجرة تفاح فان الله تعالى قادر على كل شيء وليس من
ضرورة الفرس أن يخلق من النطفة ولا من ضرورة الشجرة ان تخلق من البذر بل ليس من ضرورتها
أن تخلق من شيء فلعله خلق أشياء لم يكن لها وجود من قبل بل اذا نظر الى انسان لم يره الا الآن قيل له
هل هذا مولود فليتردد وليقل يحتمل ان يكون بعض الفواكه في السوق قد انقلب انسانا وهو ذلك
الانسان فان الله تعالى قادر على كل شيء ممكن وهذا ممكن فلا بد من التردد فيه وهذا فن يتسع المجال في
تصويره وهذا القدر كاف فيه (والجواب) ان نقول ان ثبت أن الممكن كونه لا يجوز ان يخلق للانسان
علم بعدم كونه لزم هذه المحالات ونحن لا نشك في هذه الصور التي أوردتموها فان الله تعالى خلق لنا
علما بان هذه الممكنات لم يفعلها ولم ندع ان هذه الامور واجبة بل هي ممكنة يجوز ان تقع ويجوز ان
لا تقع واستمرار العادة بها مرة بعد أخرى ترسخ في أذهاننا جريانها على وفق العادة الماضية ترسخا لا تنفك
عنه بل يجوز ان يعلم نبي من الانبياء بالطرق التي ذكروها ان فلانا لا يقدم من سفره غدا وقدومه ممكن
ولكن يعلم عدم وقوع ذلك الممكن بل كما ينظر الى العامي فيعلم انه ليس يعلم الغيب في أمر من الامور
ولا يدرك المعقولات من غير تعليم ومع ذلك فلا ينكر ان تتقوى نفسه وحدسه بحيث يدرك ما يدركه
الانبياء على ما اعترفوا بامكانه ولكن يعلمون ان ذلك الممكن لم يقع وان خرق الله العادة بايقاعها في زمان
تخرق العادات فيه انسلت هذه العلوم عن القلوب ولم يخلقها فلا مانع اذن من ان يكون الشيء ممكنا في
مقدورات الله تعالى ويكون قد جرى في سابق علمه انه لا يفعله مع امكانه في بعض الاوقات ويخلق لنا
العلم بانه ليس يفعله في ذلك الوقت فليس في هذا الكلام الا تشنيع محض (المسلك الثاني) وفيه الخلاص
من هذه التشنيعات وهو أنا نسلم أن النار خلقت خلقة اذا لاقاها قطنتان متماثلتان أحرقتهما ولم تفرق
بينهما اذا تماثلتا من كل وجه ولكنا مع هذا نجوز ان يلقى شخص في النار فلا يحترق اما بتغير صفة النار
أو بتغير صفة الشخص فيحدث من الله تعالى أو من الملائكة صفة في النار تقصر سخونتها على جسمها
بحيث لا تتعداها أو يبقى معها سخونتها وتكون على صورة النار حقيقتها ولكن لا تتعدى سخونتها وأثرها أو

ومن زعم ان علمه تعالى بذاته علم حضورى هو عين ذاته وعلمه بمعلولاته علم حصولى بان يحصل فى ذاته صور الكائنات فلا مدفع له عن
هذا الاشكال ومن متأخرى فلاسفة الاسلام من ذهب الى ان علمه تعالى بذاته وبجميع معلولاته علم حضورى فعلمه بذاته عين ذاته
وعلمه بمعلولاته عين معلولاته فليس فى الاول على مذهبهم علم يصلح ان يكون منشأ لصدور الكثرة عنه أما علمه بذاته فلانه عين ذاته
وأما علمه بمعلولاته فلانه عين معلولاته فلا يتصور أن يكون منشأ لصدور الكثرة عنه تعالى فى الدرجة الاولى لاستلزامه
تقدم الشئ على نفسه ثم ان منهم من جعل علم العقول بما تحتها من معلولاتها من هذا القبيل أيضا فلا يكون فيها باعتبار تلك العلوم كثرة متقدمة على معلولاتها بسببها يصلح أن يكون مبدأ للكثير وعلمها بما فوقها من عللها من قبيل العلم الحصولى وباعتباره تحصل فيها جهة كثرة تصير بها مبدأ للكثير ومنهم من جعل علم العقول على الاطلاق من قبيل الحضورى بناء على ان الفاعل للجميع هو المبدأ الاول والعقول آلات ووسائط فى ايجاد سائرها وسيأتى تحقيق مذهبهم فيما بعد ان شاء الله تعالى وهذا الاشكال أعنى السؤال الثانى ساقط عنهم أيضا الا انه يخالف ما عليه جمهورهم من ان علمه تعالى للنظام الاكمل سبب لوجوده وعلة لفيضان الكل منه وأيضا يرد على من جعل علم العقول من قبيل العلم الحضورى أن لا يكون علمه تعالى بالاشياء أزليا لان وجود أكثر الممكنات انما هو
فيما لا يزال اللهم الا أن يدعى ان صور الاشياء حاصلة فى النفوس الفلكية حصول
أزلا بناء على انها عالمة بمبادى الاشياء أعنى العلة الاولى وسائر ما يستند اليها من العقول والعلم بالعلة يستلزم العلم بالمعلول وتلك الصور
حاضرة له تعالى لانها معلولة له فتكون علما له ولا يلزم خلوه فى الازل عن العلم بالاشياء الحادثة وأما من يدعى ان علم العقول صور قائمة
بها فهو يذهب الى ان تلك الصور كما انها علم للعقول كذلك هى علم للاول تعالى هذا (قال الامام الغزالى) المعلول الاول ينبغى أن

يحدث فى بدن الشخص صفة ولا يخرجه عن كونه لحما وعظما فيدفع أثر النار فانا نرى من يطلى نفسه
بالطلق ثم يقعد فى تنور موقد فانه لا يتأثر بالنار والذى لم يشاهد ذلك ينكره وانكار الخصم اشتمال
القدرة على اثبات صفة من الصفات فى النار أو فى البدن تمنع الاحتراق كانكار من لم يشاهد الطلق
وأثره وفى مقدورات الله تعالى غرائب وعجائب ونحن لم نشاهد جميعها فلا ينبغى ان ينكر امكانها او يحكم
باستحالتها وكذلك احياء الميت وقلب العصا ثعبانا ممكن بهذا الطريق وهو ان المادة قابلة لكل شئ
فالتراب وسائر العناصر يستحيل نباتا ثم النبات يستحيل عند أكل الحيوان له دما ثم الدم يستحيل منيا ثم
المنى ينصب فى الرحم فيتخلق حيوانا وهذا بحكم العادة واقع فى زمان متطاول فلم يحيل الخصم ان يكون
فى مقدورات الله تعالى ان يدير المادة فى هذه الاطوار فى وقت أقرب مما عهد فيه واذا جاز فى وقت
أقرب فلا ضبط للاقل فتستعجل هذه القوى فى عملها او يحصل به ما هو معجزة النبى (فان قيل) وهذه
تصدر من نفس النبى أو من مبدأ آخر من المبادى عند اقتراح النبى (قلنا) وما سلمتموه من جواز نزول
الامطار والصواعق وتزلزل الارض بقوة نفس النبى يحصل منه أو من مبدأ آخر فقولنا فى هذه
كقولكم فى ذلك والاولى بنا وبكم اضافة ذلك الى الله تعالى اما بغير واسطة أو بواسطة الملائكة ولكن
وقت استحقاق حصولها انصرفت همة النبى اليه وتعين نظام الخير فى ظهوره لاستمرار نظام الشرع
فيكون ذلك مرجحا جهة الوجود ويكون الشئ فى نفسه ممكنا والمبدأ به سمحا جوادا ولكن لا يفيض
منه الا اذا ترجحت الحاجة الى وجوده وصار الخير متعينا فيه الا اذا احتاج نبى فى اثبات نبوته اليه
لافاضة الخير فهذا كله لائق بمساق كلامهم ولازم لهم مهما فتحوا باب الاختصاص للنبى بخاصية تخالف
عادة الناس فان مقادير ذلك الاختصاص لا ينضبط فى العقل امكانه فلم يجب معه التكذيب لما تواتر نقله
وورد الشرع بتصديقه وعلى الجملة لما كان لا يقبل صورة الحيوان الا النطفة وانما تفيض القوى الحيوانية
عليها من الملائكة التى هى مبادى الموجودات عندهم ولم يتخلق قط من نطفة الانسان الا انسان ومن
نطفة الفرس الا فرس من حيث ان حصوله من الفرس أوجب ترجيحا لمناسبة صورة الفرس على
سائر الصور فلم يقبل الا الصورة المرجحة بهذا الطريق وكذلك لم ينبت من الشعير قط حنطة ولا من
بذر الكمثرى تفاح ثم رأينا أجناسا من الحيوانات تتولد من التراب ولا تتوالد قط كالديدان ومنها
ما يتولد ويتوالد جميعا كالفأر والحية والعقرب وكان تولدها من التراب ويختلف استعدادها لقبول
الصور بامور غابت عنا ولم يكن فى القوة البشرية الاطلاع عليها اذ ليس تفيض الصور عندهم من
الملائكة بالتشهى ولا جزافا بل لا يفيض على كل محل الا ما تعين قبوله بكونه مستعدا فى نفسه
والاستعدادات مختلفة ومباديها عندهم امتزاجات الكواكب واختلاف نسب الاجرام العلوية فى حركاتها
وقد اتضح من هذا ان مبادى الاستعدادات فيها غرائب وعجائب حتى توصل أرباب الطلسمات من
علم خواص الجواهر المعدنية وعلم النجوم الى مزج القوى السماوية بالخواص المعدنية واتخذوا اشكالا
من هذه الارضية وطلبوا لها طالعا مخصوصا من الطوالع وأحدثوا بها أمورا غريبة فى العالم فربما دفعوا
الحية والعقرب عن بلد والبق عن بلد الى غير ذلك من أمور تعرف من علم الطلسمات فاذا خرجت عن
ضبط مبادى الاستعدادات ولم نقف على كنهها ولم يكن لنا سبيل الى حصرها فمن أين تعلم استحالة

لا يعقل الا نفسه لانه لو عقل غيره لكان ذلك التعقل غير ذاته ولافتقر الى علة غير علة ذاته لان علة ذاته واحد حقيقي عندهم والواحد الحقيق لا يصدر عنه الا الواحد ولا علة ثمة غير علة ذاته فينبغي أن لا يعقل غيره وليس ذلك التعقل واجب الوجود لذاته حتى يستغني عن العلة لامتناع تعدد الواجب وليس أيضا من ضرورة المعلول الاول ككونه ممكن الوجود فان امكان الوجود ضروري في كل معلول أما كون المعلول عالما بالعلة ليس ضروريا في وجود ذاته فظهر ان الكثرة الحاصلة من علمه بالمبدأ محال اذ ليس له علة حتى تحصل بها وليس أيضا واجب الوجود ولا من ضرورة وجود ذات المعلول (قال) وهذا لا مخرج منه ويمكن التفصي عنه بان يقال لم لا يجوز ان يصدر تعقل المعلول الاول مبدأه من المبدأ الاول فانهم لم يمنعوا من كون الواحد مصدرا للكثير اذا كان هناك شرط أو واسطة ثم يصدر من المبدأ الاول بواسطة تعقل المعلول الاول ذاته ومبدأه تعقله للعقل الثاني وهكذا ثم ان كلامه رحمه الله تعالى يشعر بان لوازم الماهيات ضرورية لا تحتاج الى علة وليس كذلك فانها وان لم تقتض العلة باعتبار وجودها لكونها غير موجودة لكنها مقتضية لها باعتبار اتصاف الماهية بها لان الاتصاف من حيث هو هو ليس مما يستغني عن العلة كما يذكره فيما بعد والامكان سببه الماهية باعتبار الوجود وليس وصفا موجودا في الخارج حتى يحتاج الى علة موجودة في الخارج قبله فيلزم تأخر الامكان عن وجود الممكن في الخارج (الثالث) ان تعقل المعلول الاول لنفسه لا يجوز ان يكون نفسه لان العلم غير المعلوم فهو غيره فيكون في المبدا الاول كذلك فيلزم فيه كثرة باعتبارها يصلح أن يكون مبدأ حقيقة للكثرة (وجوابه) ان تعقله لذاته عين ذاته وكون العلم غير المعلوم انما هو في تعقل الشيء غيره فان التعقل هو الماهية المجردة عن الغواشي الغريبة واللواحق المادية الحاضرة عند الذات المجردة وذاته ماهية مجردة حاضرة عندها غير غائبة عنها (الرابع) أن جرم الملك الاعظم لزم عندهم من معنى بسيط في ذات المبدأ

حصول استعدادات في بعض الاجسام للاستحالة في الاطوار في أقرب زمان حتى يستعد لقبول صورة ما كان يستعد لها من قبل وينتهض ذلك معجزة وما انكار هذا الا لضيق الحوصلة والانس بالموجودات العالية والذهول عن أسرار الله سبحانه في الخلقة والفطرة ومن استقرأ عجائب العلوم لم يستبعد من قدرة الله ما يحكى من معجزات الانبياء بحال من الاحوال (فان قيل) فنحن نساعدكم على ان كل ممكن مقدور لله تعالى وأنتم تساعدون على ان كل محال فليس بمقدور ومن الاشياء ما يعرف استحالته ومنها ما يعرف امكانه ومنها ما يقف العقل عنده فلا يقضي فيه باستحالة ولا امكان فالآن ما حد المحال عندكم فان رجع الى الجمع بين النفي والاثبات في شيء واحد فقولوا ان كل شيئين ليس هذا ذاك ولا ذاك هذا فلا يستدعي وجود أحدهما وجود الآخر وقولوا ان الله تعالى يقدر على خلق ارادة من غير علم بالمراد وخلق علم من غير حياة ويقدر على ان يحرك يد ميت ويقعده ويكتب بيده مجلدات ويتعاطى صناعات وهو مفتوح العين محدق بصره نحوه ولكنه لا يرى ولا حياة فيه ولا قدرة له عليه وانما هذه الافعال المنظومة يخلقها الله تعالى مع تحريك يده والحركة من جهة الله وبتجويز هذا يبطل الفرق بين الحركة الاختيارية وبين الرعدة ولا يدل الفعل المحكم على العلم ولا على قدرة الفاعل وينبغي ان يقدر على قلب الاجناس فيقلب الجوهر عرضا ويقلب العلم قدرة والسواد بياضا والصوت رائحة كما اقتدر على قلب الجماد حيوانا والحجر ذهبا ويلزم عليه أيضا من المحالات ما لا حصر له (والجواب) أن المحال غير مقدور عليه والمحال اثبات الشيء مع نفيه أو اثبات الاخص مع نفي الاعم أو اثبات الاثنين مع نفي الواحد وما لا يرجع الى هذا فليس بمحال وما ليس بمحال فهو مقدور أما الجمع بين السواد والبياض فمحال لانا نفهم من اثبات صورة السواد في المحل نفي ماهية البياض ووجود السواد فاذا صار نفي البياض مفهوما من اثبات السواد كان اثبات البياض مع نفيه محالا وانما لا يجوز كون الشخص في مكانين لانا نفهم من كونه في البيت عدم كونه في غير البيت فلا يمكن تقديره في غير البيت مع كونه في البيت المفهم لنفيه عن غيره وكذلك نفهم من الارادة طلب معلوم فان فرض طلب ولا علم لم تكن ارادة وكان فيه نفي ما فهمناه والجماد يستحيل ان يخلق فيه العلم لانا نفهم من الجماد ما لا يدرك فان خلق فيه ادراك فتسميته جمادا بالمعنى الذي فهمناه محال وان لم يدرك فتسمية الجماد عالما ولا يدرك به شيأ محال فهذا وجه استحالته (واما قلب الاجناس) فقد قال بعض المتكلمين انه مقدور لله تعالى فنقول مصير الشيء شيأ آخر غير معقول لان السواد اذا انقلب كدرة مثلا فالسواد باق أم لا فان كان معدوما فلم ينقلب بل عدم ذلك ووجد غيره وان كان موجودا مع القدرة فلم ينقلب ولكن انضاف اليه غيره وان بقي السواد والقدرة معدومة فلم ينقلب بل بقي على ما هو عليه واذا قلنا انقلب الدم منيا أردنا به ان تلك المادة بعينها خلعت صورتها ولبست صورة أخرى فرجع الحاصل الى أن صورة عدمت وصورة حدثت وثم مادة قائمة تعاقب عليها الصورتان فاذا قلنا انقلب الماء هواء بالتسخين أردنا به أن المادة القابلة لصورة المائية خلعت هذه الصورة وقبلت صورة أخرى فالمادة مشتركة والصورة متغيرة وكذلك اذا قلنا انقلب العصا ثعبانا والتراب حيوانا وليس بين العرض والجوهر مادة مشتركة ولا بين السواد والكدرة ولا بين سائر الاجناس مادة مشتركة فكان هذا محالا من هذا الوجه وأما تحريك الله تعالى يد ميت ونصبه على صورة حي يقعد ويكتب حتى يحدث

وفيه تركيب من ثلاثة أوجه فلا يجوز أن يكون المعنى الواحد مصدرا له (أحدها) انه مركب من عقو زه وهيولى وهما امتدا برثان
وليس احدهما علة مستقلة للاخرى حتى تكون احداهما بواسطة الاخرى من غير علة زائدة (وثانيها) ان الجرم الاقصى على حد
مخصوص فى الكبر فاختصاصه بذلك القدر من بين سائر المقادير لابد له من مخصص زائد على المعنى البسيط الموجب لوجوده لزيادة
الاختصاص بذلك القدر على وجوده ٧٠ وهذا بخلاف العقل فانه وجود محض لا يختص بمقدار دون مقدار فيجوز فيه
أن يقال لا يحتاج الا الى
علة بسيطة (وثالثها) ان
الفلك الاقصى فيه نقطتان
متقابلتان تسميان بالقطبين
لا يتبدل وضعهما أصلا
بخلاف النقط الباقية
المفروضة فان كان الفلك
الاقصى متشابه الاجزاء
فلم لزم تعيين نقطتين من
بين سائر النقط لكونهما
قطبين وان كان مختلفا
فى بعضها خواص ليس
فى البعض فما مبدأ تلك
الاختلافات (قال) وهذا
أيضا لا مخرج عنه
(والجواب) ان معلولات
العقل الاول لما كانت فى
بادئ النظر ثلاثة الفلك
الاقصى ونفسه والعقل
الثانى اكتفوا بالجهات
الثلاث وقالوا الفلك
الاقصى صدر عنه باعتبار
امكانه لا على معنى ان
الجهات الموجبة لكثرة
المعلول منحصرة فى هذه
الثلاثة ولا ان امكانه كاف
فى صدور الفلك بل لان
المعلول فى الظاهر ثلاثة
وان الامكان له دخل فى
صدور الفلك باعتبار كونه
جهة لصدور مادته حتى
انهم صرحوا فى مواضع
غير معدودة بان هيولى الفلك الاقصى انما صدر عن العقل الاول باعتبار امكانه وصورته باعتبار وجوده وما ذكره الامام المماء
الرازى من ان لجسم الفلك من كل مقولة من الاعراض نوعا واحدا وأنواعا من الكم والاين والمتى وأن يفعل وأن ينفعل فاذا أسند ما
هذه الاشياء الى جهتين أو ثلاثة أو أربعة فقد أسندنا الى الجهة الواحدة أكثر من واحد فيمكن دفعه بان يقال اذا جاز الموجود الاثنين
والثلاثة ينفتح باب الكثرة فى المعلولات فيجوز أن تصدر الهيولى والصورة والنفس باعتبار الجهات الثلاث ثم تصدر اعراض مختلفة

من حركة يده الكتابة المنظومة فليس بمستحيل فى نفسه مهما أحلنا الحوادث الى ارادة مختار وانما هو
مستنكر لاطراد العادة بخلافه وقولكم يبطل به دلالة أحكام الفعل على علم الفاعل فليس كذلك فان
الفاعل الآن هو الله تعالى وهو المحكم وهو عالم به فاما قولكم انه لا يبقى فرق بين الرعدة والحركة المختارة
فنقول انما أدركنا ذلك من أنفسنا لانا شاهدنا من أنفسنا تفرقة ضرورية بين الحالتين فعبرنا عن ذلك
الفارق بالقدرة فعرفنا ان الواقع من القسمين الممكنين أحدهما فى حالة والآخر فى حالة وهو ايجاد الحركة
مع القدرة عليها فى حالة وايجاد الحركة دون القدرة فى حالة أخرى وأما اذا نظرنا الى غيرنا ورأينا حركات
كثيرة منظومة حصل لنا العلم بقدرته فهذه علوم يخلقها الله تعالى بمجارى العادات يعرف بها وجود
أحد قسمى الامكان ولا يتبين بها استحالة القسم الثانى كما سبق (مسئلة) فى تعجيزهم عن اقامة البرهان
العقلى على أن نفس الانسان جوهر روحانى قائم بنفسه لا يتحيز وليس بجسم ولا منطبع فى الجسم ولا
هو متصل بالبدن ولا منفصل عنه كما أن الله تعالى ليس بخارج العالم ولا داخل العالم وكذا الملائكة
عندهم (والخوض) فى هذا يستدعى شرح مذهبهم فى القوى الحيوانية والانسانية (والقوى الحيوانية)
تنقسم عندهم الى قسمين محركة ومدركة (والمدركة) قسمان ظاهرة وباطنة (فالظاهرة) هى الحواس
الخمس وهى معان منطبعة فى الاجسام أعنى هذه القوى (وأما الباطنة) فثلاثة (احداها) القوة الخيالية
فى مقدم الدماغ وراء القوة الباصرة وفيها تبقى صور الاشياء المرئية بعد تغميض العين بل ينطبع فيها
ما تورده الحواس الخمس فيجتمع فيه ويسمى الحس المشترك لذلك ولولاه لكان من رأى العسل الابيض لم
يدرك حلاوته الا بالذوق فاذا رآه ثانيا لم يدرك حلاوته ما لم يذق كالمرة الاولى ولكن فيه معنى يحكم بان هذا
الابيض هو الحلو فلا بد وان يكون عنده حاكم قد اجتمع عنده الامران أعنى اللون والحلاوة حتى قضى
عند وجود أحدهما بوجود الآخر (والثانية) القوة الوهمية وهى التى تدرك المعانى وكانت القوة الاولى
تدرك الصور والمراد بالصور ما لا بد لوجوده من مادة أى جسم والمراد بالمعانى ما لا يستدعى وجوده جسما
ولكن قد يعرض له أن يكون فى جسم كالعداوة والموافقة فان الشاة تدرك من الذئب لونه وشكله وهيئته
وذلك لا يكون فى جسم وتدرك أيضا كونه مخالفا لها وتدرك السخلة شكل الام ولونها ثم تدرك موافقتها
وملايمتها ولذلك تهرب من الذئب وتعدو خلف الام والمخالفة والموافقة ليس من ضرورتهما أن يكونا
فى الاجسام كاللون والشكل ولكن قد يعرض لهما أن يكونا فى الاجسام أيضا فكانت هذه القوة مباينة
للقوة الثانية وهذا محله التجويف الاخير من الدماغ (اما الثالثة) فهى القوة التى تسمى فى الحيوان
متخيلة وفى الانسان مفكرة وشأنها أن تركب الصور المحسوسة بعضها مع بعض وتركب المعانى على الصور
وهى بالتجويف الاوسط بين حافظ الصور وحافظ المعانى ولذلك يقدر الانسان على أن يتخيل أن فرسا
يطير وشخصا رأسه رأس انسان وبدنه بدن فرس الى غير ذلك من التركيبات وان لم يشاهد مثل ذلك
والاولى أن تلحق هذه القوة بالقوى المحركة كما سيأتى لا بالقوى المدركة وانما عرفت مواضع هذه القوى
بصناعة الطب فان الآفة اذا نزلت بهذه التجويفات اختلفت هذه الامور ثم زعموا أن القوة التى
تنطبع فيها صور المحسوسات بالحواس الخمس تحفظ تلك الصور حتى تبقى بعد القبول والشئ يحفظ
الشئ لا بالقوة التى بها يقبل فان الماء يقبل ولا يحفظ والشمع يقبل برطوبته ويحفظ بيبوسته بخلاف

المساء وكانت الحافظة لهذا الاعتبار غير القابلة فتسمى هذه قوة حافظة وكذا المعاني تنطبع في الوهمية وتحفظها قوة تسمى ذاكرة فتصير الادراكات الباطنة بهذا الاعتبار اذا ضم اليها المتخيلة خمسة كما كانت الظاهرة خمسة (وأما القوى المحركة) فتنقسم الى محركة على معنى انها باعثة على الحركة والى محركة على معنى انها مباشرة للحركة فاعلة والمحركة على انها باعثة هي القوة النزوعية الشوقية وهي التي اذا ارتسم في القوة الخيالية التي ذكرناها صورة مطلوب أو مهروب عنه بعثت القوى المحركة الفاعلة على التحريك ولها شعبتان شعبة تسمى قوة شهوانية وهي قوة تنبعث على تحريك تقرب به من الاشياء المتخيلة ضارة أو نافعة طلبا اللذة وشعبة تسمى قوة غضبية وهي قوة تنبعث على تحريك تدفع به الشئ المتخيل ضارا أو مفسدا طلبا للغلبة وبهذه القوة يتم الاجتماع التام على الفعل المسمى ارادة (وأما القوة المحركة) على انها فاعلة فهي قوة تنبعث في الاعصاب والعضلات من شأنها أن تشنج العضلات وتجذب الاوتار والرباطات المتصلة بالاعضاء الى جهة الموضع الذي فيه القوة أو ترخيها أو تمددها طولا وتصير الاوتار والرباطات الى خلاف الجهة فهذه قوى النفس الحيوانية على طريق الاجمال وترك التفصيل واما النفس العاقلة الانسانية المسماة بالناطقة عندهم والمراد بالناطقة العاقلة بالقوة لا بالفعل لان النطق أخص ثمرات العقل في الظاهر فنسبت اليه فلها قوتان قوة عالمة وقوة عاملة وقد يسمى كل واحدة عقلا ولكن باشتراك الاسم فالعاملة قوة هي مبدأ محرك لبدن الانسان الى الصناعات المرتبة الانسانية المستنبط ترتيبها بالرؤية الخاصة بالانسان وأما العالمة فهي التي تسمى النظرية وهي قوة من شأنها أن تدرك حقائق المعقولات المجردة عن المادة والمكان والجهة وهي القضايا الكلية التي يسميها المتكلمون أحوالا مرة ووجودا أخرى وتسميها الفلاسفة الكليات المجردة فاذن للنفس قوتان بالقياس الى جهتين القوة النظرية بالقياس الى جنبة الملائكة اذ بها تأخذ من الملائكة العلوم الحقيقية وينبغي أن تكون هذه القوة دائمة القبول من جهة فوق والقوة العملية لها بالنسبة الى أسفل وهي جهة البدن وتدبيره واصلاح الاخلاق وهذه القوة ينبغي أن تتسلط على سائر القوى البدنية وأن تكون سائر القوى متأدبة بتأديبها مقهورة دونها حتى لا تنفعل ولا تتأثر هي عنها بل تنفعل تلك القوى عنها لئلا يحدث في النفس من الصفات البدنية هيآت انقيادية تسمى رذائل بل تكون هي الغالبة ليحصل للنفس بسببها هيآت تسمى فضائل فهذا ايجاز ما فصلوه من القوى الحيوانية والانسانية وطولوا بذكرها مع الاعراض عن ذكر القوى النباتية اذ لا حاجة الى ذكرها في غرضنا وليس شئ مما ذكروه مما يجب انكاره في الشرع فانها أمور مشاهدة أجرى الله تعالى العادة بها (وانما نريد) أن نعترض الآن على دعواهم معرفة كون النفس جوهرا قائما بنفسه ببراهين العقل ولسنا نعترض اعتراض من يبعد ذلك من قدرة الله تعالى أو يرى ان الشرع جاء بنقيضه بل ربما نبين في تفصيل الحشر والنشر ان الشرع مصدق له ولكنا ننكر دعواهم دلالة مجرد العقل والاستغناء عن الشرع فيه فنطالبهم بالادلة (ولهم) فيه براهين كثيرة بزعمهم (الاول) قولهم ان العلوم العقلية تحل النفس الانسانية وهي محصورة وفيها آحاد لا تنقسم ولا بد وان يكون محله أيضا لا ينقسم وكل جسم منقسم فدل أن محله شئ لا ينقسم ويمكن ايراد هذا على شرط المنطق باشكاله (وايراده أن يقال) ان كان محل العلم جسما منقسما فالعلم الحال فيه أيضا منقسم

غير محصورة بعضها بواسطة الصورة وبعضها بواسطة العرض وأما اختصاصه بمقدار مخصوص دون سائر المقادير فهو اما لكون هيولاه غير قابلة الا لذلك المقدار أو لكون صورته النوعية مقتضية لذلك المقدار المخصوص واما أن الفلك الاقصى فيه نقطتان لا يتبدل وضعهما بخلاف سائر النقط المفروضة فيه فهو لاجل تعين الحركة المخصوصة فان الفلك الاقصى اذا تحرك على الوجه الذي تحرك عليه فانه يستحيل عقلا أن تصير سائر النقط قطبا فتعين الاقطاب لتعين الحركة وتعين الحركة تابع لارادة المبدأ المحرك بقي الكلام في مخصص الارادة منهم من قال أصل الحركة للتشبه بالمبادي العالية في أن يحصل له بالفعل الكمالات التي يمكن حصولها له كما ان المبادي العالية قد حصل لها بالفعل ما هو ممكن الحصول لها من الكمالات وخصوصية الحركة للعناية بالسافلات قالوا ان الفلك لو تحرك لا على الوجه الذي تحرك عليه كان التشبه حاصلا لكن لا يحصل بها الانتظام الواقع في الانواع العنصرية على ما ينبغي فلذلك اختار المبدأ المحرك الحركة على هذا الوجه كما ان رجلا خيرا لو أراد أن يذهب الى موضع مهم له ثم يكون الى ذلك الموضع طريقان ويكون سلوكه لاحدهما نافعا للغير دون سلوك الطريق الآخر فان خيريته تحمل على سلوك الطريق النافع للغير فكذلك ههنا ورده الآخرون بان كل ما يفعل لغرض كان تحصيل ذلك الغرض أولى به فلو كان اختيار الخصوصية لاجل السافلات كانت النفوس الفلكية تستفيد النفع من السافلات ولو جاز ذلك لجاز أن يكون أصل الحركة أيضا للنفع في السافلات وأنتم لا تقولون به وذهب والي انه لما كانت حركة الفلك لاجل التشبه بالعقل احتمل أن لا يحصل التشبه الا بالحركة على الوجه الذي وقعت عليه فلذلك اختار المبدأ المحرك تلك الحركة على سائرها ورد هذا الوجه أيضا بان المعنى من هذا التشبه هو أن يحصل له بالفعل ما يمكن حصوله له من الاوضاع كما أن العقل قد حصل له ما يمكن حصوله له من الكمالات فاذن استحال أن لا يحصل التشبه الا بالحركة على الوجه المخصوص اذ لا فرق في

استخراج الاوضاع الممكنة من القوة الى الفعل بين هذه الحركة المخصوصة وبين غيرها (فان قلت) الاوضاع التي تحصل بهذه الحركة غير الاوضاع التي تحصل بغيرها فيحتمل أن لا يحصل التشبه الا بخروج هذه الاوضاع الى الفعل (قلت) التشبه ليس في حصول الحاصل بل في مجرد الخروج من القوة الى الفعل كما اعترفوا به فلا فرق بينهما في ذلك ورد بان خروج الكمالات الى الفعل أمر كلي لا يمكن أن يصير غرضا للحركة الجزئية بل يجب أن يكون الغرض منها أمرا جزئيا يلزمه هذا المعنى الكلي لكن لا سبيل لنا الى تعيين ذلك الامر الجزئي لما ان العقول البشرية قاصرة عن اكتناه أمثال ذلك فيجوز أن لا يحصل ذلك الغرض الجزئي الا بتلك الحركة المخصوصة وقيل يحتمل أن تكون هيولى كل فلك لا تقبل الا تلك الحركة المخصوصة فاختارها على السكون ليحصل الاوضاع الممكنة الحصول وبذلك تعين النقطتان للقطبية والظاهر انه لا فرق بين الحركة على هذين القطبين وبين الحركة على قطبين آخرين يكون بعد ما بين الاول والآخر في كل واحد من الجانبين قدر نصف عشر شعيرة فلا يتصور أن تكون طبيعة الهيولى قابلة لاحداهما دون الاخرى نعم لو كان ثمة أمور مختلفة لامكن أن يقال هي تقبل الحركة صوب أحدها دون الآخر (الخامس) انهم ذهبوا الى أن فلك الثوابت مستند الى العقل الثاني باعتبار ما له من الجهات من الامكان والوجود والوجوب وفيه من الكواكب ما لا يحصى والمرصودة منها ألف ونيف وعشرون كوكبا فيلزم اسناد الكثير الى الجهة الواحدة (لا يقال) بانقسام انهم لم يقطعوا بكون العقول منحصرة في العشرة فيجوز أن يكون مبدأ فلك الثوابت عقولا كثيرة (لانا نقول) هم وان لم يقطعوا بانحصارها في العشرة الا انهم جوزوا انحصارها فيها بل جعلوا الانحصار احتمالا راجحا وعرضنا بيان أنه لا يصلح لان يكون محتملا على أصولهم (لا يقال) لم لا يجوز أن يكون في العقل الثاني جهات متكثرة لم نطلع عليها ويصدر عنه باعتبارها تلك الكثرة اذ هم لم يقطعوا

لكن العلم الحال فيه غير منقسم فالمحل ليس جسما وهذا هو قياس شرطي استثنى فيه نقيض التالي فينتج نقيض المقدم بالاتفاق فلا نظر في صحة شكل القياس ولا نظر أيضا في المقدمتين فان الاول قولنا ان كل حال في منقسم ينقسم لا محالة بفرض القسمة في محله وهو أولى ولا يمكن التشكك فيه والثاني قولنا ان العلم الواحد يحل في الآدمي وهو لا ينقسم لانه لو انقسم الى غير نهاية كان محالا وان كان له نهاية فيشتمل على آحاد لا محالة لا تنقسم وعلى الجملة نحن نعلم أشياء ولا نقدر أن نفرض زوال بعضها وبقاء البعض من حيث انه لا بعض لها (الاعتراض) على مقامين (المقام الاول) ان يقال بم تنكرون على من يقول محل العلم جوهر فرد متحيز لا ينقسم وقد عرف هذا من مذهب المتكلمين ولا يبقى بعده الاستبعاد وهو انه كيف تحل العلوم كلها في جوهر فرد وتكون جميع الجواهر المطيفة به معطلة والاستبعاد لا خير فيه اذ يتوجه على مذهبهم أيضا انه كيف تكون النفس شيأ واحدا لا يتحيز ولا يشار اليه ولا يكون داخل البدن ولا خارجه ولا متصلا بالجسم ولا منفصلا عنه الا انا لا نؤثر في هذا المقام هذا فان القول في مسئلة الجزء الذي لا يتجزأ طويل (ولهم فيه أدلة هندسية يطول الكلام عليها) ومن جملتها قولهم جوهر فرد بين جوهرين هل يلاقي أحد الطرفين منه عين ما يلاقيه الآخر أو غيره فان كان عينه فهو محال اذ يلزم منه تلاقي الطرفين وان ملاقي الملاقي ملاق وان كان ما يلاقيه غيره ففيه اثبات التعدد والانقسام وهذه شبهة يطول حلها وبنا غنية عن الخوض فيها فلنعدل الى مقام آخر (المقام الثاني) ان نقول ما ذكرتموه من ان كل حال في جسم فينبغي أن ينقسم باطل عليكم بما تدركه القوة الوهمية التي في الشاة من عداوة الذئب فانها في حكم شئ واحد لا يتصور تقسيمه اذ ليس للعداوة بعض حتى يقدر ادراك بعضه وزوال بعضه وقد حصل ادراكها في قوة جسمانية عندكم فان نفوس البهائم منطبعة في الاجسام لا تبقى بعد الموت (وقد اتفقوا عليه) وان أمكنهم ان يتكلفوا تقدير الانقسام في المدركات بالحواس الخمس وبالحس المشترك وبالقوة الحافظة للصور فلا يمكنهم تقدير الانقسام في هذه المعاني التي ليس من شرطها أن تكون في مادة (فان قيل) الشاة لا تدرك العداوة المطلقة المجردة عن المادة بل تدرك عداوة الذئب المعين المشخص مقرونا بشخصه وبشكله والقوة العاقلة تدرك الحقائق مجردة عن المادة والاشخاص (قلنا) الشاة قد أدركت لون الذئب وشكله ثم عداوته فان كان اللون ينطبع في القوة الباصرة فكذا الشكل وينقسم بانقسام محل البصر فالعداوة بماذا تدركها فان أدركت بجسم فلينقسم ويا ليت شعري ما حال ذلك الادراك اذا قسم وكيف يكون بعضه أهو ادراك لبعض العداوة فكيف يكون لها بعض أو كل قسم ادراك لكل العداوة فتكون العداوة معلومة مرارا بثبوت ادراكها في كل قسم من أقسام المحل فاذن هذه شبهة مشككة لهم في برهانهم فلا بد من الحل (فان قيل) هذه مناقضة في المعقولات لا تنقض فانكم مهما لم تقدروا على الشك في المقدمتين وهو ان العلم الواحد لا ينقسم وان ما لا ينقسم لا يقوم بجسم منقسم لم يمكنكم الشك في النتيجة (والجواب) ان هذا الكتاب ما صنفناه الا لبيان التهافت والتناقض في كلام الفلاسفة وقد حصل اذ انتقض به أحد الامرين اما ما ذكروه في النفس الناطقة أو ما ذكروه في القوة الوهمية ثم نقول هذه المناقضة تبين انهم غفلوا عن موضع تلبيس في القياس ولعل موضع الالتباس قولهم ان العلم منطبع في الجسم انطباع اللون في المتلون وينقسم اللون بانقسام المتلون فينقسم العلم

بان حيثيات كل عقل منحصرة فى الثلاث أو الاربع (لانا نقول) اذا جاز أن يكون فى المعلول الثانى جهات متكثرة لم نطلع عليها فليجز أن يكون فى المعلول الاول أيضا كذلك فيحصل به الاستغناء عن العقول الباقية اذ يجوز حينئذ أن يصدر عن المعلول الاول باعتبار تلك الجهات اجرام الافلاك ونفوسها من غير احتياج الى عقل ثان وثالث وهم لا يجوزونه لانهم وان لم يقطعوا بانحصارها فى العشرة لكنهم جزموا بانها لا تكون أقل منها (لا يقال) جزمهم بانها لا تكون أقل من العشرة

انما كان لاختلاف حركات الافلاك لان حركتها للتشبه بها فلو كان المشبه به واحدا لكان الكل يتحرك الى جهة واحدة على حد واحد من السرعة والبطء (لانا نقول) بعد تسليم ان حركتها للتشبه فلا نسلم ان اختلاف الحركات يدل على تعدد المشبه به لجواز أن يكون المشبه به عقلا واحدا واختلاف الحركات لاختلاف جهة التشبه لا بد لهم من بيان لنفى هذا الاحتمال وأيضا لا يثبت وجود العقل العاشر اذ ليس ذلك يتشبه به حتى يدلنا على وجوده فيجوز أن يكون العقل التاسع الموجد للفلك التاسع موجدا للعالم العنصرى بواسطة حيثيات واعتبارات لم نطلع عليها (السادس) ان الامكان طبيعة واحدة لا تختلف الا بالمشخصات فكيف صدر عنه تارة الفلك الاقصى وتارة فلك غيره وتارة هيولى العالم العنصرى ولم يصدر عنه تارة شئ أصلا كما فى امكان زيد مثلا وأى مناسبة بين امكان المعلول الاول وبين وجود الفلك الاقصى وكذلك كيف يلزم من تعقل المعلول الاول نفسه وجود مبدأه شيآن آخران ولا يلزم ذلك فى انسان

(وجوابه) أنهم لم يقولوا ان امكان العقل الاول أوجب وجود جرم الفلك الاول بل ان العقل بخصوصية ذاته باعتبار امكانه يوجب ذلك ولا يلزم ان يفعل غير العقل الاول ما فعله بتوسط امكانه وان كان امكانهما متحدا بالحقيقة لان العقل الاول مخالف بالحقيقة لسائر الانواع عقولا كانت أو نفوسا أو اجساما فيجوز أن يكون العقل الاول يصدر عنه بواسطة امكانه فلك ولا يصدر عن غيره بواسطة

بانقسام محله والحلول فى لفظ الانطباع يمكن أن لا تكون نسبة العلم الى محله كنسبة اللون الى المتلون حتى يقال انه منبسط عليه ومنطبع فيه ومنتشر فى جوانبه فينقسم بانقسامه فلعل نسبة العلم الى محله على وجه آخر وذلك الوجه لا يجوز فيه الانقسام عند انقسام المحل بل نسبته اليه كنسبة ادراك العداوة الى الجسم ووجوه نسبة الاوصاف الى محالها ليست محصورة فى فن واحد ولا معلومة التفاصيل لنا علما نثق به فالحكم عليه دون الاحاطة بتفصيل النسبة حكم غير موثوق به وعلى الجملة لا ينكر ان ما ذكروه مما يقوى الظن ويغلبه وانما ينكر كونه معلوما يقينا علما لا يجوز الغلط فيه ولا يتطرق اليه الشك وهذا القدر مشكك فيه (دليل ثان) قالوا ان كان العلم بالمعلوم الواحد العقلى وهو المعلوم المجرد عن المادة منطبعا فى المادة انطباع الاعراض فى الجواهر الجسمانية لزم انقسامه بالضرورة بانقسام الجسم كما سبق وان لم يكن منطبعا فيه ولا منبسطا عليه واستكره لفظ الانطباع فنعدل الى عبارة أخرى ونقول هل للعلم نسبة الى العالم أم لا ومحال قطع النسبة فانه ان قطعت النسبة عنه فكونه عالما به لم صار أولى من كون غيره عالما به وان كان له نسبة فلا يخلو من ثلاثة أقسام اما أن تكون النسبة لكل جزء من أجزاء المحل أو تكون لبعض أجزاء المحل دون البعض أو لا يكون لواحد من الاجزاء نسبة اليه وباطل ان يقال لا نسبة لواحد من الاجزاء فانه اذا لم يكن للآحاد نسبة لم يكن للمجموع نسبة فان المجتمع من المباينات مباين وباطل ان يقال النسبة للبعض فان الذى لا نسبة له ليس له من معناه شئ وليس كلامنا فيه وباطل ان يقال لكل جزء مفروض نسبة الى الذات لانه ان كانت النسبة الى ذات العلم بأسره فمعلوم أن كل واحد من الاجزاء ليس هو جزأ من المعلوم بل المعلوم كما هو فيكون معقولا مرات لا نهاية لها بالفعل وان كان كل جزء له نسبة أخرى غير النسبة التى للجزء الآخر الى ذات العلم فذات العلم اذن منقسمة فى المعنى وقد بينا ان العلم بالمعلوم الواحد من كل وجه لا ينقسم فى المعنى وان كان نسبة كل واحد الى شئ من ذات العلم غير ما اليه نسبة الآخر فانقسام ذات العلم بهذا أظهر وهو محال ومن هذا يتبين ان المحسوسات المنطبعة فى الحواس الخمس لا تكون الا أمثلة لصور جزئية منقسمة فان الادراك معناه حصول مثال المدرك فى نفس المدرك ويكون لكل جزء من مثال المحسوس نسبة الى جزء من الآلة الجسمانية (والاعتراض على هذا ما سبق) فان تبديل لفظ الانطباع بلفظ النسبة لا يدرأ الشبهة فيما ينطبع فى القوة الوهمية للشاة من عداوة الذئب كما ذكروه فانه ادراك لا محالة وله نسبة اليه ويلزم فى تلك النسبة ما ذكرتموه فان العداوة ليست أمرا مقدورا له كمية مقدارية حتى ينطبع مثالها فى جسم مقدر وتنسب أجزاؤها الى أجزائه وكون شكل الذئب مقدرا لا يكفى فان الشاة أدركت شيأ سوى شكله وهو المخالفة والمضادة والعداوة والزيادة على الشكل من العداوة ليس لها مقدار وقد أدركته بجسم مقدر فهذه الصورة مشككة فى هذا البرهان كما فى الاول (فان قال قائل) هلا دفعتم هذه البراهين بان العلم يحل من الجسم فى جوهر متحيز لا يتجزأ وهو الجوهر الفرد (قلنا) ان الكلام فى الجوهر الفرد يتعلق بشبه هندسية يطول القول فى حلها ثم ليس فيه ما يدفع الاشكال فانه يلزم أن تكون القدرة والارادة أيضا فى ذلك الجزء فان للانسان فعلا ولا يتصور ذلك الا بقدرة وارادة ولا تتصور الارادة الا بعلم وقدرة وترى الكتابة فى اليد والاصابع والعلم بها ليس فى اليد اذ لا يزول بقطع اليد ولا ارادتها فى اليد فانه قد يريدها بعد شلل اليد

امكانه فذلك بل شئ أصلا وأما قوله وأى مناسبة بين امكان العقل الاول و وجود الفلك الاقصى فغير موجه لان المقصود بيان جهات متعددة فى أمر بسيط يصير بها مبدأ للكثير لا بيان خصوصية مناسبة بين تلك الجهة و بين الصادر ترتب عليها الصدور فان القوى البشرية قاصرة عن ادراك مثل تلك المناسبة فى أكثر الاشياء فكيف فى المبادى العالية وأما قوله وكذلك كيف لزم من تعقل المعلول الاول نفسه وجود أشياء من آخران ولا يلزم فى انسان فقد عرفت جوابه مما قلنا فى الامكان هذا ما ذكره الامام الغزالى من الاعتراضات عليهم فى هذا المقام وقد ذكر ههنا وجوه من الاعتراضات جارية مجرى ما ذكر فلا نطول الكلام بذكرها (قال الامام الغزالى) ما ذكره الحكماء من ان الله تعالى فاعل العالم وصانعه وان العالم فعله تلبيس منهم اذ لا يتصور على قوانينهم ان يكون العالم من صنع الله تعالى وفعله من ثلاثة أوجه وجه فى الفاعل ووجه فى الفعل ووجه فى نسبة مشتركة بينهما أما الذى فى الفاعل فهو انه لابد أن يكون المؤثر مختارا مريدا لما يفعله حتى يكون فاعلا والله تعالى عندهم موجب لا مختار وأما الذى فى الفعل فهو ان الفعل هو الحادث والعالم عندهم قديم فلا يكون فعلا له تعالى وأما الذى فى النسبة المشتركة فهو ان الله تعالى عندهم واحد من جميع الوجوه وعندهم ان الواحد من جميع الوجوه لا يصدر عنه الا الواحد والعالم مركب من مختلفات فلا يكون صادرا منه وفعلا له تعالى ثم قال ولنحقق وجه كل واحد من هذه الثلاثة ومحصول كلامه فى الاول هو أن الفاعل عبارة عمن يصدر عنه الفعل بالارادة ومن قال السراج يفعل الضوء والشخص يفعل الظل فهو مجازف أو متوسع فى التجوز توسعا خارجا عن الحد باطلاق الفاعل على ما ليس فاعلا بمجرد الاشتراك فى النسبة بدليل انه لو سلب الفعل عن الجماد وقيل الجماد لا فعل له وانما الفعل للحيوان لصح وكان كلاما مقبولا وصحة السلب من امارات المجاز كما علم فى موضعه وتقسيم الفعل الى الارادى والطبيعى غير صحيح على

وتتعذر لا لعدم الارادة بل لعدم القدرة (دليل ثالث) قولهم العلم لو كان فى جزء من الجسم لكان العالم ذلك الجزء دون سائر أجزاء الانسان والانسان يقال له عالم والعالمية صفة له على الجملة من غير نسبة الى محل مخصوص وهذا هوس فانه يسمى مبصرا وسامعا وذائقا وكذا البهيمة توصف به وذلك لا يدل على ان ادراك المحسوسات ليس بالجسم بل هو نوع من التجوز كما يقال فلان فى بغداد وان كان هو فى جزء من جملة بغداد لا فى جميعها ولكن يضاف الى الجملة (دليل رابع) قالوا ان كان العلم يحل جزأ من القلب أو الدماغ مثلا فالجهل ضده فينبغى أن يجوز قيامه بجزء آخر من القلب أو الدماغ و يكون الانسان فى حالة واحدة عالما وجاهلا بشئ واحد فلما استحال ذلك تبين ان محل الجهل هو محل العلم وان ذلك المحل واحد يستحيل اجتماع الضدين فيه فانه لو كان منقسما لما استحال قيام الجهل ببعضه والعلم ببعضه لان الشئ فى محل لا يضاده ضده فى محل آخر كما تجتمع البلوقية فى فرس واحد والسواد والبياض فى العين الواحدة ولكن فى محلين ولا يلزم هذا فى الحواس فانه لا ضد لادراكاتها ولكنه قد يدرك وقد لا يدرك فليس بينهما الا تقابل الوجود والعدم فلا جرم نقول يدرك ببعض أجزائه كالعين والاذن ولا يدرك بسائر بدنه وليس فيه تناقض ولا يغنى عن هذا قولكم ان العالمية مضادة للجاهلية والحكم عام لجميع البدن اذ يستحيل أن يكون الحكم فى غير محل العلة والعالم هو المحل الذى قام العلم به فان أطلق الاسم على الجملة فبالمجاز كما يقال هو فى بغداد وان كان هو فى بعضها وكما يقال هو مبصر وان كان بالضرورة يعلم ان حكم الابصار لا يثبت للرجل واليد بل يختص بالعين و تضاد الاحكام كتضاد العلل فان الاحكام تقتصر على محال العلل ولا يخلص على هذا قول القائل ان المحل المتهيئ لقبول العلم والجهل من الانسان واحد فيتضادان عليه فان عندكم ان كل جسم فيه حياة فهو قابل للعلم والجهل ولم يشترطوا سوى الحياة شريطة أخرى وسائر أجزاء البدن عندكم فى قبول العلم على وتيرة واحدة (الاعتراض) ان هذا ينقلب عليكم فى الشهوة والشوق والارادة فان هذه الامور تثبت للبهائم وللانسان وهى معان تنطبع فى الجسم ثم يستحيل ان ينفر عما يشتاق اليه فيجتمع فيه النفرة والميل الى شئ واحد بوجود الشوق فى محل والنفرة فى محل آخر وذلك لا يدل على انها لا تحل الاجسام وذلك لان هذه القوى وان كانت كثيرة ومتوزعة على آلات مختلفة فلها رابطة واحدة وهى النفس وذلك للبهيمة والانسان جميعا واذا اتحدت الرابطة استحالت الاضافات المتناقضة بالنسبة اليه وهذا لا يدل على كون النفس غير منطبع فى الجسم كما فى البهائم (دليل خامس) قولهم ان كان العقل يدرك المعقول بآلة جسمانية فهو لا يعقل نفسه والتالى محال فانه يعقل نفسه فالمقدم محال (قلنا) نسلم ان استثناء نقيض التالى ينتج نقيض المقدم ولكن اذا ثبت اللزوم بين التالى والمقدم فنقول من يسلم لزوم التالى وما الدليل عليه (فان قيل) الدليل عليه ان الابصار لما كان بجسم فالابصار لا يتعلق بالابصار فالرؤية لا ترى والسمع لا يسمع وكذا سائر الحواس فان كان العقل لا يدرك الا بجسم فلا يدرك نفسه والعقل كما يعقل غيره يعقل نفسه فان الواحد منا كما يعقل غيره يعقل نفسه و يعقل أنه عقل غيره وانه عقل نفسه (قلنا) ما ذكرتموه فاسد من وجهين (أحدهما) ان الابصار عندنا يجوز أن يتعلق بنفسه فيكون ابصاره لغيره ولنفسه كما يكون العلم الواحد علما بغيره وعلما بنفسه ولكن العادة جارية بخلاف ذلك وخرق العادات عندنا جائز (والثانى) وهو أقوى انا سلمنا هذا فى الحواس ولكن لما قلتم اذا امتنع

ذلك

سبيل الحقيقة وقولنا فعل بالطبع وإن كان متناقضا نظرا الى معناه الحقيقي الا أن عدم استنكاره باعتبار جعل الفعل مجازا عن مجرد التأثير بسبب قرينة مانعة عن حمله على حقيقته أعني قولنا بالطبع وقولنا فعل بالارادة تكرير على التحقيق كقولنا نظر بعينه وتكلم بلسانه وعدم استنكاره بناء على ان الفعل قد يستعمل مجازا في غير الاختياري و يكون ذكر الاختياري لدفع توهم ذلك المجاز كما ان النظر والتكلم يستعملان في غير معناهما مجازا و يكون قوله بعينه وبلسانه دفعا لتوهم ذلك المجاز وقول العرب النار تحرق والثلج يبرد والسقمونيا تسهل وأمثال ذلك مجاز لان كل ما ذكر يتضمن الفعل لان معنى قولهم النار تحرق انها تفعل الاحراق وكذا في غيره والفعل يتضمن معنى الارادة ولا ارادة في شيء منها بدليل انا لو فرضنا حادثا توقف في حصوله على أمرين ارادي وغير ارادي اضاف العقل واللغة الفعل الى الارادي فان من ألقى انسانا في النار فمات يقال هو القاتل دون النار فلو كان اسم الفاعل يطلق على المريد وغير المريد على وجه واحد لم يضف القتل الى المريد نفسه لغة وعرفا وعقلا وكونه تعالى سببا لوجود كل موجود سواه بطريق الايجاب لا يصح تسميته فاعلا ولا تسمية العالم فعلا وصنعا له اذ ليس سببيته له بطريق الاختيار عندهم ومحصول كلامه في الثاني ان الفعل هو الاحداث واخراج الشيء من العدم الى الوجود وذلك لا يتصور في القديم اذ ليس له حالة العدم ليخرج منها الى الوجود والحدوث أعني كون الوجود مسبوقا بالعدم وان لم يكن فعل الفاعل ولكنه شرط في كون الوجود فعل الفاعل فالوجود الغير المسبوق بالعدم لا يصلح أن يكون فعل الفاعل وليس كل ما يشترط في كون الفعل فعلا ينبغي أن يكون بفعل الفاعل أولا ترى ان ذات الفاعل وقدرته وعلمه شرط في الفعل وان لم يكن شيء منها فعل ذلك الفاعل وتسمية القديم الدائم الوجود فعلا لا يجوز وأما المعلول مع العلة فيجوز أن يكونا قديمين وأن يكونا حادثين (فان قيل) الحكماء لا يعنون بكون العالم فعلا الا كونه معلولا فاذا

ذلك في بعض الحواس لم يمتنع في بعض وأي بعد في ان يفترق حكم الحواس في وجه الادراك مع اشتراكها في انها جسمانية كما اختلف البصر واللمس في أن اللمس لا يفيد الادراك الا باتصال الملموس بالآلة اللامسة وكذا الذوق ويخالفه البصر فانه يشترط فيه الانفصال لو أطبق أجفانه لم ير لون الجفون لانه لم يبعد عنه وهذا الاختلاف لا يوجب الاختلاف في الحاجة الى الجسم فلا يبعد أن يكون في الحواس الجسمانية ما يسمى عقلا و يخالف سائرها في انها لا تدرك أنفسها (دليل سادس) قالوا لو كان العقل يدرك بآلة جسمانية كالابصار لما أدرك آلته كسائر الحواس ولكنه يدرك الدماغ والقلب وما يدعى آلة له فدل انه ليس آلة له ولا محلا والا لما أدركه (والاعتراض على هذا كالاعتراض على الذي قبله) فانا نقول لا يبعد أن يدرك الابصار محله ولكنه حوالة على خرق العادة أو نقول لم يستحيل أن تفترق الحواس الخمس في هذا المعنى وان اشتركت في الانطباع في الاجسام كما سبق ولم قلتم ان ما هو قائم في جسم يستحيل أن يدرك الجسم الذي هو محله ولم يلزم أن نحكم من جزئي معين على كلي مرسل ومما عرف بالاتفاق بطلانه وذكر في المنطق أن يحكم بسبب جزئي أو جزئيات كثيرة على كلي حتى مثلوا بما اذا قال الانسان ان كل حيوان فانه يحرك عند المضغ فكه الاسفل لانا استقرأنا الحيوانات كلها فرأيناها كذلك فيكون ذلك لغفلته عن التمساح فانه يحرك فكه الاعلى وهؤلاء لم يستقرؤا الا الحواس الخمس فوجدوها على وجه معلوم فحكموا على الكل به فلعل للعقل حاسة أخرى تجري من سائر الحواس مجرى التمساح من سائر الحيوانات فتكون اذن الحواس مع كونها جسمانية منقسمة الى ما يدرك محلها والى ما لا يدرك كما انقسمت الى ما يدرك مدركه من غير مماسة كالبصر والى ما لا يدرك الا بالاتصال كالذوق واللمس فما ذكروه أيضا ان أورث ظنا فلا يورث يقينا موثوقا به (فان قيل) لسنا نعول على مجرد الاستقراء للحواس بل نعول على البرهان ونقول لو كان القلب او الدماغ هو نفس الانسان لكان لا يعزب عنه ادراكهما حتى لا يخلو أن يعقلهما جميعا كما أنه لا يخلو عن ادراك نفسه فان أحدا لا تعزب ذاته عن ذاته بل يكون مثبتا لنفسه في نفسه أبدا والانسان ما لم يسمع حديث القلب والدماغ أو لم يشاهدهما بالتشريح من انسان آخر لا يدركهما ولا يعتقد وجودهما فان كان العقل حالا في جسم فينبغي أن لا يعقل ذلك الجسم أبدا ولا يدركهما أبدا وليس واحد من الامرين بصحيح بل يعقل حالة ولا يعقل حالة وهذا التحقيق وهو أن الادراك الحال في محل انما يدرك المحل لنسبة له الى المحل ولا يتصور أن يكون له نسبة اليه سوى الحلول فيه فليدركه أبدا وان كانت هذه النسبة لا تكفي فينبغي أن لا يدرك أبدا اذ لا يمكن أن يكون له نسبة أخرى اليه كما أنه لما كان يعقل نفسه عقل نفسه أبدا ولم يغفل عنه بحال (قلنا) الانسان ما دام يشعر بنفسه ولا يغفل عنها فانه يشعر بجسده وجسمه نعم لا يتعين له اسم القلب وصورته وشكله ولكنه يثبت نفسه جسما حتى يثبت نفسه في ثيابه وفي بيته والنفس الذي ذكروه لا يناسب البيت ولا الثوب واثباته لاصل الجسم ملازم له وغفلته عن شكله واسمه كغفلته عن محل الشم وانهما زائدتان في مقدم الدماغ شبيهتان بحلمتي الثدي فان كل انسان يعلم انه يدرك الرائحة بجسمه ولكن محل الادراك لا يتشكل له ولا يتعين وان كان يدرك انه الى الرأس أقرب منه الى العقب ومن جملة الرأس الى داخل الانف أقرب منه الى داخل الاذن وكذلك يشعر الانسان بنفسه و يعلم أن قوته التي بها قوامه الى قلبه وصدره أقرب منها

سلمتم بجواز كون المعلول دائما بدوام العلة فلم يبق معهم منازعة فى المعنى بل فى اطلاق اللفظ فقط ولا مضايقة فيه (قلنا) غرضنا ليس الا انهم يجعلون الاسلاميين باطلاق هذه الاسامى من غير ثبوت معانيها عندهم وما اعترض الامام الرازى على كون الحدوث شرطا فى كون الوجود فعل الفاعل بان الحدوث هو كون الوجود مسبوقا بالعدم صفة للوجود متأخرة عنه فلو كان شرطا فى الفعل وهو متقدم على الوجود لزم تقدم الشئ على نفسه غير وارد هنا وما يقال المراد بالحدوث وكون الوجود مسبوقا بالعدم ليس معناه المتبادر ليرد ما ذكر بل المراد كون الشئ بحيث لو وجد لكان حادثا وهذا المعنى ليس متأخرا عن وجوده لا يحتاج اليه فى دفعه لانه لم يجعل الحدوث شرطا فى الفعل بمعنى التأثير والايجاد كيف وقد جوز ان يكون المعلول مع العلة قديمين بل فى تسمية التأثير والايجاد فعلا لادعائه ان معنى الفعل هو الاحداث واخراج الشئ من العدم الى الوجود هذا ولا يخفى عليك ان ما حاصل ما ذكره فى الوجهين ليس ردا لمذهبهم ولا ابطالا لمعتقدهم بل هو نزاع معهم فى أمر لفظى لا حاصل فى نقده ولا طائل فى رده مع ان الثانى أعنى اعتبار الحدوث فى مفهوم الفعل دعوى بلا دليل والاول يمكن المناقشة فى دليله والتزامه بان قول العرب النار تحرق والثلج يبرد وامثال ذلك من قبيل المجاز خروج بالكلية عن قانون اللغة وبعد عن الانصاف الواجب رعايته فى المناظرة مع انه لا ضرورة فى ارتكابه ولا موجب لالتزامه الا توهم كون العقل معتبرا فى مفهومات هذه الالفاظ وهو فى محل المنع واستدلاله على ان الفعل الحقيقى ما يكون بالارادة بانا لو فرضنا حادثا توقف فى حدوثه على أمرين أحدهما ارادى والآخر غير ارادى اضاف العقل واللغة الفعل الى الارادى مدفوع بانه ان أراد انه يضاف اليه فقط دون الآخر فممنوع فانه كما يقال يروى السقاء كذلك يقال يروى الماء بل الثانى أشهر فى الاستعمال وأظهر عند العقل وان أراد انه يضاف الى الارادى كما يضاف الى غيره فمسلم ولا يفيد المطلوب وما ذكره من ان من

الى رجله فانه يقدر بنفسه باقيا مع عدم الرجل ولا يقدر على تقديره نفسه باقيا مع عدم القلب فاذكره ومن انه يغفل عن الجسم تارة وتارة لا يغفل عنه ليس كذلك (دليل سابع) قالوا القوى الدراكة بالآلات الجسمانية يعرض لها من المواظبة على الفعل بادامة الادراك كلال لان ادامة الحركة تفسد مزاج الاجسام وتهلكها وكذلك الامور القوية الجلية الادراك توهنها وربما تفسدها حتى لا تدرك عقيبها الاخفى الاضعف كالصوت العظيم للسمع والنور العظيم للبصر فانهما ربما يفسدان ويمتنع عقيبهما عن ادراك الصوت الخفى والمرئيات الدقيقة بل من ذاق الحلاوة الشديدة لا يحس بعدها بحلاوة دونها والامر فى القوة العقلية بالعكس فان ادامتها النظر الى المعقولات لا يتعبها وادراك الضروريات الجلية يقويها على درك النظريات الخفية ولا يضعفها وان عرض لها فى بعض الاوقات كلال فذلك لاستعمالها القوة الخيالية واستعانتها فتضعف آلة القوة الخيالية فلا تخدم العقل وهذا من الطراز السابق (فانا نقول) لا يبعد ان تختلف الحواس الجسمانية فى هذه الامور وليس ما يثبت لبعض يجب أن يثبت للآخر بل لا يبعد ان تتفاوت الاجسام فيكون منها ما يضعفه نوع من الحركة ومنها ما يقويه نوع من الحركة ولا يوهنه وان كان يؤثر فيه ويكون ثم سبب يجدد قواها بحيث لا تحس بالاثر فيها فكل هذا ممكن اذ الحكم الثابت لبعض الاشياء ليس يلزم أن يثبت لكلها (دليل ثامن) قالوا أجزاء البدن كلها تضعف قواها بعد منتهى النشو والوقوف عند الاربعين سنة فما بعده فيضعف البصر والسمع وسائر القوى والقوى العقلية فى أكثر الامور انما تقوى بعد ذلك ولا يلزم على هذا تعذر النظر فى المعقولات عند حلول المرض بالبدن وعند الخرف بسبب الشيخوخة فانه مهما بان أنه يقوى مع ضعف البدن فى بعض الاحوال فقد بان قوامه بنفسه فتعطله عند تعطل البدن مما لا يوجب كونه قائما بالبدن فان استثناء عين التالى لا ينتج (فانا نقول) ان كانت القوة العقلية قائمة بالبدن فيضعفها ضعف البدن بكل حال والتالى محال فالمقدم محال واذا قلنا التالى موجود فى بعض الاحوال فلا يلزم أن يكون المقدم موجودا (ثم السبب فيه) أن النفس لها فعل بذاتها اذا لم يعق عائق ولم يشغلها شاغل فان للنفس فعلين فعل بالقياس الى البدن وهو السياسة له وتدبيره وفعل بالقياس الى مباديه والى ذاته وهو ادراك المعقولات وهما متمانعان متعاندان فمهما اشتغل باحدهما انصرف عن الآخر وتعذر عليه الجمع بين الامرين وشواغله من جهة البدن الاحساس والتخيل والشهوات والغضب والخوف والغم والوجع فاذا أخذت تتفكر فى معقول تعطلت عليك هذه الاشياء الاخر بل مجرد الحس قد يمنع من ادراك العقل ونظره من غير أن يصيب آلة العقل شئ أو يصيب ذاتها آفة والسبب فى كل ذلك اشتغال النفس بفعل عن فعل ولذلك يتعطل نظر العقل عند الوجع والمرض والخوف فانه أيضا مرض فى الدماغ وكيف يستبعد التمانع فى اختلاف جهتى فعل النفس وتعدد الجهة الواحدة قد يوجب التمانع فان الخوف يذهل عن الوجع والشهوة عن الغضب والنظر فى معقول عن معقول آخر وآيته ان المرض الحال فى البدن ليس يتعرض لمحل العلوم لانه اذا عاد صحيحا لم يفتقر الى تعلم العلوم من رأس بل تعود هيئة نفسه كما كانت وتعود تلك العلوم بعينها من غير استئناف تعلم (والاعتراض) أن نقول نقصان القوى وزيادتها لها أسباب كثيرة لا تحصر فقد يقوى بعض القوى فى ابتداء العمر وبعضها فى الوسط وبعضها فى الآخر وأمر العقل أيضا كذلك ولا يبقى الآن

يدعي الغالب ولا يبعد أن يختلف الشم والبصر في أن الشم يقوى بعد الاربعين والبصر يضعف وان تساويا في كونهما حالين في الجسم كما تتفاوت هذه القوى في الحيوانات فيقوى الشم من بعضها والسمع من بعضها والبصر من بعضها لاختلاف أمزجتها ولا يمكن الوقوف على ضبطها ولا يبعد أن يكون مزاج الآلات أيضاً يختلف في حق الاشخاص وفي حق الاحوال ويكون أحد الاسباب في سبق الضعف في البصر دون العقل أن البصر أقدم منه فانه مبصر في أول فطرته ولا يتم عقله الا بعد خمسة عشر سنة أو زيادة على ما يشاهد اختلاف الناس فيه حتى قيل ان الشيب الى شعر الرأس أسبق منه الى شعر اللحية لان شعر الرأس أقدم فهذه الاسباب ان خاض الخائض فيها ولم يرد هذه الامور الى مجاري العادات فلا يمكن أن يبني عليها علماً موثوقاً به لان جهات الاحتمال التي فيها تزيد بها القوى أو تضعف لا تنحصر فلا يؤثر شيء من ذلك يقيناً (دليل تاسع) قالوا كيف يكون الانسان عبارة عن الجسم مع عوارضه وهذه الاجسام لا تزال تنحل والغذاء يسد مسد ما ينحل حتى اذا رأينا صبياً انفصل من أمه فيمرض مراراً ثم يذبل ثم يسمن وينمو فيمكننا أن نقول لم يبق فيه بعد الاربعين شيء من الاجزاء التي كانت موجودة عند الانفصال بل كان أول وجوده من اجزاء المني فقط ولم يبق فيه شيء من اجزاء المني بل انحل كل ذلك وتبدل بغيره فيكون هذا الجسم غير ذلك الجسم ونقول هذا الانسان هو عين ذلك الانسان بعينه حتى انه يبقى معه علوم من أول صباه ويكون قد تبدل جميع أجسامه فدل أن للنفس وجوداً سوى البدن وان البدن آلته (الاعتراض) ان هذا ينتقض بالبهيمة والشجرة اذا قيس حالة كبرهما بحالة الصغر فانه يقال ان هذا ذاك بعينه كما يقال في الانسان وليس يدل ذلك على أن له وجوداً غير الجسم وما ذكر في العلم يبطل بحفظ الصور المتخيلة فانه يبقى في الصبي الى الكبر وان تبدل سائر أجزاء الدماغ فان زعموا أنه لم يتبدل سائر أجزاء الدماغ فكذا سائر أجزاء القلب وهما من البدن فكيف يجوز أن يتبدل الجميع بل نقول الانسان وان عاش مائة سنة مثلاً فلا بد وأن يكون قد بقي فيه أجزاء من النطفة فأما أن ينمحي عنه فلا فهو ذلك الانسان باعتبار ما بقي كما أنه يقال هذا ذلك الشجر وهذا ذلك الفرس ويكون بقاء المني مع كثرة التحلل والتبدل (مثاله) ما اذا صب في موضع رطل ماء ثم صب عليه رطل آخر ماء حتى اختلط به ثم أخذ منه رطل ثم صب عليه رطل آخر ثم أخذ منه رطل ثم لا يزال يفعل كذلك ألف مرة فنحن في المرة الاخيرة نحكم بأن شيئاً من الماء الاول باق فانه ما من رطل يؤخذ منه الا وفيه شيء من ذلك الماء لانه كان موجوداً في الكرة الثانية والثالثة قريبة من الثانية والرابعة من الثالثة وهكذا الى الآخر وهذا على أصلهم حيث جوزوا انقسام الاجسام الى غير نهاية فانصباب الغذاء في البدن وانحلال أجزاء البدن يضاهي صب الماء في هذا الاناء واغترافه منه (دليل عاشر) قالوا القوة العقلية تدرك الكليات العامة العقلية التي يسميها المتكلمون أحوالاً فتدرك الانسان المطلق عند مشاهدة الحس لشخص انسان معين وهو غير الشخص المشاهد فان المشاهد في مكان مخصوص ومقدار مخصوص ووضع مخصوص والانسان المعقول المطلق مجرد عن هذه الامور بل يدخل فيه كل ما ينطلق عليه اسم الانسان وان لم يكن على لون المشاهد وقدره ووضعه ومكانه بل الذي يمكن وجوده في المستقبل يدخل فيه بل لو عدم الانسان لبقي حقيقة الانسان في العقل مجرداً عن هذه الخواص وهكذا كل شيء يشاهده

ألقى انساناً في النار فمات يقال هو القاتل دون النار فبعد تسليمه يجوز أن يكون ذلك لخصوصية القتل لا مطلقاً وغاية ما يتوجه اليه كلامه ومنتهى مقصده ومرامه ادعاء التلبيس عليهم ولهم أن يقولوا نريد بالفاعل المؤثر مطلقاً بأي وجه كان بارادة أو بغير ارادة وبالفعل الاثر تارة والتأثير أخرى سواء كان الاثر مسبوقاً بالعدم أولا وسواء كان التأثير احداثاً وايجاداً من غير سبق العدم فان كان وضع هذين اللفظين في لغة العرب لما أردناه فهما حقيقتان فيما أردناه والا فمجازان وأي فائدة لنا في كون لفظ الفعل والفاعل حقيقة فيما أردناه من المعنى أو أي ضرر في مجازيتهما بل لو لم يوضع هذان اللفظان لشيء أصلا لم يكن في ذلك ضرر لنا وأي حاجة لنا الى التلبيس في معتقدنا فانا نصرح جهاراً بأن المبدأ الاول موجب لا مختار وان العالم قديم لا محدث بل ندعي مبرهناً على أصولنا أن الاختيار على الوجه الذي يقول به المتكلمون نقص لا يليق بجناب كبريائه وأين قصد التلبيس والتدليس ومحصول كلامه في الثالث أعني استحالة كون العالم فعلاً لله تعالى على أصلهم لشرط مشترك بين الفاعل والفعل وهو أنهم زعموا أن الله تعالى واحد من جميع الوجوه والواحد من جميع الوجوه لا يصدر عنه الا الواحد والعالم مركب من مختلفات فلا يتصور أن يكون فعلاً لله تعالى على أصلهم (فان قالوا) ان العالم بجملته غير صادر عنه بغير واسطة بل الصادر عنه جوهر مجرد بسيط يعرف نفسه ومبدأه يسمى في لسان الشرع بالملك وفي عرف الحكماء بالعقل ويصدر عنه عقل ثان وعن ذلك ثالث يتكثر الموجودات بالتوسط (قلنا) فيلزم أن لا يكون في العالم شيء واحد مركب من آحاد بل تكون الموجودات كلها آحاداً وليس كذلك فان الجسم عندهم مركب من هيولى وصورة وهما صارا باجتماعهما شيئاً واحداً وليس احداهما علة للأخرى فان صدر مثل هذا المركب عن علة واحدة بطل قولهم الواحد لا يصدر عنه الا الواحد وان صدر عن علة مركبة ينقل الكلام الى تلك العلة المركبة ولا بد من الانتهاء الى علة بسيطة اذ المبدأ

الاوّل بسيط وفى المعلولات مركب فلولم ينته المعلول المركب الى علة بسيطة لم يتصوّر انتهاء سلسلة المعلولات الى المبدا الاوّل فيبطل قولهم الواحد لا يصدر عنه الا الواحد وأيضا يلزم ان لا يوجد شيآن ليس أحدهما فى سلسلة الترتيب علة للآخر اما على الولاء أو بتوسط الغير من العلل وذلك باطل لانا نعلم قطعا وجود موجودات لا يعلق لبعضها ببعض ولا يخفى عليك ان ما زعموه من ان المبدا الاوّل واحد من جميع الوجوه وان ٧٨ الواحد لا يصدر عنه الا الواحد لا يستلزم أن لا يكون العالم المركب من المختلفات فملاله فاذا فرضنا مبدأ أوّل واحدا من جميع الوجوه وليكن (ا) مثلا وصدر عنه شئ واحد وليكن (ب) فهو فى أولى مراتب معلولاته ثم من الجائز ان يصدر عن (ا) بتوسط (ب) شئ وليكن (ج) وعن (ب) وحده شئ وليكن (د) فيصير فى ثانية المراتب شيآن لا تقدم لاحدهما على الآخر ثم من الجائز أن يصدر عن (ا) بتوسط (ج) وحده شئ وبتوسط (د) وحده ثان وبتوسط (ج د) معا ثالث وبتوسط (ب ج ا) رابع وبتوسط (ب د) خامس وبتوسط (ب ج د) سادس وعن (ب) بتوسط (ج) سابع وبتوسط (د) ثامن وبتوسط (ج د) معا تاسع وعن (ج) وحده عاشر وعن (د) وحده حادى عشر وعن (ج د) معا ثانى عشر وتكون هذه كلها فى ثالثة المراتب ثم اذا جاوزنا هذه المراتب جاز وجود كثرة لا يحصى عددها فظهر أنه لا يلزم من المقدمتين المذكورتين أن لا يكون العالم المركب من المختلفات فملاله غايته أنه لا يكون جميعه معلولا له بالذات وبلا واسطة لكن انتفاء التوسط غير معتبر فى مفهوم المعلول فان الامام قد اعترف سابقا بأن انسانا اذا القى انسانا آخر فى النار فمات كان القاتل هو الملقى وان كان بتوسط النار ولا ان يوجد شيآن ليس أحدهما فى سلسلة الترتيب علة للآخر نعم ما ذكروه فى كيفية صدور الكثرة من المبدا الواحد لا يخلو عن وجوه من الخلل كما عرفت ﴿الفصل السادس فى تعجيزهم عن الاستدلال على وجود الصانع للعالم الذى هو السموات وما فيها والعناصر وما يتركب منها﴾ قال الامام الغزالى من قال

الحس متشخصا فيحصل منه للعقل حقيقة ذلك الشخص كليا مجردا عن المواد والاوضاع حتى يقسم أوصافه الى ما هو ذاتى مثل الجسمية للشجر والحيوان والحيوانية للانسان والى ما هو عرضى له كالبياض والطول للانسان والشجر ويحكم بكونه ذاتيا وعرضيا على جنس الانسان والشجر وكل ما يدركه لا على الشخص المشاهد فدل على ان الكلى المجرد عن القرائن المحسوسة معقول عنده وثابت فى عقله وذلك الكلى المعقول لا اشارة اليه ولا وضع له ولا مقدار فاما ان يكون تجرده عن الوضع والمادة بالاضافة الى المأخوذ منه وهو محال فان المأخوذ منه ذو وضع وأين ومقدار واما أن يكون بالاضافة الى الآخذ وهو النفس العاقلة فينبغى أن لا يكون للنفس وضع ولا اليه اشارة ولا له مقدار والا لوثبت ذلك لثبت للذى حل فيه (الاعتراض) ان المعنى الكلى الذى وضعتموه حالا فى العقل غير مسلم بل لا يحل فى العقل الا ما يحل فى الحس ولكن يحل فى الحس مجموعا ولا يقدر الحس على تفصيله والعقل يقدر على تفصيله ثم اذا فصل كان المفصل المفرد عن القرائن فى العقل فى كونه جزئيا كالمقرون بقرائنه الا ان الثابت فى العقل يناسب المعقول وامثاله مناسبة واحدة فيقال انه كلى على هذا المعنى وهو أن فى العقل صورة المعقول المفرد الذى أدركه الحس أولا ونسبة تلك الصورة الى سائر آحاد المفرد الذى أدركه ذلك الحس نسبة واحدة فانه لو رأى انسانا آخر لم تحدث له هيئة أخرى كما اذا رأى فرسا بعد انسان فانه تحدث فيه صورتان مختلفتان ومثل هذا قد يعرض فى مجرد الحس فان من رأى الماء حصل فى خياله صورة فلو رأى الدم بعده حصلت له صورة أخرى فلو رأى ماء آخر لم تحدث صورة أخرى بل الصورة التى انطبعت فى خياله من الماء مثال لكل واحد من آحاد المياه فقد يظن أنه كلى بهذا المعنى وكذلك اذا رأى اليد مثلا حصل فى الخيال وفى العقل وضع أجزائه بعضها مع بعض وهو انبساط الكف وانقسام الاصابع عليه وانتهاء الاصابع مع الاظفار ويحصل مع ذلك صغره وكبره ولونه فان رأى يدا أخرى تماثلها فى كل شئ لم يتجدد له صورة أخرى بل لا تؤثر المشاهدة الثانية فى احداث شئ جديد فى الخيال كما اذا رأى الماء بعد الماء فى اناء واحد على قدر واحد وقد يرى يدا أخرى تخالفها فى اللون والقدر فيحدث له لون آخر وقدر آخر ولا يحدث له صورة جديدة لليد فان اليد الصغيرة السوداء تشارك اليد الكبيرة البيضاء فى وضع الاجزاء وتخالفها فى اللون والقدر فما تساوى فيه الاوّل لا تتجدد صورته اذ تلك الصورة هى هذه الصورة بعينها وما يخالفه يتجدد صورته فهذا معنى الكلى فى العقل والحس جميعا فان العقل اذا أدرك صورة الجسم من الحيوان فلا يستفيد من الشجر صورة جديدة فى الجسمية كما فى الخيال بادراك صورة الماء فى وقتين وكذا فى كل متشابهتين وهذا لا يؤذن بثبوت كلى لا وضع له أصلا على ان العقل قد يحكم بثبوت شئ لا اشارة اليه ولا وضع له كحكمه بوجود صانع العالم ولكن من أين ان ذلك لا يتصور قيامه بجسم وفى هذا القسم يكون المنتزع من المادة هو المعقول فى نفسه دون العقل العاقل فاما فى المأخوذ من المواد فوجهه ادراكه (مسئلة) فى ابطال قولهم ان النفوس الانسانية يستحيل عليها العدم بعد وجودها وانها سرمدية لا يتصوّر فناؤها فيطالبون بالدليل عليه (ولهم دليلان أحدهما) قولهم ان عدمها لا يخلو اما ان يكون بموت البدن أو بضد يطرأ عليها أو بقدرة القادر وباطل ان تنعدم بموت البدن فان البدن ليس محلا لها بل هو آلة تستعملها النفس بواسطة القوى التى فى البدن وفساد الآلة لا يوجب فساد مستعمل الآلة الا ان يكون

بحدوث العالم فمذهبهم فى القول بالصانع معقول ضرورة ان كل حادث لابد له من محدث ولا يتسلسل لامتناعه بل ينتهى الى قديم
ومن قال بان العالم قديم غير محتاج الى صانع فمذهبهم أيضا مفهوم وان كان باطلا بالدليل وأما الفلاسفة فهم مع قولهم بقدم العالم أثبتوا
له صانعا وهذا بوضعه متناقض لا يحتاج فيه الى ابطال (وأقول) ان أراد أن قدم شئ ينافى معلوليته وكونه أثر العلة فممنوع كيف وقد
جوزه من قبل وان أراد أن الصانع هو الذى أوجد بعد ما لم يوجد فهذا على تقدير تسليمه لا يضرهم لانهم لا يثبتون للعالم
صانعا بهذا المعنى حتى يلزم التناقض بل يثبتون العلة لوجوده لكونه ممكنا فان سموا تلك العلة صانعا فلا يعنون به المحدث بل الموجد فلا تناقض فى مذهبهم (هذا) قالوا فى اثبات مبدأ العالم ان ضرورة العقل حاكمة بان كل موجود لا يخلو من أن يكون ممكنا أو واجبا لانه ان احتاج فى وجوده الى غيره فهو ممكن والا فواجب ولا شك فى وجود موجود فهو ان كان واجبا ثبت المطلوب اذ لا بد من استناد الممكنات اليه دفعا للدور أو التسلسل وان كان ممكنا فلا بد له من علة فتلك العلة ان كان لها علة ننقل الكلام اليها فاما أن يدور أو يتسلسل العلل الى غير النهاية أو ينتهى الى موجود لا علة له والاولان باطلان فتعين الثالث ولا يجوز أن يكون ذلك الموجود جسما لان كل جسم مركب والموجود الذى يستغنى عن العلة لا يجوز أن يكون مركبا لان كل مركب محتاج الى علة ولا جزء منه
لان كلا من جزأى الجسم محتاج الى الآخر ولانهما لا عقلا لان الواجب واحد حق من جميع الوجوه وهما ليسا كذلك فتعين ان
لنا موجودا خارجا عن جملة العالم علة وهو المطلوب واعترض عليه الامام الغزالى رحمه الله تعالى بوجهين (أحدهما) انه لم لا يجوز
أن يكون ذلك المبدأ شيأ من الافلاك وما ذكروه من ان كل جسم مركب والواجب ليس كذلك فسيجئ الكلام عليه ان شاء الله تعالى
(وثانيهما) انه لم لا يجوز أن يكون لكل علة علة الى غير النهاية واستحالة التسلسل لا تستبين على أصلهم اذ ليست تلك الاستحالة ضرورية

حالا فيها مطبعا كالنفوس البهيمية والقوى الجسمانية ولان للنفس فعلا بغير مشاركة آلة وفعلا بمشاركتها فالفعل الذى لها بمشاركة آلة التخيل والاحساس والشهوة والغضب فلا جرم يفسد بفساد البدن ويفوت بفواتها وفعلها بذاتها دون مشاركة البدن ادراك المعقولات المجردة عن المواد ولا حاجة فى كونه مدركا للمعقولات الى البدن بل الاشتغال بالبدن يعوقها عن المعقولات ومهما كان لها فعل دون البدن ووجود دون البدن لم تفتقر فى قوامها الى البدن وباطل أن يقال انها تنعدم بضد اذ الجواهر لا ضد لها ولذلك لا ينعدم فى العالم الا الاعراض والصور المتعاقبة على الاشياء اذ تنعدم صورة المائية بضدها وهو صورة الهوائية والمادة التى هى المحل لا تنعدم قط وكل جوهر ليس فى محل فلا يتصور عدمه بالضد اذ لا ضد لما ليس فى محل فان الاضداد هى المتعاقبة على محل واحد وباطل أن يقال تفنى بالقدرة اذ العدم ليس شيأ حتى يتصور وقوعه بالقدرة وهذا عين ما ذكروه فى مسئلة أبدية العالم وقد قررناه وتكلمنا عليه (والاعتراض عليه من وجوه * الاول) انه بناء على ان النفس لا تموت بموت البدن لانه ليس حالا فى جسم وهو بناء على المسئلة الاولى فقد لا نسلم ذلك (الثانى) هو انه مع انه لا يحل البدن عندهم وله علاقة بالبدن حتى لم يحدث الا بحدوث البدن هذا ما اختاره ابن سينا والمحققون وانكروا على افلاطون قوله ان النفس قديمة ويعرض لها الاشتغال بالابدان بمسلك برهانى محقق وهو ان النفوس قبل الابدان ان كانت واحدة فكيف انقسمت وما لا عظم له ولا مقدار لا يعقل انقسامه وان زعم انه لا ينقسم فهو محال اذ نعلم ضرورة أن نفس زيد غير نفس عمرو ولو كانت واحدة لكانت معلومات زيد معلومة لعمرو فان العلم من صفات ذات النفس وصفات الذات تدخل مع الذات فى كل اضافة وان كانت النفوس متكثرة فبماذا تكثرت ولم تتكثر بالمواد ولا بالاماكن ولا بالازمنة ولا بالصفات اذ ليس فيها ما يوجب اختلاف الصفة بخلاف النفوس بعد موت البدن فانها تتكثر باختلاف الصفات عند من يرى بقاءها لانها استفادت من الابدان هيئات مختلفة لا تتماثل نفسان منها فان هيئاتها تحصل من الاخلاق والاخلاق قط لا تتماثل كما أن الخلق الظاهر لا يتماثل ولو تماثلت لاشتبه علينا زيد بعمرو ومهما ثبت بحكم هذا البرهان حدوثه عند حدوث النطفة فى الرحم واستعداد مزاجها لقبول النفس المدبرة ثم قبلت النفس لا لانها نفس فقط اذ قد تستعد فى رحم واحد نطفتان لتوأمين فى حالة واحدة للقبول فيتعلق بهما نفسان يحدثان من المبدأ الاول بواسطة أو بغير واسطة ولا يكون هذا مدبر الجسم ذاك ولا نفس ذاك مدبر الجسم هذا فليس الاختصاص الا بعلاقة خاصة بين النفس المخصوص وبين ذلك البدن المخصوص والا فلا يكون بدن أحد التوأمين لقبول هذه النفس أولى من الآخر والا فقد حدث نفسان معا واستعدت نطفتان لقبول التدبير معا فما المخصص فان كان ذلك المخصص هو الانطباع فيه فيبطل ببطلان البدن وان كان ثم وجه آخر به العلاقة بين هذا النفس على الخصوص وبين هذا البدن على الخصوص حتى كانت تلك العلاقة شرطا فى حدوثه فاى بعد فى أن تكون شرطا فى بقائه فاذا انقطعت العلاقة انعدمت النفس ثم لا يعود وجودها الا باعادة الله سبحانه وتعالى على سبيل البعث والنشور كما ورد به الشرع فى المعاد (فان قيل) اما العلاقة بين النفس والبدن فليس الا بطريق نزوع طبيعى وشوق جبلى خلق فيها الى هذا البدن خاصة يشغلها ذلك عن غيره من الابدان ولا يخليها فى لحظة

بلا خلاف والمعتمد من الأدلة المذكورة لاسيما الثانية برهان التطبيق وهو منقوض بحوادث متعاقبة لا أول لها وهم معترفون بجوازها بل بوقوعها وأما المتكلمون فهم يمنعون الحوادث المتعاقبة التي لا تتناهى ولا يجوزونها فلا ينتقض بها على أصولهم وأجيب عنه بأن الحوادث المتعاقبة التي لا أول لها غير مجتمعة في الوجود فلا يتصور التطبيق بين أجزائها لا في الخارج لعدم اجتماعها فيه ولا في الذهن لاستحالة وجود ما لا يتناهى على سبيل ٨٠ التفصيل في الذهن ووجودها الاجمالي فيه غير كاف للتطبيق كما يشهد به الوجدان ولا جريان للدليل فيها فلا نقض وهذا بخلاف الأجسام المجتمعة في الوجود المترتبة بالمكان الغير المتناهية فإنها لوجودها مجتمعة وترتبها وضعا يجري فيها التطبيق ويتم البرهان فلذلك حكموا ببطلانه (فإن قلت) النقض بالحوادث المتعاقبة وإن سلمنا دفعه لكنه ينتقض هذا الدليل بالنفوس الانسانية التي لانهاية لأعدادها عندهم مع كونها مجتمعة في الوجود لبقائها بعد خراب البدن إلى الأبد على زعمهم (قلت) لا نقض بالنفوس الانسانية أيضا إذ ليس بينها ترتب لا وضعا ولا طبعا فلا يجري فيها البرهان المذكور إذ لا يلزم من كون الأولى من إحدى الجملتين بإزاء الأولى من الجملة الأخرى كون الثانية بإزاء الثانية والثالثة بإزاء الثالثة وهكذا حتى يتم التطبيق اللهم إلا إذا لاحظ العقل كل واحدة من الجملة الأولى واعتبرها بإزاء واحدة من الجملة الأخرى لكن العقل لا يقدر على استحضار ما لا نهاية له مفصلة لا دفعة ولا في زمان متناه حتى يتصور ذلك التطبيق ويظهر الخلف بل ينقطع التطبيق بانقطاع اعتبار العقل على الوهم والعقل والقائل الذي يقول الحوادث المتعاقبة وإن لم تجتمع في الوجود الخارجي لكنها مجتمعة في الوجود الظلي عندهم لكونها ثابتة منتقشة في علم الملأ الأعلى وذلك يكفيك إتمام النقض على أصولهم (لا يقال) لعلهم يثبتون تلك العلوم على نحو آخر غير الوجود الذهني أو لعلهم لا يثبتون لها ترتبا في تلك العلوم لعدم دخول الزمان فيها (لأنا نقول) ليس غرضنا أن دليل إبطال التسلسل لا يتم مطلقا بل المقصود

فتبقى مقيدة بذلك الشوق الجبلي بالبدن المعين مصروفة عن غيره وذلك لا يوجب فسادها بفساد البدن الذي هي مشتاقة بالجبلة إلى تدبيره ثم قد يبقى ذلك الشوق بعد فساد البدن إن استحكم في الحياة اشتغالها بالبدن بإعراضها عن كسر الشهوات وطلب المعقولات فتتأذى بذلك الشوق مع فوات الآلة التي يصل بها الشوق إلى مقتضاها وأما تعيين نفس زيد لشخص زيد في أول الحدوث فلسبب ومناسبة بين البدن والنفس لا محالة حتى يكون هذا البدن مثلا أصلح لهذه النفس من الآخر لزيد مناسبة بينهما توجب اختصاصه وليس في القوة البشرية إدراك خصوص تلك المناسبات وعدم اطلاعنا على تفصيله لا يشككنا في أصل الحاجة إلى مخصص ولا يضرنا أيضا في قولنا إن النفس لا تفنى بفناء البدن (قلنا) فهما عادت المناسبة عنا وهي المقتضية للاختصاص فلا يبعد أن تكون تلك المناسبة المجهولة على وجه يحوج النفس في بقائها إلى بقاء البدن حتى إذا فسد فسدت فإن المجهول لا يمكن الحكم عليه بأنه يقتضي التلازم أم لا فلعل تلك النسبة ضرورية في وجود النفس فإذا انعدمت انعدمت ولا ثقة بالدليل الذي ذكروه (الاعتراض الثالث) هو أنه لا يبعد أن يقال تنعدم بقدرة الله تعالى كما قررناه في مسئلة سرمدية العالم (الاعتراض الرابع) هو أن يقال ذكرتم أن هذه الطرق الثلاث في العدم متممة فهو غير مسلم وما الدليل على أن عدم الشيء لا يتصور إلا بطريق من هذه الطرق الثلاث فإن التقسيم إذا لم يكن دائرا بين النفي والاثبات فلا يبعد أن يزيد على الثلاث والأربع ولعل للعدم طريقا رابعا وخامسا سوى ما ذكرتموه فحصر الطرق في هذه الثلاث غير معلوم بالبرهان (دليل ثان) وعليه تعويلهم أن قالوا كل جوهر ليس في محل فيستحيل عليه العدم بل البسائط لا تنعدم قط وهذا الدليل يثبت فيه أولا أن موت البدن لا يوجب انعدامه كما سبق فبعد ذلك يقال يستحيل أن ينعدم بسبب ما أي سبب كان ففيه قوة الفساد قبل الفساد أي إمكان انعدام سابق على الانعدام كما أن ما يطرأ وجوده من الحوادث فيكون إمكان الوجود سابقا على الوجود ويسمى إمكان الوجود قوة الوجود وإمكان العدم قوة الفساد وكما أن إمكان الوجود وصف إضافي لا يقوم إلا بشيء حتى يكون إمكانا بالإضافة إليه فكذلك إمكان العدم ولذلك قيل إن كل حادث مفتقر إلى مادة سابقة يكون فيها إمكان وجود الحادث وقوته كما سبق في مسئلة قدم العالم فالمادة التي فيها قوة الوجود قابلة للوجود الطارئ والقابل غير المقبول فيكون القابل موجودا مع المقبول عند طريانه وهو غيره فكذلك قابل العدم ينبغي أن يكون موجودا عند طريان العدم حتى يعدم منه شيء كما وجد فيه شيء ويكون ما عدم غير ما بقي ويكون ما بقي هو الذي فيه قوة العدم وقبوله وإمكانه كما أن ما بقي عند طريان الوجود يكون غير ما طرأ وقد كان فيه قوة قبول الطارئ فيلزم أن يكون الشيء الذي طرأ عليه العدم مركبا من شيئين من قوة العدم ومن قابل للعدم يبقى مع طريان العدم وقد كان هو حامل قوة العدم قبل طريان العدم ويكون حامل القوة كالمادة والمنعدم منها كالصورة ولكن النفس بسيطة وهي صورة مجردة عن المادة لا تركيب فيها فإن فرضنا فيها تركيبا من صورة ومادة فنحن ننقل البيان إلى المادة التي هي الأصل الأول إذ لا بد وأن ينتهي إلى أصل فنحيل العدم على ذلك الأصل وهو المسمى نفسا كما نحيل العدم على مادة الأجسام فإنها أزلية أبدية وإنما تحدث عليها الصور وتنعدم منها الصور وفيها قوة طريان الصور عليها وقوة انعدام الصور عنها فإنها قابلة للضدين

الزامهم بانه لا يتم على أصولهم فلا يثبت وجود المبدا الاول فلى قوانينهم وهذا المقصود حاصل لانهم قائلون بان علوم العقول والنفوس بحصول صور الاشياء فيها بل علم المبدا الاول أيضا عند الشيخ أبي على فتكون الحوادث المتعاقبة في الوجود الخارجي مجتمعة في علومهم بحسب وجوداتها الظلية وأما عدم الترتب في تلك العلوم لعدم دخول الزمان فيها فليس بشئ أما أولا فلان الترتب بين تلك الحوادث ليس بمجرد ترتب أزمنتها بل بينها ترتب طبيعي عندهم لتوقف بعضها على بعض كما تقرر من قواعدهم (لا يقال) الترتب الطبيعي بين الحوادث انما هو في الوجود الاصلي دون الظلي (لانا نقول) علم المبادي العالية بالاشياء عندهم بسبب العلم بعللها وكل حادث جزء من علة حادث آخر فكذا علم كل واحد من الحوادث جزء من علة علم الآخر فيحصل الترتب الطبيعي بحسب الوجود الظلي أيضا وأما ثانيا فلان عدم دخول الزمان في تلك العلوم انما هو بحسب أوصافه الثلاثة أعني المضي والحالية والاستقبالية على معنى ان علمها بالحوادث ليس من حيث ان بعضها واقع الآن وبعضها في الماضي وبعضها في المستقبل اذ لا ماضي ولا حال ولا مستقبل بالنسبة اليها لكنها تعلمها بأوقاتها الواقعة هي فيها وذلك يكفي في الترتب بحسب الاوقات فينتظم برهان التطبيق فيها على ما يقتضيه قواعدهم فيكون منقوضا بها وأما النفوس الانسانية فزعم بعضهم ان بينها ترتبا وضعا وطبعا فيجري فيها برهان التطبيق وينتقض على أصولهم بها اما وضعا فبحسب ترتب أجزاء الزمان الواقعة هي فيها وأما طبعا فلان نفس الابن موقوفة على بدنه الموقوف على نفس الاب المولدة لمادة بدن الابن ويرد الجريان باعتبار الترتب الوضعي بان جميع الآحاد لا ترتب فيها اذ قد يحدث منها جملة في زمان وجملة أخرى أقل أو أكثر في زمان آخر وقد تحصل منها آحاد في أزمنة مترتبة فلا يتصور الترتيب في الجميع بمجرد ترتب أجزاء الزمان وأما البعض منها فقد يترتب كنفس زيد مع نفوس آبائه الى ما لا نهاية له لكنها من حيث انها مضافة

على السواء وقد ظهر من هذا ان كل موجود أحدي الذات يستحيل عليه العدم ويمكن تفهيم هذا بصيغة أخرى وهي ان قوة الوجود للشئ يكون قبل وجود الشئ فيكون لغير ذلك الشئ ولا يكون نفس قوة الوجود (بيانه) ان الصحيح البصير يقال انه باصر بالقوة أي فيه قوة الابصار ومعناه ان الصفة التي لا بد منها في العين ليصح الابصار موجودة وان تأخر الابصار فلتأخر شرط آخر فتكون قوة الابصار للسواد مثلا موجودة للعين قبل ابصار السواد بالفعل فان حصل ابصار السواد بالفعل لم تكن قوة ابصار ذلك السواد موجودة عند وجود ذلك الابصار اذ لا يمكن أن يقال مهما حصل الابصار فهو مع كونه موجود بالفعل موجود بالقوة بل قوة الوجود لا تضاهي حقيقة الوجود الحاصل بالفعل أبدا واذا ثبتت هذه المقدمة فنقول لو انعدم الشئ البسيط لكان امكان العدم قبل العدم حاصلا لذلك الشئ وهو المراد بالقوة فيكون امكان الوجود أيضا حاصلا فان ما أمكن عدمه فليس بواجب الوجود فهو ممكن الوجود ولا نعني بقوة الوجود الا امكان الوجود فيؤدي الى ان يجتمع في الشئ الواحد قوة وجود نفسه مع حصول وجوده بالفعل فيكون وجوده بالفعل هو عين قوة الوجود وقد بينا ان قوة الابصار تكون في العين التي هي غير الابصار ولا تكون في نفس الابصار اذ يؤدي الى ان يكون الشئ بالقوة والفعل وهما متناقضان بل مهما كان الشئ بالقوة لم يكن بالفعل ومهما كان بالفعل لم يكن بالقوة وفي اثبات قوة العدم للبسيط قبل العدم اثبات لقوة الوجود في حالة الوجود وهو محال وهذا بعينه هو الذي قررناه لهم في مصيرهم الى استحالة حدوث المادة والعناصر واستحالة عدمها في مسئلة أزلية العالم وأبديته ومنشأ التلبيس وضعهم الامكان وصفا مستدعيا محلا يقوم به وقد تكلمنا عليه بما فيه مقنع فلا نعيده فان المسئلة هي تلك المسئلة فلا فرق بين أن يكون المتكلم فيه جوهر مادة أو جوهر نفس

مسئلة في ابطال انكارهم لبعث الاجساد ورد الارواح الى الابدان ووجود النار الجسمانية ووجود الجنة

والحور العين وسائر ما وعد به الناس وقولهم ان ذلك أمثلة ضربت لعوام الخلق لتفهيم ثواب وعقاب روحانيين هما أعلى رتبة من الجسمانيين وهو مخالف لاعتقاد المسلمين كافة فلنقدم تفهيم معتقدهم في الامور الاخروية ثم لنعترض عما يخالف الاسلام من جملته وقد قالوا ان النفس تبقى بعد الموت بقاء سرمديا اما في لذة لا يحيط الوصف بها لعظمها واما في ألم لا يحيط الوصف به لعظمه ثم قد يكون ذلك الألم مخلدا وقد ينقضي على طول الزمان ثم تتفاوت طبقات الناس في درجات الألم واللذة تفاوتا غير محصور كما يتفاوتون في المراتب الدنيوية ولذاتها تفاوتا غير محصور واللذة السرمدية للنفوس الكاملة الزكية والألم السرمدي للنفوس الناقصة الملطخة والألم المنقضي للنفوس الكاملة الملطخة فلا تنال السعادة المطلقة الا بالكمال والتزكية والطهارة والكمال بالعلم والزكاء بالعمل ووجه الحاجة الى العلم أن القوة العقلية غذاؤها ولذتها في درك المعقولات كما ان القوة الشهوانية لذتها في نيل المشتهى والقوة البصرية لذتها في النظر الى الصور الجميلة وكذا سائر القوى وانما يمنعها من الاطلاع على المعقولات البدن وشواغله وحواسه وشهواته والنفس الجاهلة في الحياة الدنيا حقها ان تتألم بفوات لذة النفس لكن الاشتغال بالبدن ينسيها نفسها ويلهيها عن ألمها كالخائف لا يحس بالألم وكالخدر لا يحس بالنار فاذا بقيت ناقصة حتى انحط عنها شغل البدن كانت في صورة الخدر اذا عرض على النار فلا يحس بالألم فاذا زال

الى أزمنة حدوثها غير مجتمعة في الوجود لامتناع اجتماع تلك الأزمنة وبدونها لا تكون مترتبة وباعتبار الترتب الطبيعي بان نفس الاب علة لحركات مخصوصة هي علل معدة لحصول مادة الابن الذي له دخل في حدوث نفس الابن فيترتب له حينئذ سلسلة من نفس الاب وتلك الحركات والبدن ونفس الابن وقد عدم من تلك السلسلة بعض آحادها أعني الحركات المخصوصة والبدن فلا ينطبق آحادها بعضها على بعض لامتناع انطباق الموجود على المعدوم والمعدومات بعضها على بعض وأما الآحاد الباقية فلا ترتب بينها لان الارتباط بينها انما يكون بواسطة تلك المعدومات فاذا انتفت لم يبق بينها ارتباط وتعلق بل كل منها موجود على حيالها من غير توقف على آخر فلا ينطبق بعضها على بعض الا اذا لاحظ العقل كل واحد منها واعتبر بازاء الآخر وقد عرفت عجزه عنها (فان قيل) للحكماء برهان قاطع على استحالة التسلسل في العلل غير برهان التطبيق ويتم به اثبات المبدا الاول للموجودات وهو انه لو استند كل ممكن الى ممكن آخر لا الى نهاية فجميع تلك السلسلة اذا أخذت بحيث لا يدخل فيها غيرها ولا يشذ عنها شئ منها لا شك انه ممكن لاحتياجه الى أجزائه التي هي غيره فله علة لامكانه وتلك العلة لا يجوز أن تكون نفسه لامتناع كون الشئ علة لنفسه والا لتقدم على نفسه واستحالته ضرورية ولا جزأه لان موجد الكل موجد لكل جزء من أجزائه فيكون ذلك الجزء علة لنفسه وهو محال لما علمت فتعين ان تكون خارجة عنه وتلك العلة الخارجة توجد لا محالة جزأ من أجزاء تلك السلسلة اذ لو وقع كل جزء منها بغيرها كان المجموع أيضا واقعا بغيرها اذ ليس في المجموع شئ سوى تلك الاجزاء ولم تكن العلة الخارجة علة للمجموع وقد فرض خلافه واذا كانت العلة الخارجة موجدة لجزء من أجزاء السلسلة فلا بد أن تكون علة لفرد منها اما استقلالا أو بدون استقلال ولا يجوز ان يكون الفرد المعلول لتلك العلة الخارجة هو المعلول الاخير أو المتوسط والا لزم توارد العلتين المستقلتين على

النفس

انه يشعر بالألم العظيم دفعة واحدة فحوما والنفس المدركة للمعقولات قد تلتذ بها التذاذا عظيما قاصرا عن عبارة تضمنه طباعها وذلك أيضا لشواغل البدن وأنس النفس بشهواتها ومثاله مثل المريض الذي في فيه مرارة يستبشع الشئ الطيب الحلو ولا يشتهي الغذاء الذي هو أتم أسباب اللذة في حقه فلا يتلذذ به لما عرض من المرض فالنفوس الكاملة بالعلوم اذا انحطت عنها أعباء البدن وشواغله بالموت كان مثاله مثال من عرض عليه الطعم الالذ والذوق الاطيب وكان به عارض مرض يمنعه من الادراك فزال العارض فادرك اللذة العظيمة دفعة أو مثال من اشتد عشقه في حق شخص فضاجعه ذلك الشخص وهو نائم أو مغمى عليه أو سكران ولا يحس به فينتبه فجأة فيشعر بلذة الوصال بعد طول الانتظار دفعة واحدة وهذه اللذات حقيرة بالاضافة الى اللذات الروحانية العقلية الا أنه لا يمكن تفهيمها للانسان الا بامثلة مما شاهده الناس في هذه الحياة وهذا كما لو أردنا أن نفهم الصبي أو العنين لذة الجماع لم نقدر عليه الا بان نمثل في حق الصبي باللعب الذي هو ألذ الاشياء عنده وفي حق العنين لذة أكل الطيب مع شدة الجوع ليصدق باصل وجود اللذة ثم يعلم أن ما فهمه بالمثال ليس يحقق عنده لذة الجماع وان ذلك لا يدرك الا بالذوق والدليل على ان اللذة العقلية أشرف من اللذات الجسمانية أمران (أحدهما) ان حال الملائكة أشرف من حال السباع والخنازير من البهائم وليس لها اللذات الحسية من الجماع والاكل وانما لها لذة الشعور بكمالها وجمالها الذي خصت به في نفسها في اطلاعها على حقائق الاشياء وقربها من رب العالمين في الصفات لا في المكان وفي رتبة الوجود فان الموجودات حصلت من الله على ترتيب ووسائط والذي يقرب من الوسائط رتبته لا محالة أعلى (والثاني) ان الانسان أيضا قد يؤثر اللذات العقلية على الحسية فان الذي يتمكن من غلبة عدو والشماتة به فهو يهجر في تحصيلها ملاذ الانكحة والاطعمة بل قد يهجر الاكل طول النهار في لذة غلبة الشطرنج والنرد مع خسة الامر فيه ولا يحس بألم الجوع وكذلك المتشوف الى الحشمة والرئاسة اذا كان يتردد بين انخراق حشمته بقضاء الوطر من عشيقته مثلا بحيث يعرفه غيره وينتشر عنه فيؤثر الحشمة ويترك قضاء الوطر ويستحقر ذلك محافظة على ماء وجهه فيكون ذلك لا محالة ألذ عنده بل ربما يهجم الشجاع على جم غفير من الشجعان مستحقرا خطر الموت شغفا بما يتوهمه بعد الموت من لذة الثناء والاطراء عليه فاذن اللذات العقلية الاخروية أفضل من اللذات الحسية الدنيوية ولولا ذلك لما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله حاكيا عن الله تعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقال تعالى فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين فهذا وجه الحاجة الى العلم النافع من جملته العلوم العقلية المحضة وهي العلم بالله وصفاته وملائكته وكتبه وكيفية وجود الاشياء منه وما وراء ذلك ان كان وسيلة اليه فهو نافع لاجله وان لم يكن وسيلة اليه كالنحو واللغة والشعر وأنواع العلوم المتفرقة فهي صناعات وحرف كسائر الصناعات وأما الحاجة الى العمل والعبادة فلتزكية النفس وان النفس في هذا البدن مصدودة عن درك حقائق الاشياء لا لكونها منطبعة في البدن بل لاشتغالها ونزوعها الى شهواتها وشوقها الى مقتضياته وهذا النزوع والشوق هيئة للنفس ترسخ فيها وتتمكن منها بطول المواظبة على اتباع الشهوات والمثابرة على الانس بالمحسوسات المستلذة فاذا تمكنت من النفس فارقت البدن كانت هذه الصفات متمكنة من

معلول واحد على تقدير الاستقلال أو الزيادة في العلة المستقلة على تقدير عدم الاستقلال لأن المفروض أن كل واحد من آحاد السلسلة علة مستقلة لآخر فتعين أن يكون فرداً آخر من السلسلة فتنقطع به السلسلة قطعاً (قلنا) نختار أن علة السلسلة جزؤها (قوله) لأن موجد الكل موجد لكل من أجزائه إن أراد أن موجد الكل يجب أن يكون موجداً بنفسه لكل جزء من أجزائه فممنوع وإن أراد أن موجد الكل يجب أن يكون موجد الكل جزء من أجزائه إما بنفسه أو بأجزائه فمسلم ٨٣ لكن لا محذور فيه إذ يجوز حينئذ

النفس ومردية من وجهين (أحدهما) أنه اعتاد بها على لذاتها الخاصة بها وهو الاتصال بالملائكة والاطلاع على الأمور الجميلة الإلهية ولا يكون معها البدن الشاغل فيلهيها عن التألم كما قبل الموت (والثاني) أنه يبقى معها الحرص والميل إلى الدنيا وأسبابها ولذاتها وقد استلبت منها الآلة فإن البدن هو الآلة للوصول إلى تلك اللذات فيكون حاله حال من عشق امرأة وألف رئاسة واستأنس بأولاد واستروح إلى مال وابتهج بحشمه فقتل معشوقته وعزل عن رئاسته وسبي أولاده ونساؤه وأخذ أمواله أعداؤه وأسقطت بالكلية حشمته فيقاسي من الألم ما لا يخفى وهو في هذه الحياة غير منقطع الأمل عن عود أمثال هذه الأمور فإن أمر الدنيا غاد ورائح فكيف إذا انقطع الأمل بفقد البدن بسبب الموت ولا ينجي عن التضمخ بهذه الهيئات إلا كف النفس عن الهوى والإعراض عن الدنيا والإقبال بكنه الجد على العمل والتقوى حتى تنقطع علائقها عن الأمور الدنيوية وهو في الدنيا وتستحكم علاقتها مع الأمور الأخروية فإذا مات كان كالمتخلص عن سجن والواصل إلى جميع مطالبه وهو جنته ولا يمكن سلب هذه الصفات عن النفس ومحوها بالكلية فإن الضرورات البدنية تدعو إليها إلا أنه يمكن تضعيف تلك العلاقة ولذلك قال الله تعالى وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً إلا أنه إذا ضعفت العلاقة لم تشتد نكاية فراقها وعظم الالتذاذ بالاطلاع على ما عند الموت من الأمور الإلهية فأماط أثر مفارقة الدنيا والنزوع إليها على قرب كمن يستنهض من وطنه إلى منصب عظيم وملك مرتفع فقد ترق نفسه حالة الفراق على أهله ووطنه فيتأذى أذى ما ولكن ينمحي بما يستأنفه من لذة الابتهاج بالملك والرئاسة وإذا لم يكن سلب هذه الصفات ممكناً فقد ورد الشرع في الأخلاق بالتوسط بين كل طرفين متقابلين لأن الماء الفاتر لا حار ولا بارد فكأنه بعيد عن الصفتين ولا ينبغي أن يبالغ في إمساك المال فيستحكم فيه حرص المال ولا في الإنفاق فيكون مبذراً ولا أن يكون ممتنعاً عن كل الأمور فيكون جباناً ولا منهمكاً في كل أمر فيكون متهوراً بل يطلب الجود فإنه التوسط بين البخل والتبذير والشجاعة فإنها التوسط بين الجبن والتهور وكذلك في جميع الأخلاق وعلم الأخلاق طويل والشرع مبالغ في تفصيلها ولا سبيل إلى تهذيب الأخلاق إلا بمراعاة قانون الشرع في العمل حتى لا يتبع الإنسان هواه فيكون قد اتخذ إلهه هواه بل يقلد الشرع فيقدم ويحجم بإشارته لا باختياره فتتهذب أخلاقه ومن عدم هذه الفضيلة في الخلق والعلم جميعاً فهو الهالك ولذلك قال تعالى قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها ومن جمع الفضيلتين العلمية والعملية فهو العارف العابد وهو السعيد المطلق ومن له الفضيلة العلمية دون العملية فهو العالم الفاسق فيعذب مدة ولكن لا يدوم لأن نفسه قد كملت بالعلم ولكن العوارض البدنية لطخته تلطيخاً عارضاً على خلاف جوهر النفس وليس يتجدد الأسباب المحيية فينمحي على طول الزمان ومن له الفضيلة العملية دون العلمية فيسلم وينجو عن الألم ولا يحظى بالسعادة الكاملة وزعموا أن من مات فقد قامت قيامته (وأما ما ورد في الشرع من الصور) فالقصد ضرب الأمثال لقصور الأفهام عن درك هذه اللذات فمثل لهم بما يفهمون ثم ذكر لهم أن تلك اللذات فوق ما وصف لهم بهذا المقدار (ونحن نقول) أكثر هذه الأمور ليس على مخالفة الشرع فإنا لا ننكر أن في الآخرة أنواعاً من اللذات أعظم من المحسوسات ولا ننكر بقاء النفس عند مفارقة البدن (ولكنا) عرفنا ذلك بالشرع إذ ورد بالمعاد ولا يظهر المعاد إلا ببقاء

أن يكون ما قبل المعلول الأخير إلى غير النهاية علة للتسلسل وهو وإن كان لإمكانه محتاجاً إلى علة أخرى لكن تلك العلة جزء منه وهو ما فوق المعلول الثاني لا إلى نهاية وهلم جرا (وما يقال) من أن المراد بالعلة في تقرير الدليل هو الفاعل المستقل على معنى أن لا يستند شيء من أجزاء السلسلة إلا إليه أو إلى ما صدر عنه وما قبل المعلول الأخير لا إلى نهاية ليس فاعلاً مستقلاً بهذا المعنى وهو ظاهر (فجوابه) أن المعلوم إنما هو أن كل ممكن مركب من ممكنات لا بد له من فاعل مستقل أما الاستقلال بمعنى أن لا يكون جزء من أجزاء ذلك المركب إلا ويستند إليه أو إلى ما صدر عنه فهو إنما يجب في المركب من آحاد متناهية يستند بعضها إلى بعض وأما المركب من آحاد غير المتناهية التي يستند بعضها إلى بعض على ما هو المفروض في السلسلة التي كلامنا فيها فلزوم الفاعل المستقل بذلك المعنى ممنوع ولم لا يكفي له الفاعل المستقل بمعنى أن المركب لا يحتاج إلى فاعل خارج عنه وفيما ذكرناه استقلال بهذا المعنى (فإن قلت) أي جزء من السلسلة يفرض علة فعلية أولى منه بأن يكون علة لها لأن تأثير ذلك الجزء في السلسلة بتحصيل ما تحته وتأثير علته بتحصيله وتحصيل ما تحته فلو كان علة السلسلة جزءاً منها لزم ترجيح المرجوح بلا مرجح (قلنا) المحصل للسلسلة أولاً وبالذات هو ما قبل المعلول الأخير إذ به يحصل المعلول الأخير وتتم السلسلة وأما علته فهو محصل له أولاً وبالذات وبواسطته محصل للسلسلة

متعينا لكونه علة للسلسلة من غير محذور وهذا (قال الامام الغزالي) في رد الاستدلال الثاني على استحالة التسلسل في العلل لفظ الممكن والواجب لفظ مبهم الا أن يراد بالواجب ما لا علة لوجوده ويراد بالممكن ما لوجوده علة وان كان المراد هذا فلنرجع الى هذه اللفظة فنقول كل واحد ممكن على معنى ان له علة زائدة على ذاته والكل ليس بممكن على معنى انه ليس له علة زائدة على ذاته خارجة عنه فان أريد بلفظ الممكن غير ما أردنا فهو ليس بمفهوم (فان قيل) فهذا يؤدي الى أن يتقوم واجب الوجود بممكنات الوجود وهو محال (قلنا) ان أردتم بالواجب ما ذكرناه فهو نفس المطلوب ولا نسلم انه محال وهو كقول القائل يستحيل ان يتقوم القديم بالحوادث والزمان عندهم قديم وآحاد الدورات حادثة وهي ذوات أوائل والمجموع لا أوّل له فقد تقوم ما لا أوّل له بذوات الاوائل وصدق ذوات الاوائل على الآحاد ولم تصدق على المجموع فكذلك يقال على كل واحد انه له علة ولا يقال للمجموع انه له علة وليس كل ما صدق على الآحاد يلزم أن يصدق على المجموع اذ يصدق على كل واحد انه واحد وانه بعض وانه جزء ولا يصدق على المجموع وكل موضع عيناه من الارض فانه قد استضاء بالشمس في النهار وأظلم بالليل وكل واحد حادث بعد أن لم يكن أي له أوّل والمجموع عندهم ما له أوّل فتبين أن من يجوز حوادث لا أوّل لها وهي صور العناصر والمتغيرات فلا يتمكن من انكار علل لا نهاية لها ويخرج من هذا انه لا سبيل لهم الى الوصول الى اثبات المبدا الاوّل بهذا الاشكال ويرجع فرقهم الى التحكم المحض هذا لفظه (واقول) الى هذا حشو كلامه اذ المراد بالممكن ما له علة غير ذاته وبالواجب ما لا علة له سواء كانت داخلة أو خارجة فيكون الكل ممكنا لاحتياجه الى علة هي اجزاؤه وتقوم الواجب بالممكن بهذا المعنى غير معقول وتشبيهه بتقوم القديم بالحادث تشبيه حسن الا أن نسبة تجويز المشبه به الى الفلاسفة في غاية القبح (قوله) آحاد الدورات حادثة ذوات أوائل والمجموع لا أوّل له عندهم فقد تقوم ما لا أوّل له

النفس واعا أنكرنا عليهم من قبل دعواهم معرفة ذلك بمجرد العقل ولكن المخالف للشرع منها انكار حشر الاجساد وانكار اللذات الجسمانية في الجنة والآلام الجسمانية في النار وانكار وجود جنة ونار كما وصف في القرآن فما المانع من تحقق الجمع بين السعادتين الروحانية والجسمانية وكذا الشقاوة وقوله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفي لهم أي لا يعلم جميع ذلك وقوله أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت وكذلك وجود تلك الامور الشريفة لا يدل على نفي غيرها بل الجمع بين الامرين أكمل والموعود أكمل الامور وهو ممكن فيجب التصديق به على وفق الشرع (فان قيل) ما ورد فيه أمثال ضربت على حد افهام الخلق كما ان الوارد من آيات التشبيه واخباره أمثال على حد فهم الخلق والصفات الالهية مقدسة عما يتخيله عامة الناس (والجواب) ان التسوية بينهما تحكم بل هما يفترقان من وجهين (أحدهما) ان الالفاظ الواردة في التشبيه محتملة للتأويل على عادة العرب في الاستعارة وما ورد في وصف الجنة والنار وتفصيل تلك الاحوال بلغ مبلغا لا يحتمل التأويل فلا يبقى الا حمل الكلام على التلبيس بتخييل نقيض الحق لمصلحة الخلق وذلك مما يتقدس عنه منصب النبوة (والثاني) ان أدلة العقول دلت على استحالة المكان والجهة والصورة ويد الجارحة وعين الجارحة وامكان الانتقال والاستقرار على الله سبحانه فوجب التأويل بادلة المعقول وما وعد من أمور الآخرة ليس محالا في قدرة الله تعالى فيجب الجري على ظاهر الكلام بل على فحواه الذي هو صريح فيه (فان قيل) وقد دل الدليل العقلي على استحالة بعث الاجساد كما دل على استحالة تلك الصفات على الله تعالى فنطالبهم باظهار دليلهم ولهم فيه مسالك (المسلك الاوّل) قولهم تقدير العود الى الابدان لا يعدو ثلاثة أقسام اما ان يقال الانسان عبارة عن البدن والحياة التي هي عرض قائم به كما ذهب اليه بعض المتكلمين وان النفس التي هي قائمة بنفسها ومدبرة للجسم فلا وجود لها ومعنى الموت انقطاع الحياة أي امتناع الخالق عن خلقها فتنعدم والبدن أيضا ينعدم ومعنى المعاد اعادة الله تعالى للبدن الذي انعدم ورده الى الوجود واعادة الحياة التي انعدمت * أو يقال ان مادة البدن تبقى ترابا ومعنى المعاد أن يجمع ويركب على شكل الآدمي ويخلق فيها الحياة ابتداء فهذا قسم * واما أن يقال النفس موجودة وتبقى بعد الموت ويكون رد النفس الى البدن الاوّل بجمع تلك الاجزاء بعينها وهذا قسم * واما أن يقال رد النفس الى بدن سواء كان من تلك الاجزاء أو من غيرها ويكون العائد ذلك الانسان من حيث ان النفس تلك النفس واما المادة فلا التفات اليها اذ الانسان ليس انسانا بها بل بالنفس (وهذه الاقسام الثلاثة) باطلة (اما الأوّل) فظاهر البطلان لانه مهما انعدمت الحياة والبدن فاستئناف خلقهما ايجاد لمثل ما كان لا لعين ما كان بل العود المفهوم هو الذي يفرض فيه بقاء شيء وتجدد شيء كما يقال عاد فلان الى الانعام أي ان المنعم باق وترك الانعام ثم عاد اليه أي عاد الى ما هو الأوّل بالجنس ولكنه غير بالعدد فيكون عودا بالحقيقة الى مثله لا اليه ويقال فلان عاد الى البلد أي بقي موجودا خارجا وقد كان له كون في البلد فعاد الى مثل ذلك وان لم يكن شيء باقيا وشيآن متعددان متماثلان يتخللهما زمان لم يتم اسم العود أو سلك مذهب المعتزلة فيقال المعدوم شيء ثابت والوجود حال يعرض له مرة وينقطع تارة ويعود أخرى فيتحقق معنى العود باعتبار بقاء الذات ولكنه رفع للعدم المطلق الذي هو النفي المحض وهو اثبات للذات مستمرة الثبات

بذوات الأوائل ليس بشيء اذ لم يقل أحد بكون مجموع الدورات قديما وكيف يستجيز العاقل أن يقول المجموع الذي أحد أجزائه حصل اليوم قديم لا أول له فان تحقق الجميع يتوقف على تحقق جميع أجزائه فقبل تحقق بعض أجزاء الجميع لا تحقق للجميع أصلا فكيف من القدم بل النزاع في كلامهم كون نوع الحركة قديمة مع حدوث افرادها على معنى ان قبل كل دورة لا الى نهاية ونوعها محفوظ بتعاقب الجزئيات التي لا نهاية لها فاين هذا من قدم الجميع مع حدوث بعض أجزائه وما صدق على كل جزء وان لم يلزم أن يصدق على الكل الا انه ليس يلزم أن لا يصدق على الكل ما يصدق على كل واحد فان بعض الاحكام قد يشترك فيه الكل والجزء والقدم مما يجب ثبوته للكل ثبوته لكل جزء والحدوث مما يقتضي ثبوته للجزء ثبوته للمجموع ٨٥ وهذا ضروري لا يصلح أن ينازع فيه

﴿الفصل السابع في بيان عجزهم عن اقامة الدليل على وحدانية الواجب تعالى﴾ ولهم فيها مسلكان (الاول) أنهم قالوا لا يجوز أن يكون في الوجود موجودان كل منهما واجب الوجود لذاته وذلك لان طبيعة واجب الوجود اما أن تقتضي لذاتها التعين أو لا تقتضي فاذا اقتضت كانت منحصرة في شخص لان الطبيعة المقتضية للشخص ان كان لها فرد فوق الواحد لزم تخلف مقتضى الذات عنها وهو محال وان لم تقتض لذاتها التعين يكون واجب الوجود محتاجا في تعينه الى غيره فيكون واجب الوجود المتعين معلولا للغير فلا يكون ما فرض واجب الوجود واجبا ويرد على هذا المسلك انه لم لا يجوز أن يكون حقيقتان مختلفتان يقتضي كل منهما تعينه ويكون مفهوم واجب الوجود مقولا عليهما على سبيل القول اللازم الخارجي فيكون كل منهما منحصرا في فرد من غير انحصار واجب الوجود في فرد (فان قلت) حقيقة واجب الوجود ليس الا مجرد الوجود ولا اختلاف في مجرد الوجود نعم الوجود المقارن للماهية يختلف بحسب اختلاف اضافته اليها وأما محض الوجود فهو في نفسه لا اختلاف فيه حقيقة (قلت) ان أردت ان حقيقة واجب الوجود ليس الا المعنى الذي نفهمه من لفظ الوجود فممنوع كيف وحقيقة الواجب عندهم غير معقولة للبشر ولا ممكنة التعقل أيضا وان أردت أن حقيقة الواجب يصدق عليه ما نفهمه من لفظ الوجود فمسلم ولكن لم لا يجوز أن يكون ما صدق عليه مفهوم الوجود حقائق متخالفة يقتضي كل منها تعينه فان الوجود الخاص الواجبي الذي هو عين حقيقة الواجب عندهم مخالف بالحقيقة لسائر الوجودات لا لمجرد التجرد والانضياف الى الماهية فلم لا يجوز أن يكون ما صدق عليه الوجود المجرد حقائق متخالفة متميزة كل منها عن الآخر بذاتها (المسلك

الى ان يعود اليه الوجود وهو محال وان احتال ناصر هذا القسم بان قال تراب البدن لا يفنى فيكون باقيا فتعاد اليه الحياة فنقول عند ذلك يستقيم أن يقال عاد التراب حيا بعد ان انقطعت الحياة عنه مدة ولا يكون ذلك عود الانسان ولا رجوع ذلك الانسان بعينه لان الانسان انسان لا بمادته والتراب الذي فيه اذ يتبدل عليه سائر الاجزاء أو أكثرها بالغذاء وهو ذلك الاول بعينه فهو هو باعتبار روحه ونفسه فاذا عدمت الحياة أو الروح فما عدم لا يعقل عوده وانما يستأنف مثله ومهما خلق الله حياة انسانية في تراب يحصل من بدن شجرة أو فرس أو نبات كان ذلك ابتداء خلق انسان فالمعدوم قط لا يعقل عوده والعائد هو الموجود أي عاد الى حالة كانت له من قبل أي الى مثل تلك الحالة فالعائد هو التراب الى صفة الحياة وليس الانسان انسانا ببدنه اذ قد يصير بدن الفرس غذاء لانسان فيخلق منه نطفة يحصل منها انسان ولا يقال الفرس انقلب انسانا بل الفرس فرس بصورته لا بمادته وقد انعدمت الصورة وما بقي الا المادة (واما القسم الثاني) وهو تقدير بقاء النفس وردها الى ذلك البدن بعينه فهو لو تصور لكان معادا أي عودا الى تدبير البدن بعد مفارقته ولكنه محال اذ بدن الميت ينحل ترابا أو تأكله الديدان والطيور ويستحيل ماء وبخارا وهواء ويمتزج بهواء العالم وبخاره ومائه امتزاجا يبعد انتزاعه واستخلاصه ولكن ان فرض ذلك اتكالا على قدرة الله تعالى فلا يخلو اما ان يجمع الاجزاء التي مات عليها فقط فينبغي أن يعاد الاقطع ومجدوع الانف والاذن وناقص الاعضاء كما كان وهذا مستقبح لا سيما في أهل الجنة والذين خلقوا ناقصين في ابتداء الفطرة فاعادتهم على ما كانوا عليه من الهزال عند الموت في غاية النكال هذا ان اقتصر على جمع الاجزاء الموجودة عند الموت وان جمع جميع أجزائه التي كانت موجودة في جميع عمره فهو محال من وجهين (أحدهما) أن الانسان اذا تغذى بلحم انسان وقد جرت به العادة في بعض البلاد ويكثر وقوعه في أوقات القحط فيتعذر حشرهما جميعا لان مادة واحدة كانت بدنا للمأكول وصارت بالغذاء بدنا بعد ذلك للآكل ولا يمكن رد نفسين الى بدن واحد (والثاني) انه يجب ان يعاد جزء واحد كبدا وقلبا ورجلا فانه ثبت بالصناعة الطبية ان الاجزاء العضوية يتغذى بعضها بفضلة غذاء البعض فيتغذى الكبد باجزاء القلب وكذا سائر الاعضاء فنفرض أجزاء معينة وقد كانت مادة لجملة من الاعضاء فالى أي عضو يعاد بل يحتاج في تقدير الاستحالة الاولى الى أكل الناس فانك اذا تأملت ظاهر التربة المعمورة علمت بعد طول الزمان أن ترابها جثث الموتى قد تتربت وزرع فيها وغرس وصارت حبا وفاكهة وتناولها الدواب فصارت لحما وتناولناها فعادت أبدانا لنا فما من مادة يشار اليها الا وقد كانت بدنا للناس كثيرة فاستحالت وصارت ترابا ثم نباتا ثم لحما ثم حيوانا بل يلزم منه محال ثالث وهو ان النفوس المفارقة للابدان غير متناهية والابدان متناهية فلا تفي المواد التي كانت

الثاني لهم) هو أنه لو كان الوجوب مشتركا بين اثنين لكان بينهما امتياز اذ لا اثنينية بدون التمايز وما به التمايز غير ما به الاشتراك ضرورة فيلزم تركب كل من الواجبين مما به الاشتراك ومما به الامتياز لان الوجوب نفس ماهية الواجب اذ لو كان عارضا لها لكان معللا بها اذ لو علل بغيرها لم يكن ذاتيا واذا علل بها لزم تقدمه على نفسه لان العلة متقدمة على المعلول بالوجود والوجوب واذا كان الوجوب نفس الماهية كان الاشتراك فيه مستلزما للامتياز بالتعين فتتركب خصوصية كل منهما من التعين والماهية وهو محال والا لم يكن الواجب واجبا لاحتياجه الى الاجزاء التي هي غيره قيل يجوز أن تكون الخصوصية من العوارض فلا يلزم التركيب (وأجيب) بانه لو كان التعين عارضا يكون معللا اما ٨٦ بالماهية أو بلازمها أو بأمر منفصل وعلى الاولين يلزم وحدة الواجب وهو ينافي التعدد المفروض لان التعين اذا كان معللا بالماهية أو بلازمها يكون نوعها منحصرا في شخص والا يلزم تخلف المعلول عن العلة وعلى الثالث يلزم الاحتياج المنافي لوجوب الوجود وهذا بالحقيقة اتمام للمسلك الثاني بالاول فلا يكون دليلا مستقلا والجواب أنه ان أريد بكون التعين من العوارض كونه من عوارض الماهية ولا يدفع لزوم تركب هوية كل منهما وان أريد كونه من عوارض الهوية فغير معقول لان الهوية شخص جزئي يمنع نفس تصور مفهومه من وقوع الشركة فيه فلو لم يعتبر فيه سوى الماهية الكلية شئ بالجزئية لم يكن نفس مفهومه من حيث هو متصورا مانعا من وقوع الشركة فيه فلا يكون شخصا جزئيا وقد يناقش في كون الاحتياج في التعين الى أمر منفصل منافيا لوجوب الوجود فان الواجب هو ما لا يحتاج في وجوده الى غيره

مذهبكم

والاحتياج في التعين لا ينافي ذلك ويجاب بان الوجود لا يعرض الا للمعين من حيث هو معين لا للمطلق على اطلاقه وابهامه فاذا فرض للواجب تعين زائد على ماهيته يكون وجوده محتاجا الى ذلك التعين الزائد فلو علل ذلك التعين الزائد بأمر منفصل يكون وجوده بواسطة ذلك التعين الزائد محتاجا الى ذلك الامر المنفصل فلا يكون واجبا هذا خلف (لا يقال) لا يلزم من عدم عروض الوجود الا للمعين وزيادة تعين الواجب عليه احتياج الوجود الى التعين لجواز أن يكون كل من التعين والوجود عارضا للامر من غير احتياج أحدهما الى الآخر (لانا نقول) التعين لا بد وان يدخل في معروض الوجود والا لم يكن الموجود من حيث هو هو ما دام مفروض اشتراكه بين كثيرين بل باعتبار عارضه فلا يكون الموجود من حيث هو هو جزئيا فيكون الوجود محتاجا الى التعين ضرورة احتياج

مواد الابدان بانفس الناس كلهم بل تضيق عنهم (وأما القسم الثالث) وهو رد النفس الى بدن انسان من أي مادة كانت وأي تراب اتفق فهذا محال من وجهين (أحدهما) أن المواد القابلة للكون والفساد محصورة في مقعر فلك القمر لا يمكن عليها مزيد وهي متناهية والانفس المفارقة للابدان غير متناهية فلا تفي بها (والثاني) ان التراب لا يقبل تدبير النفس ما بقي ترابا بل لا بد وان تمتزج العناصر امتزاجا يضاهي امتزاج النطفة بل الخشب والحديد لا يقبل هذا التدبير ولا يمكن اعادة الانسان وبدنه من خشب أو حديد بل لا يكون انسانا الا اذا انقسم أعضاء بدنه الى اللحم والعظم والاخلاط ومهما استعد البدن والمزاج لقبول نفس استحق من المبادي الواهبة للنفوس حدوث نفس فيتوارد على البدن الواحد نفسان وبهذا بطل مذهب التناسخ فان رجع الى اشتغال النفس بعد خلاصها من البدن بتدبير بدن آخر غير البدن الاول فالمسلك الذي يدل على بطلان التناسخ يدل على بطلان هذا المذهب (والاعتراض) هو أن يقال بم تنكرون على من يختار القسم الاخير ويرى أن النفس باقية بعد الموت وهو جوهر قائم بنفسه وان ذلك لا يخالف الشرع بل دل عليه الشرع في قوله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون وبقوله عليه السلام أرواح المؤمنين في حواصل طير خضر معلقة تحت العرش وبما ورد من الاخبار بشعور الارواح بالصدقات والخيرات وسؤال منكر ونكير وعذاب القبر وغيره وكل ذلك يدل على البقاء نعم قد دل مع ذلك على البعث والنشور بعده وبعث البدن وذلك ممكن بردها الى بدن أي بدن كان من مادة البدن الاول أو من غيره أو من مادة استؤنف خلقها فانه هو بنفسه لا ببدنه اذ يتبدل عليه أجزاء البدن من الصغر الى الكبر بالهزال والسمن وتبدل الغذاء ويختلف مزاجه مع ذلك وهو ذلك الانسان بعينه فهذا مقدور لله ويكون ذلك عودا لتلك النفس فانه قد تعذر عليها ان تحظى بالآلام واللذات الجسمانية بفقد الآلة وقد أعيدت اليها آلة مثل الاولى وكان ذلك عودا محققا وما ذكرتموه من استحالة هذا بكون النفوس غير متناهية وكون المواد متناهية محال لا أصل له فانه بناء على قدم العالم وتعاقب الادوار على الدوام ومن لا يعتقد قدم العالم فالنفوس المفارقة للابدان عنده متناهية وليست أكثر من المواد الموجودة وان سلم انها أكثر فالله تعالى قادر على الخلق واستئناف الاختراع وانكاره انكار لقدرة الله تعالى على الاحداث وقد سبق ابطاله في مسئلة حدوث العالم (وأما الاحالة الثانية) بان هذا تناسخ فلا مشاحة في الاسماء فما ورد الشرع به يجب تصديقه فليكن تناسخا وانما ننكر التناسخ في هذا العالم فاما البعث فلا ننكره سمي تناسخا أو لم يسم (وقولكم) ان كل مزاج استعد لقبول نفس استحق حدوث نفس من المبادي رجوع الى ان حدوث النفس بالطبع لا بالارادة وقد أبطلنا ذلك في مسئلة حدوث العالم كيف ولا يبعد على مساق

العارض الى ماهو متميز في معروضه بالجزئية فيلزم من احتياجه الى أمر منفصل احتياج الوجود اليه (والجواب عن المسلك الثاني) انه ان أريد بالوجوب اقتضاء الذات الوجود فلا نسلم انه نفس حقيقة الواجب بل هو أمر اعتباري لا وجود له في الخارج قطعا فكيف كان نفس حقيقة الواجب وان أريد به معنى آخر يعرض له هذا المفهوم فمسلم لكنه لا يفيد المطلوب لجواز أن يكون ما يعرض له هذا المفهوم حقائق متخالفة يمتاز كل منها عن الآخر بنفسه من غير لزوم تركب (فان قلت) الخصم قد أقام الدليل على كون الوجوب نفس الماهية الواجبة فمنعه بعد اقامة الدليل عليه يكون خارجا عن قانون المناظرة (قلت) عدم كون الوجوب بالمعنى المذكور نفس الماهية ضروري لكونه مفهوما اعتباريا قطعا والدليل القائم على كونه نفس ماهية الواجب سفسطة مصادمة للضرورة فلا يسمع وان لم يتعين عندنا وجه فساده ويمكن أن يقال في بيان وجه الغلط فيه أن قوله لو كان عارضا لها لكان معللا ممنوع لانه مفهوم اعتباري لا موجود خارجي ولا حاجة له الى علة (فان قلت) المفهومات الاعتبارية وان لم تحتج الى علة لثبوتها في نفسها لكنها تحتاج اليها لثبوتها لمحالها ويتم الكلام به (قلت) ذاته وجوب خاص يقتضي بنفسه اتصافه بعارضه الذي هو الوجوب المطلق فيلزم حينئذ تقدم ذاته بالوجوب الذي هو نفسه على اتصافه بالوجوب الذي هو عارضه فلا يقدم للشئ على نفسه كما أن ذاته وجود خاص مقتض للوجود المطلق الذي هو عارضه عندهم هذا وقد يتوهم أن محصول المسلك الاول اما قياس استثنائي وضع فيه عين المقدم لينتج عين التالي هكذا كلما كان الوجوب الذي هو نفس ماهية الواجب مقتضيا للتعين كان التعدد ممتنعا لكن المقدم حق فالتالي مثله أو اقتراني هكذا الوجوب الذي هو نفس ماهية الواجب مقتض لتعينه وكل ماهية مقتضية لتعينها يمتنع تعدد أفرادها فالواجب يمتنع تعدد أفراده وهذا يدل على أن التعين زائد على ماهية الواجب تقتضيه ماهيته على خلاف ما يفهم من المسلك الثاني من أنه لا يزيد تعينه على ماهيته فان جعلوا التعين زائدا على ماهيته لم يصح لهم التمسك بالمسلك الثاني وان جعل عينه لم يصح لهم التمسك بالمسلك الاول اذ لا يصدق حينئذ احدى مقدمتي القياس وضع المقدم أو الصغرى (وجوابه) أن التعين نفس ماهية الواجب عندهم وليس محصول المسلك الاول ما ذكر حتى لا تصدق احدى مقدمتي الدليل ولا يصح الاستدلال به بل محصوله هو أنه لو كان الوجوب مشتركا بين اثنين لم يكن تعين الواجب نفس ماهيته وهو ظاهر بل كان زائدا عليه فلا بد وأن يكون معللا اما بالماهية أو بلازمها فيلزم خلاف المفروض وهو تعدد الواجب

مذهبكم أيضا ان يقال انما يستحق حدوث النفس اذا لم تكن نفس موجودة فتستأنف نفس فيبقى ان يقال فلم لم يتعلق بالأمزجة المستعدة في الارحام قبل البعث والنشور بل في عالم الدنيا فيقال لعل الانفس المفارقة تستدعي نوعا آخر من الاستعداد ولا يتم سببها الا في ذلك الوقت ولا يبعد في ان يفارق الاستعداد المشروط للنفس الكاملة المفارقة الاستعداد المشروط للنفس الحادثة ابتداء التي لم تستفد كمالا بتدبير البدن مدة والله تعالى أعلم بتلك الشروط وبأسبابها واوقات حضورها وقد ورد الشرع به وهو ممكن فيجب التصديق به (المسلك الثاني) ان قالوا ليس من المقدورات يقلب الحديد ثوبا منسوجا بحيث يتعمم به الانسان الا بتحلل أجزاء الحديد الى بسائط العناصر باسباب تستولي على الحديد وتحلله الى بسائط العناصر ثم تجمع العناصر وتدار في أطوار الخلقة الى ان يكتسب صورة القطن ثم يكتسب القطن صورة الغزل ثم الغزل يكتسب الانتظام المعلوم الذي هو النسج على هيئة معلومة ولو قيل ان قلب الحديد عمامة قطنية ممكن من غير الاستحالة في هذه الاطوار على سبيل الترتيب كان محالا نعم يجوز ان يخطر للانسان ان هذه الاستحالات يجوز ان تحصل كلها في أزمان متقاربة لا يحس الانسان بطولها فيظن انه وقع فجأة دفعة واحدة واذا عقل هذا فالانسان المبعوث المحشور لو كان بدنه من حجر أو ياقوت أو در أو تراب محض لم يكن انسانا بل لا يتصور ان يكون انسانا الا ان يكون متشكلا بالشكل المخصوص مركبا من العظام والعروق واللحوم والغضاريف والاخلاط والاجزاء المفردة تتقدم على المركبة ولا يكون البدن ما لم تكن الاعضاء ولا تكون الاعضاء المركبة ما لم تكن العظام واللحوم والعروق ولا تكون هذه المفردات ما لم تكن الاخلاط ولا تكون الاخلاط الاربعة ما لم تكن موادها من الغذاء ولا يكون الغذاء ما لم يكن حيوان ونبات وهو اللحم والحبوب ولا يكون حيوان ولا نبات ما لم تكن العناصر الاربعة جميعا ممتزجة بشرائط مخصوصة طويلة أكثر مما فصلنا جملتها فاذن لا يمكن ان يتجدد بدن الانسان لترد النفس اليه الا بهذه الامور (ولها) أسباب كثيرة أفيقلب التراب انسانا بان يقال له كن فيكون أو بان تمهد أسباب انقلابه في هذه الادوار وأسبابه هو الماء النطفة المستخرجة من لب بدن الانسان في رحم حتى يستمد من دم الطمث ومن الغذاء مدة ثم يخلق مضغة ثم علقة ثم جنينا ثم طفلا ثم شابا ثم كهلا فقول القائل يقال له كن فيكون غير معقول اذ التراب لا يخاطب وانقلابه انسانا دون التردد في هذه الاطوار محال وتردده في هذه الاطوار دون جريان هذه الاسباب محال فيكون البعث محالا (والاعتراض) انا نسلم ان الترقي في هذه الاطوار لا بد منه حتى يصير بدن الانسان كما انه لا بد منه حتى يصير الحديد عمامة فانه لو بقي حديدا لما كان ثوبا بل لا بد وان يصير قطنا مغزولا ثم منسوجا ولكن ذلك في لحظة أو في مدة ممكن ولم يبين لنا ان البعث يكون في أوحى ما يقدر ان يكون جمع العظام وانشاء

لأن الماهية المقتضية لتعينها الابدوان يكون نوعها منحصرا في شخص والا لزم تخلف مقتضى الطبيعة عنها أو بأمر منفصل فيلزم احتياج واجب الوجود المتعين الى أمر منفصل ولما كان امتناع التعدد ظاهرا على تقدير كون التعين نفس الماهية لم يتعرض له (المسلك الثالث) هو أنه لو كان الواجب أكثر من واحد لكان لكل منهما تعين زائد على ماهيته ضرورة أن امتياز افراد طبيعة واحدة بعضها عن بعض لا يكون الا بتعين زائد عليها فلا يخلو اما أن يكون بين التعين والوجوب لزوم أولا فان كان الثاني وهو أن لا يكون بينهما لزوم جاز انفكاك كل منهما عن الآخر فانضمام أحدهما الى الآخر يستدعى سببا وليس ذلك السبب نفس الذات والا كان بينهما لزوم فيعود الى الشق الاول فتعين أن يكون أمرا خارجا فيكون كل من الواجبين محتاجا الى الغير فلا يكون شئ منهما واجبا هذا خلف وان كان الاول فاللزوم بين الشيئين يكون اما بكون أحدهما علة للآخر أو بكونهما معلولى علة ثالثة فان كان يكون الوجوب علة للتعين لزم خلاف الفرض لان التعين المعلول لازم غير متخلف فلا يوجد الواجب بدونه وان كان يكون التعين علة للوجوب لزم كون الوجوب الذاتي بالغير ان جعل التعين زائدا والأى وان لم يجعل التعين زائدا لزم خلاف المفروض وتقدم الوجوب على نفسه ضرورة تقدم العلة على المعلول بالوجود والوجوب وان كان اللزوم بينهما بكونهما معلولى علة ثالثة وان كان تلك العلة هى ذات الواجب لزم خلاف الفرض لان الطبيعة اذا اقتضت تعينا انحصر نوعها في شخصها لما تقدم وأيضا يلزم تقدم الوجوب على نفسه لما عرفت آنفا وان كان أمرا منفصلا عنه لم يكن الواجب بالذات واجبا بالذات لامتناع احتياج الواجب بالذات في الوجوب والتعين بل في منتظما أحدهما الى أمر منفصل وهو باطل (وجوابه) أنا لا نسلم انه لو كان الواجب أكثر من واحد لكان لكل منهما تعين زائد على ماهيته وانما يلزم ذلك لو كان ما يقال له الواجب أمورا مشتركة في الماهية النوعية وهو ممنوع ولم لا يجوز أن يكون ما صدق عليه الواجب أمورا مخالفة في الحقيقة يتميز كل منها عن الآخر بذاته من غير احتياج الى تعين زائد ويكون تعين كل منها نفس ماهيته وتكون ماهية كل منها وجوبا خاصا مقتضيا للوجوب المطلق ويكون تقدم الواجب على الوجوب المطلق بالوجوب الخاص الذى هو نفس الذات كما تحققت ذلك فيما سلف وقد يجاب عن هذا المسلك بان التركيب من التشخص والماهية تركيب من الاجزاء العقلية لان الماهية والتشخص من الاجزاء العقلية للشخص لا من الاجزاء الخارجية وامتناع مثل هذا التركيب في حق الواجب ممنوع (قال الامام

اللهم وانماته في زمان طويل وليس المناقشة فيه واعما النظر في أنا نترقى في هذه الاطوار يحصل بمجرد القدرة من غير واسطة أو بسبب من الاسباب وكلاهما ممكن عندنا كما ذكرناه في المسئلة الاولى من الطبيعيات عند الكلام على اجراء العادات وان المقترنات في الوجود اقترانها ليس على طريق التلازم بل العادات يجوز خرقها فيحصل بقدرة الله تعالى هذه الامور دون وجود أسبابها وأما الثانى فهو أن نقول ذلك يكون باسباب ولكن ليس من شرطه أن يكون السبب هو المعهود بل في خزانة المقدورات عجائب وغرائب لم يطلع عليها ينكرها من يظن أن لا وجود الا لما شاهده كما ينكر طائفة السحر والنارنجيات والطلسمات والمعجزات والكرامات وهى ثابتة بالاتفاق باسباب غريبة لا يطلع عليها بل لو لم ير انسان المغناطيس وجذبه للحديد وحكى له ذلك لاستنكره وقال لا يتصور جذب الحديد الا بخيط يشد عليه ويجذب فانه المشاهد في الحس حتى اذا شاهده تعجب منه وعلم انه قاصر عن الاحاطة بعجائب القدرة وكذلك الملحدة المنكرة للبعث والنشور اذا بعثوا من القبور ورأوا عجائب صنع الله فيه ندموا ندامة لا تنفعهم ويتحسرون على جحودهم تحسرا لا يغنيهم ويقال لهم هذا الذى كنتم به تكذبون كالذى يكذب بالخواص والاشياء الغريبة بل لو خلق انسان عاقلا ابتداء وقيل له ان هذه النطفة القذرة المتشابهة الاجزاء تنقسم أجزاؤها المتشابهة في رحم آدمية الى أعضاء مختلفة لحمية وعظمية وعصبية وعضروفية وعرقية وشحمية فيكون منها العين على سبع طبقات مختلفة في المزاج واللسان والاسنان على تفاوتهما في الرخاوة والصلابة مع تجاورهما ولم جر الى البدائع التى في الفطرة لكان انكاره أشد من انكار الملحدة حيث قالوا أئذا كنا عظاما نخرة الآية فليس يتمكن المنكر للبعث انه من أين عرف انحصار أسباب الوجود فيما شاهده ولم يبعد أن يكون في احياء الابدان منهاج غير ما شاهده وقد ورد في بعض الاخبار انه يغمر الارض في وقت البعث مطر قطراته تشبه النطف وتختلط بالتراب فاى بعد في أن يكون في الاسباب الالهية أمر يشبه ذلك ونحن لا نطلع عليه ويقتضى ذلك انبعاث الاجساد واستعدادها لقبول النفوس المحشورة وهل لهذا الانكار مستند الا الاستبعاد المجرد (فان قيل) الفعل الالهى له مجرى واحد مضروب لا يتغير ولذلك قال تعالى وما أمرنا الا واحدة كلمح بالبصر وقال تعالى ولن تجد لسنة الله تبديلا وهذه الاسباب التى أوهمتم امكانها ان كانت فينبغى ان تطرد أيضا وتتكرر الى غير نهاية وان يبقى هذا النظام الموجود فى العالم من التولد والتوالد الى غير نهاية وبعد الاعتراف بالتكرر والدور فلا يبعد ان يختلف منهاج الامور فى كل ألف ألف سنة مثلا ولكن يكون ذلك التبدل أيضا دائما أبديا على سنن واحد فان سنة الله لا تبديل فيها وهذا انما كان لان الفعل الالهى يصدر عن المشيئة الالهية والمشيئة الالهية ليست متعينة الجهة حتى يختلف نظامها باختلاف جهاتها فيكون الصادر منها كيف ما كان

(الغزالى) المسلك الاول قولهم انهما لو كانا اثنين لكان نوع وجوب الوجود مقولا على كل واحد منهما وما قيل فيه انه واجب الوجود فلا يخلو اما أن يكون وجوب وجوده لذاته فلا يتصور أن يكون لغيره أو وجوب الوجود له لعلة فيكون ذات واجب الوجود معلولا وقد اقتضت علته له وجوب الوجود ونحن لا نريد بواجب الوجود الا ما لا ارتباط لوجوده بعلة بجهة من الجهات وزعموا أن نوع الانسان مقول على زيد وعمرو وليس زيد انسانا لذاته والا لما كان عمرو انسانا بل لعلة جعلته انسانا وقد جعلت أيضا عمرا انسانا فتكثرت الانسانية بتكثر المادة الحاملة لها وتعلقها بالمادة معلول ليس لذات الانسانية فكذلك ثبوت وجوب الوجود لواجب الوجود ان كان لذاته فلا يكون الا له وان كان لعلة فهو اذن معلول وليس بواجب الوجود فقد ظهر بهذا ان واجب الوجود لا بد وأن يكون واحدا هذه عبارته من غير تغير * وأجاب عنه بما محصله ان الوجوب أمر سلبي لان معناه كون الوجود بلا علة فلا حاجة له الى علة فالترديد بان علته اما الذات أو غيره ترديد فاسد بحسب الوضع بل هذا الترديد لا يجرى فى بعض صفات الاثبات فضلا عما يرجع الى السلب اذ لو قال قائل السواد لون لذاته أو لعلة فان كان لذاته فينبغى أن لا تكون الحمرة لونا وان كان السواد لونا لعلة جعلته لونا فينبغى أن يعقل سواد ليس بلون (وأقول) ان أراد بما ذكره فى الاستدلال ما هو المفهوم من ظاهر عبارته من أن وجوب الوجود لو كان مقولا على اثنين فان كان حصول وجوب الوجود لفرد معين مما يقال له واجب الوجود لذات ذلك المعين فلا يكون لغيره فظاهر البطلان وليس يوجد فى كلامهم منه عين ولا أثر ولا هو مطابق لاصولهم وقواعدهم ولا يصح نسبته اليهم فان القول بان واجب الوجود اذا كان وجوبه لذاته لا يتصور أن يكون لغيره قول بان الطبيعتين المختلفتين لا تشتركان فى لازم واحد ولم نر أحدا خالف فى بطلانه بل الكل متفقون على ان الامكان أمر واحد تقتضيه طبائع الماهية المختلفة بذواتها من غير اشتراك فى أمر ذاتى كالجوهر والعرض مثلا (لا يقال) الوجوب عندهم أمر واحد شخصى ولو كان ثابتا للواجب لذاته لم يتصور ثبوته لغيره فتثبت الوحدانية بخلاف الامكان فانه واحد نوعى ولا يلزم من اقتضاء الماهية نوعا أن لا يقتضى غيرها ذلك النوع وما ذكر من الاتفاق على اشتراك الطبائع المختلفة فى لازم واحد انما هو فى الواحد النوعى دون الشخصى (لانا نقول) لو ثبت كون الوجوب واحدا شخصيا لكفى فى المطلوب سواء كان نفس الماهية أو وصفا لامتناع الانتقال على الاوصاف وقيام وصف واحد شخصى بموصوفين معا فلا حاجة حينئذ الى أن يقال انه لذاته أو لعلة غيره وان أراد أن نوع وجوب الوجود لو كان له فردان فلا يخلو اما أن يكون وجوب وجود أحد الفردين الذات وجوب الوجود على معنى أن يكون نوع وجوب الوجود اقتضى أن يكون خصوصية ذلك الفرد فلا يتصور أن يكون لنوع وجوب الوجود فرد آخر والا لزم تخلف مقتضى الذات عنها أو لغير وجوب الوجود بان لا تقتضى طبيعة وجوب الوجود أن تكون خصوصية ذلك المعين كما أن الطبيعة الانسانية لا تقتضى أن تكون خصوصية زيد فيكون كون هذا الفرد واجب الوجود معللا بأمر غير وجوب الوجود فيكون شخص واجب الوجود معلولا فلا يكون واجب الوجود وهذا محصل ما ذكره الشيخ فى بعض تصانيفه ومبناه على كون الوجوب نفس ماهية الواجب اذ لو كان عارضا لجاز أن يكون المقتضى له هو ذات ذلك المعين فلا يلزم كون ذلك المعين معلولا للغير فجوابه الظاهر أن يقال لا نسلم كون وجوب الوجود نفس ماهية الواجب بل هو عارض من عوارضها فيجوز أن تكون ذوات متخالفة يقتضى كل منها ذلك العارض الذى هو وجوب الوجود على ما سبق لا ما ذكره من أن الوجوب أمر سلبى لا يقتضى علة لانه ان سلم كون الوجوب نفس ماهية الواجب فلا وجه لجعله أمرا سلبيا وان منعه فذلك يكفى فى

متفقا انتظاما يجمع الاول والآخر على نسق واحد كما تراه فى سائر الاسباب والمسببات فان جوزتم استمرار التوالد والتناسل بالطريق المشاهد الآن أو عود هذا المنهاج ولو بعد زمان طويل على سبيل التكرر ولو رفعتم القيامة والآخرة وما دل عليه ظواهر الشرع اذ يلزم عليه أن يكون قد تقدم على وجودنا هذا البعث كرات وسيعود كرات وهكذا على الترتيب (وان قلتم) ان السنة الالهية بالكلية تتبدل الى جنس آخر ولا تعود قط هذه السنة وتنقسم مدة الامكان الى ثلاثة أقسام قسم قبل خلق العالم اذا كان الله تعالى ولا عالم وقسم بعد خلقه على هذا الوجه وقسم به عود الاجسام وهو المنهاج البعثى بطل الاتساق والانتظام وحصل التبديل لسنة الله وهو محال فان هذا انما يمكن بمشيئة مختلفة باختلاف الاحوال أما المشيئة الازلية فلها مجرى واحد مضروب لا تتبدل عنه لان الفعل مضاه للمشيئة والمشيئة على سنن واحد لا تختلف بالاضافة الى الازمان وزعموا ان هذا لا يناقض قولنا ان الله تعالى قادر على كل شئ فانا نقول ان الله تعالى قادر على البعث والنشور وجميع الامور الممكنة على معنى انه لو شاء لفعل وليس من شرط صدق قولنا هذا أن يشاء ولا أن يفعل وهذا كما أنا نقول ان فلانا قادر على أن يحز رقبة نفسه و يبقر بطن نفسه و يصدق ذلك على معنى انه لو شاء لفعل

الجواب لان الوجوب اذا لم يكن نفس حقيقة الواجب لا يلزم من عدم كون وجوب ذلك الفرد معللا بالوجوب أن يكون ذلك الفرد ممكنا لجواز كونه معللا بحقيقة ذلك الفرد ولا حاجة معه الى ارتكاب ماذكره على أن الاوصاف السلبية وان لم تحتج الى علة تجعلها موجودة لعدميتها لكنها محتاجة الى الثبوت لموصوفاتها فلا يكون الترديد فاسدا الموضع وقوله بل هذا الترديد لا يجري في بعض صفات الاثبات فضلا عما يرجع الى السلب ظاهر الفساد لان تلك الصفات ان كانت موجودة فهي في وجودها في نفسها وثبوتها لموصوفها محتاجة الى علة وان كانت اعتبارية فاحتياجها الى علة لثبوتها لموصوفها أظهر من احتياج الصفات السلبية وماذكره في بيانه من أنه لو قال قائل السواد لون لذاته أو لعلة فان كان لذاته فينبغي أن لا تكون الحمرة لونا وان كان السواد لونا بعلة جعله لونا فينبغي أن يعقل سوادا ليس بلون ليس بشئ لانه ان جعل اللون عرضيا للسواد فلونيته معللة بذات السواد ولا يلزم عدم ثبوت اللونية للحمرة لجواز اشتراك اللازم النوعي بين أمور مختلفة الحقائق وان جعل ذاتيا للسواد فلونية السواد معللة بفصله فانه ينضم الى اللون الذي هو جنسه ويحصله نوعا ويجعله نابتا له فان تحصيل الجنس نوعا وجعل الجنس ثابتا للنوع أمران متلازمان سببهما فصل ذلك النوع ولا يلزم أن يعقل سواد بدون لون لانه لا يحصل للسواد بدون انضمام الفصل بل ذلك انما يكون اذا عللت لونية السواد بعلة خارجة عن علة ثبوت اللونية له واذا كانت خارجة يلزم انتفاء اللونية بانتفائها فلا يكون السواد لونا في ذاته وذلك محال أما اذا كانت العلة داخلة فبانتفائها ينتفي ذات السواد ولا يتقرر في حد ذاتها فلا يلزم أن لا يكون

السواد لونا أو بدل ثبوت الجزء للكل مطلقا معلل بما يحصل الكل ويجمع الاجزاء وبانتفائه ينتفي الكل ولا يتقرر في حد ذاته ولا يلزم عدم ثبوت الجزء للكل لان ذلك انما يتصور اذا تقرر الكل بدون علة ثبوت الجزء وليس كذلك فيما نحن فيه وما يقال من أن ثبوت الذاتي للذات لا يعلل محمول على انه لا يعلل بعلة خارجة عن علة الذات اذ لا تتصور أن يكون ثبوت شئ لشئ في نفس الامر من غير أن يكون هناك علة للثبوت اذ ليس ثبوت شئ لشئ مما يمكن أن يستقل بنفسه من غير احتياج الى شئ حتى يكون واجبا غير محتاج الى سبب وأما ثبوت نفس الذات للذات فليس بمعلل أصلا اذ لا ثبوت هناك الا بحسب الاعتبار لان الثبوت يستدعي تغاير الطرفين ولا تغاير هنالك الا بحسب الاعتبار فيكون الثبوت أيضا اعتباريا في تقريره المسلك الثاني أيضا قصور لان حاصل ماذكره بعد حذف زوائده انه لو وجد واجبان لكانا اما متماثلين من كل وجه فيرتفع التعدد والاثنينية أو مختلفين من كل وجه ولا يشتركان في وجوب الوجود والمفروض خلافه أو مشتركين في أمر ومختلفين في آخر فيتركب كل منهما مما به الاشتراك وما به الامتياز ولزم تركب الواجب وأنت تعلم أن مجرد الاشتراك في أمر والاختلاف في آخر لا يستلزم التركب لجواز أن يكون الاشتراك بعارض والاختلاف بماهيتهما البسيطتين فلا بد في الزام التركيب من بيان كون الوجوب المشترك بينهما غير عارض كما قررناه فيما سبق اللهم الا أن يراد بالتركيب مجرد الكثرة سواء كانت بحسب الاجزاء أو بحسب الذات والصفة كما يشعر به كلامه فيما سيأتي لكنه لا يوافق تقرير القوم واعلم أن الفلاسفة ذهبوا الى أن المبدأ الاول جل ذكره ليس فيه شائبة كثرة بوجه من الوجوه لا بحسب قبول الانقسام الى الاجزاء المقدارية كالامتدادات القابلة له ولا بحسب الاجزاء الوجودية كالجسم الطبيعي المركب بحسب الخارج من الهيولى والصورة ولا بحسب الاجزاء العقلية كالانسان المركب من الاجزاء العقلية أعني جنسه الذي هو الحيوان وفصله الذي هو الناطق ولا بحسب الصفات بان يكون ذاته موصوفا بصفة موجودة زائدة على ذاته بحسب الخارج كالسواد للجسم والعلم والقدرة للانسان ولا بحسب الماهية والوجود بان يكون وجوده زائدا على ماهيته كما في الممكنات وأما كثرة أسمائه فباعتبار كثرة السلوب والاضافات وهي لا تقتضي كثرة في الذات بوجه مثلا اذا قيل له

(حاشية)

ولكنا نعلم انه لا يشاء ولا يفعل وقولنا الا يشاء ولا يفعل لا يناقض قولنا انه قادر بمعنى انه لو شاء لفعل فان الحمليات لا تناقض الشرطيات كما عرف في المنطق اذ قولنا لو شاء لفعل شرطي موجب وقولنا ما شاء وما فعل حمليتان سالبتان والسالبة الحملية لا تناقض الموجبة الشرطية فان الدليل الذي دلنا على ان مشيئته أزلية وليست متعينة يدلنا على ان مجرى الامر الالهي لا يكون الا على انتظام واتساق التكرر والعود وان احتمل في آحاد الاوقات فيكون احتمالا فيه أيضا على انتظام واتساق التكرر والعود وأما غيره فلا يمكن (والجواب) ان هذا استمداد من مسئلة قدم العالم وان المشيئة قديمة فليكن العالم قديما وقد أبطلنا ذلك وبينا انه لا يبعد في العقل وضع ثلاثة أقسام وهو أن يكون الله تعالى موجودا ولا عالم ثم يخلق العالم على النظم المشاهد ثم يستأنف نظما ثانيا وهو الموعود به في الجنة ثم يعدم الكل حتى لا يبقى الا الله سبحانه وهو ممكن لولا أن الشرع قد ورد بأن الثواب والعقاب والجنة والنار لا آخر لها وهذه المسئلة كيف ما رددت تبنى على مسئلتين (احداهما) حدوث العالم وجواز حصول حادث من قديم (والثانية) خرق العادات بخلق المسببات دون الاسباب أو احداث أسباب على منهج آخر غير معتاد وقد فرغنا من المسئلتين جميعا

﴿خاتمة الكتاب﴾

فان قال قائل قد فصلتم مذاهب هؤلاء أفتقطعون بكفرهم ووجوب القتل لمن يعتقد اعتقادهم (قلنا) تكفيرهم لابد منه فى ثلاث مسائل (احداها) مسئلة قدم العالم وقولهم ان الجواهر كلها قديمة (والثانية) قولهم ان الله تعالى لايحيط علما بالجزئيات الحادثة من الاشخاص (والثالثة) فى انكار بعث الاجساد وحشرها فهذه المسائل الثلاث لاتلائم الاسلام بوجه ومعتقدها معتقد كذب الانبياء وانهم ماذكروه على سبيل المصلحة تمثيلا لجماهير الخلق وتفهيما وهذا هو الصريح الذى لم يعتقده أحد من فرق المسلمين فاما ماعدا هذه المسائل الثلاث من تصرفهم فى الصفات الالهية واعتقاد التوحيد فيها فمذهبهم قريب من مذاهب المعتزلة ومذهبهم فى تلازم الاسباب الطبيعية هو الذى صرح المعتزلة به فى التولد وكذلك جميع مانقلناه عنهم قد نطق به فريق من فرق الاسلام الا هذه الاصول الثلاثة فمن يرى تكفير أهل البدع من فرق الاسلام يكفرهم أيضا به ومن يتوقف على التكفير يقتصر على تكفيرهم بهذه المسائل وأما نحن فلسنا نؤثر الآن الخوض فى تكفير أهل البدع وما يصح منه ومالايصح كى لايخرج الكلام عن مقصود هذا الكتاب والله تعالى الموفق للصواب انتهى كتاب تهافت الفلاسفة تحرير الامام الاجل نسيج وحده أبى حامد محمد بن محمد الغزالى أكرم الله مأواه وأغدق بغمائم الرحمة ثراه وصلى الله على سيدنا محمد النبى الامى وعلى آله وصحبه وسلم آمين

أول فهو اضافة الى موجودات بعده واذا قيل له قديم فمعناه سلب العدم عنه أولا واذا قيل باق فمعناه سلب العدم عنه آخرا ويرجع حاصل القديم والباقى الى أن وجوده ليس مسبوقا بعدم ولا ملحوقا بعدم واذا قيل واجب الوجود فمعناه أنه لاعلة لوجوده وهو علة لغيره وهكذا قال الامام الغزالى ان بعض ماذكر من هذه الدعاوى يجوز اعتقاده لكن لايثبت على أصولهم فنبين عجزهم عن اثباتها وبعضها لايجوز اعتقاده ونبين فساده ونرسم كل واحدة منها فى مسئلة على حيالها ونحن نقتفى أثر الامام فى ايراد كل منها على حيالها الا انا نقدم مسئلة امتناع كون الشئ الواحد قابلا وفاعلا لانها مسئلة نفى الصفات عليها ونبين ماهو الحق فيها بعون الله تعالى وتأييده ان شاء الله تعالى